وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكـــوفة / كليـــة الفقه

دور السُنَّة المُطهرة في تأصيل علم التفسير

رسالة قدمت الى مجلس كلية الفقه / جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الاسلامية

تقدمت بها الطالبة
غفران ياسين محمد الهاشمي
إشراف
أ.م.د علي خضير حجي أ.م.دسيروان عبد الزهرة الجنابي

١٤٣٣ هـ **٢٠١٢م**

ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ

صدق الله العلي العظيم

{النساء:٨٣}

الإهداء

الى رسول الله (o) مدينة العلم ،

والى بابها من قال سلوني قبل أن تفقدوني،

الى من قال عنه (o) : (فوالله ... ولا يوضح لكم عن تفسيره الا الذي انا آخذ بيده)،

الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) .

والى الائمة من ولده ، معدن العلم ، وشجرة النبوة ، ومختلف الملائكة.

فلهم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وعرفان

يسرني وانا انهي هذه الرسالة أن اسجل هذه الكلمة رداً لفضل كل من اعانني وسهل لي الصعاب في ولوج مكنونات هذا العلم لذا اتقدم بالشكر الجزيل الى كل من استاذيّ المشرفين الدكتور علي خضير حجي ، والدكتور سيروانعبد الزهرة الجنابي، اللذان تفضلا مشكورين بالإشراف على

هذه الرسالة ، ولما كان لهما من توجيهات ونصائح كان لها الأثر الكبير في اتمامها ، واخراجها الى النور ، فلهما مني اجمل كلمات الشكر والتقدير .

كما اشكر جميع اساتذتي الأفاضل على ما ابدوه من ملاحظات قيمة وارشادات مهمة واخص بالذكر منهم الدكتور ستار الاعرجي، والدكتور محمد زوين الذي كان لمحاضراته الأثر الكبير في انبثاق هذا الموضوع ، واشارته الى الكثير من مصادره المهمة ، كما أود أن اقدم الشكر الى استاذي الدكتور حسين شير علي الذي كان له الفضل الكبير والمؤثر في ولوجي هذا المضمار العلمي وخوضي في بحور علمه ، فله مني الشكر الجزيل وإن كان لا يكفي لرد فضله الكبير ، كما اتقدم بوافر الشكر وعظيم الأمتنان الى اساتذة الدراسات العليا الافاضل جميعاً .

كما اقدم جزيل الشكر والتقدير لزوجي السيد محمد طاهر الهاشمي لوقوفه الى جنبي في اكمال هذه الرسالة وفي منحي فرصة البحث والحصول على الكثير من مصادرها .

كما اشكر عمادة كلية الفقه وادارتها وجميع موظفيها ، كما أشكر جميع المكتبات لتعاون اصحابها والعاملين بها لتسهيل الحصول على ما احتجت اليه من مصادر ومراجع ، لاسيما مكتبة أمير المؤمنين(γ) ، ومكتبة كلية الفقه ، ومكتبة جامعة الكوفة المركزية ، سائلة المولى عز وجل التوفيق للجميع .

محتوى البحث

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١- ٥

المدخل الى البحث : التعريف بمفردات العنوان	٦-١٨
اولاً : مفهوم السنة المطهرة	٧-٩
السنة في اللغة	٧
السنة في الاصطلاح	٧-٨
المراد بالمطهرة	٨-٩
حجية السنة المطهرة	١٠-١٢
اولا:الخبر المتواتر	١٣
ثانيا: الخبر المحفوف بالقرائن القطعية	١٣-١٤
ثالثا: خبر الواحد	١٤
اقسام السنة المطهرة	١٥-١٦
ثانيا : مفهومعلم التفسير	١٦-١٨
التفسير في اللغة	١٦-١٧
التفسير في الاصطلاح	١٧-١٨
الفصل الاول : : مرجعية اهل البيت (β) في التأصيل لعلم التفسير .	١٩-٦١
المبحث الاول : علم اهل البيت (β) في تأصيل علم التفسير	٢١-٣٤
المطلب الاول : مرجعية اهل البيت (β) لتأصيل العلوم القرآنية والتفسيرية	٢١-٢٩
اولاً : آفاق علم الإمام	٢١-٢٥
ثانياً : علمهم التام بالقرآن الكريم	٢٥-٢٩
المطلب الثاني : احاطتهم التامة (β) بعلم التفسير والتأويل	٢٩-٣٤
المبحث الثاني :المختصون بتفسير القران	٣٥-٤٩
المطلب الاول : اختصاص السنة المطهرة بتفسير القران	٣٦-٤٦
اولا: روايات حاجة القران في تفسيره الى اهل البيت (β) .	٣٦-٣٨
ثانيا:روايات اختصاص معرفة وتفسير القرآن بالمعصومين(β)	٣٨-٤١

ثالثا :الرواياتالدالة على ضرورة الرجوع الى الائمة(β).	٤١-٤٦
المطلب الثاني :توقف فهم القران وتفسيره على السنة المطهرة	٤٦-٤٩
المبحث الثالث :بيان السنة المطهرة لإمكانية تدبر القران وتفسيره	٥٠-٦١
المطلب الاول : أدلة السنة المطهرة على امكانية تفسير القرآن	٥٠-٥٦
اولا :روايات الحث على تدبر القرآن وتفسيره	٥٠-٥٢
ثانيا: دلالة روايات العرض على امكان تدبر القرآن وتفسيره	٥٢-٥٤
ثالثا:توجيه أهل البيت(β) المسلمين للاستدلال بالكتاب	٥٤-٥٦
المطلب الثاني : بيان السنة المطهرة لتفاوت درجات ادراكمعنى النص القرآني وتفسيره	٥٦-٦١
الفصل الثاني : تأصيل السُنّة المطهرة لضوابط تفسير النص القرآني	٦٢-١٠٨
المبحث الاول : الالتزام بحدود تفسير النص القرآني	٦٤-٨٣
المطلب الاول : الأحاطة بخصائص النص وطاقاته	٦٤-٧٦
اولا : شمولية القرآن الكريم	٦٥-٧٠
ثانيا : الاحاطة بخصائص الآيات ومقاصدها	٧٠-٧٣
أ- ادراك طاقة النص على محاكاة الأفهام المختلفة	٧٠-٧٢
ب-تحديد دلالات النص القرآني	٧٢-٧٣
ثالثاً: ضرورة الوقوف على انواع الترابط الجملي في النص القرآني	٧٣-٧٦
المطلب الثاني : النهي عن التفسير بالرآي المذموم	٧٦-٨٢
أولاً : التفسير بالرأي المحمود	٧٧-٧٨
ثانياً: التفسير بالرأي المذموم	٧٨-٨٣
المبحث الثاني :اعتماد منهج التأويل وفق الضوابط المعتبرة	٨٤-٩٨
المطلب الاول : مفهوم التأويل وأقسامه	٨٤-٩٥

التأويل في اللغة :	٨٤-٨٥
التأويل في الاصطلاح :	٨٥-٨٧
ثانيا : بيان السنة المطهرة لأقسام علم التأويل	٨٧-٩٤
١- ما تأويله في تنزيله	٨٧-٨٨
٢- ما تأويله قبل تنزيله	٨٨-٨٩
٣- ما تأويله مع تنزيله	٩٠-٩١
٤- ما تأويله بعد تنزيله	٩١-٩٣
٥- ما تأويله غير تنزيله	٩٣-٩٥
المطلب الثاني :دور السنة المطهرة في بيان ضوابط علم التأويل	٩٥-٩٨
المبحث الثالث : ادراك تضمن النصللظاهر والباطن	٩٩-١٠٨
المطلب الاول : مفهوم الباطن والظاهر	٩٩-١٠٢
الظاهر في اللغة:	٩٩
الباطن في اللغة :	٩٩-١٠٠
الظاهر والباطن في الاصطلاح :	١٠٠-١٠٢
المطلب الثاني :بيان السنة المطهرة لعلم الظاهر والباطن	١٠٢-١٠٨
الفصل الثالث : تأصيل السنة المطهرة لأصول التفسير	١٠٩-١٥١
المبحث الاول : مفهوم اصول التفسير واهميتها .	١١١-١١٣
اولا: مفهوم اصول التفسير	١١١-١١٢
الاصل في اللغة :	١١١
الاصل في الاصطلاح :	١١٢
ثانيا : اهمية اصول التفسير في السُنّة المطهرة	١١٢-١١٣
المبحث الثاني :تأصيل السنة المطهرة للأصول اللفظية	١١٤-١٣٥
المطلب الاول : وضع اللفظ للمعنى	١١٤-١٢٧
أولاً: دور السُنّة المطهرة في بيان العام والخاص	١١٤-١١٦
ثانياً :دور السنة المطهرة في بيانالمطلق والمقيد	١١٧-١١٨

ثالثا: دور السُنّة المطهرة في تأصيل .(المجمل والمفصل)	١٢٠-١١٨
رابعا: دور السُنّة المطهرة في بيان اهمية (الامر والنهي)	**١٢٣-١٢٠**
خامساً: تأصيل السنة المطهرة لقاعدة المشترك اللفظي	١٢٧-١٢٣
المطلب الثاني : استعمال اللفظ في المعنى	١٣٥-١٢٧
اهتمام السنة المطهرة بعلم البلاغة في تفسير النص القرآني	١٣٤-١٢٧
تأصيل السنة المطهرة لقاعدة التعريض في النص القرآني	١٣٤-١٣١
المطلب الثالث :اهتمام السنة المطهرة بقواعد اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم	١٣٥-١٣٤
المبحث الثالث :دور السنة المطهرة في بيان اهمية الأصول النقلية في تفسير النص القرآني	١٥١-١٣٦
المطلب الاول : القرآن الكريم	١٤٦-١٣٦
اولاً : تفسير النص القرآني بآياته الكريمة	١٣٧-١٣٦
ثانياً:بيان السُنّة المطهرة لكيفية التعامل مع المحكم والمتشابه	١٤٢-١٣٧
القاعدة الاولى : ارجاع المتشابه الى المحكم	١٤٢-١٤٠
القاعدة الثانية : ارجاع المتشابه الى الراسخون في العلم	١٤٦-١٤٢
المطلب الثاني :التأصيل لقواعد السنة المطهرة في فهم النص القرآني	١٥١-١٤٦
نماذج تطبيقية للسنة المطهرة في تفسير آيات النص القرآني وتبيينها	١٥١-١٤٩
الفصل الرابع :بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر وشروطه	١٧٢-١٥٢
المبحث الاول :بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر	١٥٥-١٥٣
المبحث الثاني : العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر	١٥٧-١٥٥
أولاً : تأصيل السنة المطهرة لعلم اسباب النزول	١٦١-١٥٧
ثانياً: تأصيل السنة المطهرة لعلم الناسخ والمنسوخ	١٦٣-١٦١
ثالثاً: تأصيل السنة المطهرة لعلم المكي والمدني	١٦٥-١٦٤

رابعاً: بيان السنة المطهرة لأهمية القصص في القران الكريم	١٦٥-١٦٨
خامساً:بيان السنة المطهرة لأهمية الامثال في القران	١٦٨-١٧٢
الفصل الخامس : تأصيل السنة المطهرة لمناهج التفسير	١٧٣-٢٠٤
المبحث الاول : منهج التفسير القرآني	١٧٤-١٩٠
المطلب الاول : منهج تفسير القران بالقران	١٧٤-١٨٤
امثلة تطبيقية	١٧٦-١٨٤
المطلب الثاني :تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير الموضوعي	١٨٤-١٩٠
امثلة تطبيقية:	١٨٦-١٩١
المبحث الثاني : منهج التفسير بالجري والانطباق	١٩١–١٩٧
المطلب الاول : تأصيل اهل البيت لمنهج الجري والانطباق	١٩٢–١٩٥
المطلب الثاني : تطبيقات السنة المطهرة لمنهج التفسير بالجري والانطباق	١٩٥–١٩٧
المبحث الثالث : تأصيل السنة المطهرة لمنهجي التفسير الروائي واللغوي.	١٩٨–٢٠٢
المطلب الاول : تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير الروائي	١٩٨–٢٠١
أمثلة تطبيقية:	١٩٩–٢٠١
المطلب الثاني : تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير اللغوي	٢٠١–٢٠٤
الخاتمة ونتائج البحث	٢٠٥–٢١٠
ثبت المصادر والمراجع	٢١١-٢٣٠
ملخص البحث باللغة الانكليزية	٢٣١–٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم
مُقدّمة

الحمدُ لله رب العالمين والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وصفوة الخلق تماماً اجمعين ، خاتم الرسل الصادق الامين ، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

اما بعد فإنّ القرآن الكريم أصل الحياة الذي لا ينضب فآياته خزائن من المعارف ومكامن من العلوم لا تدرك ، إلا لمن تتبع هذه العلوم واخذها من بابها الذي هو الرسول (o) وآل بيته (β) ، ومن أجلّ هذه العلوم هو علم التفسير ، وهو من أعلى العلوم وارقاها ، لأنه يكشف عن مراد الله في كتابه ومعاني آياته ومخابيء أسراره ، لذا حاول البحث ضمن هذه الدراسة تتبع هذا العلم في مدرسة أهل بيت النبوة ومعدن العلم ، بغية الوقوف على أثرهم القيادي ، ودورهم الريادي في التأصيل لأهم الضوابط والأصول التي وضعوها (β)، وما يتفرع عليها من قواعد وشروط في التفسير الصحيح.

لقد اعتنى المسلمون أيما اعتناء بعلم التفسير، إذ توسعت بحوثهم فيه فجدوا في البحث عن قواعد التفسير وأصوله ومناهجه، فصنفوا فيها كثيراً من الكتب ابتداءً من القرن الأول ، حتى صيرورته علماً قائماً بنفسه ، وذلك لما للنص القرآني من عظمة في الصياغة والمضمون ، إذ وصفه سبحانه ، بقوله : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □))[1].

من هنا كان البحث في قواعد علم التفسير يعد علماً قائماً بذاته ، والمتبحر فيه يجد إنّ اطرافه مترامية ومتداخلة ، ومن هذا المبدأ كان من الواجب التوسع في علومه ، ولكن هذا التوسع لابد له من أن يكون على وفق نظام وحدود وضوابط عاصمة ، فالبحث في أي علم مهما كان هذا العلم ، لابد من أن يكون على ضوء القواعد أو الأسس أو الأصول الصحيحة ، ولولا هذا لكان ذلك العلم سائرا على غير بصيرة ، قال تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[2] .

لذا فإن تفسير هذا الكتاب الإلهي العظيم ، يحتاج الى فنون وقواعد علمية ضابطة ، فمن الناس من يلج علم التفسير بلا ضوابط أو منهج حصيف، ومن ثمة

---

[1] سورة الكهف / ١٠٩ .
[2] الملك / ٢٢ .

يؤدي ذلك الى نشوء نتاج تفسيري غير صائب بناء على عدم صحة المنهج المستنبط بهِ .

وعلى الرغم من إنَّ هناك كثيراً ممن يغوص في قواعد علم التفسير ومناهجه، فإننا نجد القليل منهم من يغور عمقاً وبحثاً عن الأصول والقواعد التي يشير اليها أهل البيت (β) ، ناهيك عن أنهم أول من اشار اليها، بل نجد انها اقتُبِسَت منهم من دون الإشارة الى ذلك ، بل جُحِد فضلهم في ذلك احياناً.

من هنا تتبين أهمية فرضية هذه الدراسة ، في بيان فضل الرسول وأهل بيته (β) في التأصيل لهذا العلم على ايديهم ، وإثبات اولويتهم في ذلك هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تتبع أهم الأصول والضوابط والقواعد والمناهج التي أصل لها ، وجذرها أهل البيت (β) واكدوها طريقاً للوصول الى النتاج التفسيري الصحيح ، لتكون ضوابط وأصول تعصم المفسر من الزلل وتقيه من الخطأ في تفسير آيات القرآن الكريم ، وترسم له حدوداً يسير ضمن دائرتها وليس له أن يتجاوزها .

فالضوابط والأصول التي يبثها أهل البيت (β) ، هي أصول لها وحدة نظامية تعتمد على ولايتهم (β) ،والذي عبرت عنه الزهراء (η) :(الطاعة نظام للملة والإمامة لماً من الفرقة)[1].

إنّ هذا الموضوع على أهميته في المنحى التأصيلي للتفسير ، لم نجد من استوعب كل مضامينه، سوى بعض المواضيع والإشارات المختصرة المنتشرة في بطون الكتب وطيات البحوث التي تدرس علم التفسير وعلوم القرآن .

ومن الجدير بالذكر إنّ المنهج في هذا البحث قائم على اساس البحث في السنة المطهرة، وجمع الروايات التي تتعلق بما اشار اليه الرسول (o) وأهل البيت (β) من أصول وضوابط وقواعد ، والاستدلال بها كل في مكانه .

لذا حاولت الباحثة جهدها الاستعانة بالمتون الحديثية دون السند ، طلباً للاختصار وعدم الاطالة مقتدية بالسابقين من العلماء الاجلاء في ذلك، هذا بالإضافة الى إننا في نطاق الحجية البيانية ودراسة المضمون ، واستنطاق البرهان وصحة البيان والعلم ، من خلال روايات أهل البيت (β) ، واذا ما ثبتت الحجة

---

[1] الصدوق : من لايحضره الفقيه، ٣ ، ٥٦٨ .

استغنينا عن السند ، بالإضافة الى إنَّ دراسة تلك الروايات من حيث السند، يحتاج الى مساحة كبيرة في البحث من حيث الزمان والمقام ، وحيث إنَّ هذه الروايات لا تخالف ما جاء به القرآن الكريم فإن الاعتماد عليها أمرٌ سائغٌ مشروع ، وبهذا فإننا نفيد من هذه الروايات الشريفة في بيان أهم الأصول التي أصل لها ووضع قواعدها أهل البيت (β) ، ليكون هناك نظام خاص يسير عليه المفسر يقيه التشرذم ، ويجنبه التشتت والتعثر في استنباط البيان التفسيري للقرآن الكريم.

ولا بد من الإشارة الى إنَّ القارئ سيجد إنَّ الاستدلال ببعض الروايات نفسها سيكون في اكثر من مقام وعلة ذلك ، إنَّ رواياتهم (β) هي باب ينفتح منه الف باب[1]، بحسب تعبيرهم (β) ، من هنا لا نحسب إنَّ هناك بأساً بإعادة الرواية في موضع آخر، ما زالت تلك الرواية مكتنزة بأكثر من مصداق بياني يمكن أن يعتمد.

وعلى هذا الأساس اقتضى منهج البحث أن ينقسم على مدخل الى البحث وخمسة فصول وخلاصة ، فجاء التمهيد في بيان مفهوم مفردات العنوان ونبذة مختصرة عن أقسام السنة المطهرة وحجيتها ، على حين جاء الفصل الأول بعنوان **(مرجعية أهل البيت(β) في التأصيل لعلم التفسير)** وقام على ثلاث مباحث :

المبحث الاول : علم أهل البيت (β) في تأصيل علم التفسير.

المبحث الثاني : المختصون بتفسير القرآن.

المبحث الثالث : بيان السنة المطهرة لإمكانية تفسير القرآن.

ثم عرجنا الى الفصل الثاني الذي كان عنوانه : **تأصيل السُنّة المطهرة لضوابط تفسير النص القرآني** ،والذي تضمن ثلاثة مباحث ايضا :

المبحث الاول : الالتزام بحدود تفسير النص القرآني.

المبحث الثاني : اعتماد منهج التأويل وفق الضوابط المعتبرة .

المبحث الثالث : ادراك تضمن النص للظاهر والباطن.

وجاء الفصل الثالث بعنوان : **تأصيل السنة المطهرة لأصول التفسير** ، وقد انقسم على ثلاثة مباحث :

---

[1] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ،١٢٦- ١٥١

المبحث الاول : مفهوم أصول التفسير واهميتها.

المبحث الثاني : تأصيل السنة المطهرة للأصول اللفظية

المبحث الثالث : تأصيل السنة المطهرة للأصول النقلية

ثم كان الفصل الرابع بعنوان : **بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر وشروطه،** وقد انقسم الى مبحثين:

المبحث الاول : مؤهلات المفسر

المبحث الثاني : العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر

ثم انتهينا بالفصل الخامس وهو الاخير والذي جاء لبيان تأصيل أهل البيت لمناهج التفسير والذي كان بعنوان ، **تأصيل السنة المطهرة لمناهج التفسير** ، وكان على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : منهج التفسير القرآني .

المبحث الثاني : منهج التفسير بالجري والانطباق .

المبحث الثالث : تأصيل السنة المطهرة لمنهجي التفسير الروائي واللغوي.

ثم اختتم البحث بأهم النتائج التي توصلنا اليها بفضله تعالى .

واخيراً أقول : الحمد لله الذي يسر لي انجاز هذا البحث الذي قدمت فيه ما استطعت باذلةً جهدي في اتمامه ، والتمس العذر إذا ما اشتمل البحث على بعض الهفوات ، وإن احسنت فلله الحمد على ما هداني اليه وأن جانبت الصواب فحسبي أنني حاولت أن أقدم ما فيه الخدمة لأهل بيت العصمة (β) وللإسلام .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ...

الباحثة

١٥ شعبان / ١٤٣٣هـ

المدخل الى البحث

التعريف بمفردات العنوان

أولاً : مفهوم السنة المطهـــرة

- حجيـة السنـــة المطهـــرة

تمهيد

التعريف بمفردات العنوان

اولاً : مفهوم السنة المطهرة

معنى السنة في اللغة :

السنة بضم السين في اللغة :(السيرة ، حسنة كانت أو قبيحة)[١]، أو هي (الطريقة المحمودة المستقيمة)[٢]، (وسن الله سنة أي بين طريقاً قويماً)[٣]

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٢٦ ، ظ /الطريحي ، مجمع البحرين ،٢/ ٤٣٦، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٣/ ٦١ .

[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٩/ ٢٤٤ ، ظ/ الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ٤/ ٢٣٧.

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٢٥

ومنه قوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي))[1] ، اذن فالسنة بالمعنى اللغوي هي الطريقة ،أو السيرة.

السنة في الاصطلاح :

وهي (ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خُلقية أو خَلقية ، أو سيرة ، سواء كانت قبل البعثة .. كالتحنث في غار حراء أو بعدها . وهي بهذا المعنى ترادف الحديث عند بعضهم)[2]

او هي (كل ما ثبت من أحكام الشرع عن النبي (o) مما ليس بفرض ولا واجب)[3].

ومن هنا تكون (السنة – بمجموعها– القولية والفعلية والتقريرية تجسيد لمنهج رسول الله (o) ، في فهم القران المجيد ، وربط الواقع به ، وهذا المنهج النبوي – بمجموعه وجملته – محجة بيضاء ليلها كنهارها ، على العالم الذي أودعت فيه كل مقومات الهداية أن يهتدي اليه وأن يرتقي الى مستواه، وأن يلم بمعالمه)[4].

وذهب الامامية الى ان السنة هي : كل ما يصدر عن المعصوم قولاً أو فعلاً أو تقريراً[5]، من دون فرق بين أن يكون المعصوم نبياً أو أن يكون إماماً ، ومن دون فرق في ما يصدر عنهم في شؤون الدين أم الدنيا [6].

ان هذا التعريف يربط سنة الرسول (o) بسنة أهل بيته (ع) ، إذ استُبدل لفظ النبي(o) بلفظ (المعصوم) الذي يشمل النبي وأهل بيته (β) على حد سواء.

المراد بـ (المطهرة)

---

[1] الاحزاب / ٦٢.
[2] احمد الشنقيطي ، خبر الواحد وحجيته ، ٥١.
[3] المصدر نفسه، ٥١.
[4] طه جابر العلواني : نحو منهجية معرفية قرانية ، ١٠٦.
[5] ظ/الحسين العاملي : وصول الاخيار الى اصول الاخبار ، ٣٩١ ، البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ، ٢/ ٣٧.
[6] ظ/محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ، ١٢٢- ١٢٣.

فإذا علمنا إنَّ تعريف السنة بالمعنى السابق يتبين المراد من (المطهرة) الذي نعني به خصوص أهل البيت (β) اولئك العظماء، المخصوصون بأية التطهير في قوله تعالى : ((ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک))[١]، فإنَّ هذه الآية تؤكد عصمة أهل البيت (β) الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، وهم : النبي (o) والإمام علي (γ)، وفاطمة الزهراء (η) ، والحسن والحسين (χ) ، ففي رواية عن ام سلمة ، إنَّ النبي (o) كان في بيتها ، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة* فدخلت بها عليه ، فقال (o) لها : ادعي زوجك وابنيك ، الى أن قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ، ثم قال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا ، قالت ام سلمة : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال (o) : إنّك الى خير ، أنّك الى خير)[٢] ، وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد الخدري أنّه قال: (قال رسول الله (o) : نزلت هذه الآية في خمسة : فيَّ ، وفي علي (رضي الله عنه)، وحسن (رضي الله عنه) ، وحسين (رضي الله عنه) ، وفاطمة (رضي الله عنها) ((ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک))[٣])[٤].

إنَّ لفظ (إنما) في الآية الكريمة هو من أقوى أدوات الحصر التي تثبت إنَّ التطهير منحصر بهم وحدهم دون غيرهم والتطهير أصل من أصول العصمة لهم ، كما تنص الروايات على شمولها للتسعة من ذرية الإمام الحسين (β) بنص الرسول[٥] (o)، وهناك بعض الروايات التي صرحت بأسمائهم[٦].

---

[١] الاحزاب / ٣٣ .
*الخزيرة: عصيدة .ظ/ ابن منظور : لسان العرب ، ٤/ ٢٣٧

[٢] احمد بن حنبل : مسند احمد ، ٦/ ٢٩٣، ظ/ الترمذي : سنن الترمذي ، ٥/ ٣١ ، القمي : الامامة والتبصرة ، ٤٨ ، الكافي : الكليني ، ١/ ٢٨٧، الصدوق : الامالي ، ٥٦٠ ، الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، ٣/ ١٤٦ .
[٣] الاحزاب / ٣٣.
[٤] الترمذي : سنن الترمذي ، ٥/ ٣١ ،ظ/ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ٤/ ٢٧٧.
[٥] ظ/محمد تقي الحكيم : السنة في الشريعة الاسلامية ،٣٥، محمد حسين الحاج : حقوق آل البيت (ع) في الكتاب والسنة ،٢٩.
[٦] ظ/ الصدوق : الخصال ، ٤٧٧-٤٧٨، الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ٢/ ٥٢-٥٣،

وروي عن النبي (ο) إنّه : (كان يمرُّ ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[١] ، وبعد ثبوت نزول الآية فيهم (β) وتحققها بهم، فإنَّه يثبت بالنص الكريم حجية سنتهم ، بل عصمتهم لدلالة الآية على ذلك ، لأن الرجس هو الذنب والله طهرهم منه تطهيراً وبرأهم براءةً تامة مطلقة منه [٢] .

حجية السُنَّة المطهرة

ينص القرآن الكريم على حجية سُنّة النبي (ο) في التفسير ، إذ يقول سبحانه وتعالى : ((ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ))[٣]، وقال : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[٤]، فالقرآن نزل على النبي (ο) ليبين للناس احكام الله وتشريعاته وأوامره ونواهيه ، فإذا لم يكن بيان النبي (ο) معتبراً ، وواجب الإتباع فان هذه المسألة حينئذ تصبح لغواً ، وعلى هذا فإنَّ كلام النبي (ο) وبيانه وتفسيره يعتبر حجة بالنسبة لبيان آيات القرآن .[٥]

وبما إنَّ بيان أهل البيت (β) هو امتداد لبيان النبي (ο) ، بما يؤكده حديث الثقلين المتواتر ، وضرورة التمسك بهما معاً ، وهو شرط لعدم الضلال لذا فهم (β) حجة الى جانب القرآن ، فـ(من كان معصوماً من الذنب تكون جميع أفعاله واقواله مطابقة لأحكام الشريعة ، فتكون كاشفة عن الحكم الشرعي وهو معنى حجيتها)[٦] ، وعليه فإنَّ تفسيرهم للقرآن الحكيم ، يكون كاشفاً عن مراد الله عز وجل كتفسير الرسول (ο) تماماً في سلامة المضمون وقوة السند[٧] ، لذا فأن (سنة المعصومين(β) ، في أي قسم كانت يمكن أن تكون مفسراً للقرآن بعد ثبوت اعتبارها وحجيتها)[٨] .

---

[١] الطبري : جامع البيان ،٩/٢٢ .
[٢] البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول، ٢ / ٥٢.
[٣] النحل / ٤٤
[٤] النحل / ٦٤
[٥] ظ/ الطباطبائي ، الميزان ، ١٢ / ٢٦١
[٦] البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ،٢/ ٥٩ .
[٧]ظ/هدى جاسم ابو طبرة: المنهج الاثري ، ٩١
[٨] جوادي آملي : تفسير تسنيم ، ١ / ١٧٦

وقد أستدل أصوليو الأمامية في مباحث السنة على حجية سنة أهل البيت ، بالكتاب والسنة النبوية ، والعقل.[١]

ولم يخل عصر الأئمة من وضاعين عليهم أو مغالين فيهم ، لذا فلم تسّلم روايات أهل البيت (β) من الوضع عليهم ، فقد روي عن الإمام الصادق (γ) ، قوله : (كل شيء مردود الى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف).[٢]

وعنه أيضا ، قال : (قال رسول الله (o) : أن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)[٣].

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله (γ) ، إنَّه قال : (اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله ، أو من قول رسول الله (o) فخذوه ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به)[٤].

فهذه الروايات الشريفة تؤكد إنَّ سنة المعصومين (β) قابلة للدس والتحريف والجعل ، والوضع ، لذا كان هناك حاجة لعرضها على القرآن الكريم ،فإن كانت مخالفة له عند ذلك يكون هذا مانع لاعتبارها وحجيتها[٥] .

فعن سليم بن قيس الهلالي ، قال : قلت لأمير المؤمنين (γ) إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ، وأحاديث عن نبي الله (o) غير ما في ايدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ، وأحاديث أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أنّ ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله (o) متعمدين ، ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ قال : فأقبل عليّ ، ثم قال : قد سألت فافهم الجواب : إنَّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ،

---

[١] ظ/ محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ،١٢٦- ١٣١، البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ،٢/ ٤١.
[٢] الكليني : الكافي ، ١/ ٦٩
[٣] المصدر نفسه ، ٦٩/١
[٤] الكاشاني : الحق المبين ، ٩، الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١١٠.
[٥] ظ/ جوادي آملي : تفسير تسنيم ، ١ / ١٧٦- ١٧٧

وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله (o) على عهده ، حتى قام خطيباً ، وقال : أيّها الناس : قد كثرت عليّ الكذّابة ، فمن كذّب علي متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده)[١].

ثم ذكر (γ) ثلاثة أسباب في وضع الحديث ، بذكر أوصاف ناقليه ،فيقول (γ):

(رجلٌ منافق يظهر الايمان ، متصنع بالإسلام ، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (o) – الى أن قال : ورجل سمع من رسول الله (o) شيئاً، لم يحمله على وجهه ، ووهم فيه ، ولم يتعمد كذباً ، فهو في يده ، يقول به ، ويعمل به ويرويه ، فيقول : أنا سمعته من رسول الله (o) ، فلو علم المسلمون أنه وهم لرفضوه ، ولو علم أنه وهم لرفضه ، ورجل ثالث سمع من رسول الله (o) شيئا أمرّ به ثم نهى عنه ، وهو لا يعلم ، أو نهى عنه ثم أمرّ به ، وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ، ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم إنَّه منسوخ لرفضه ، ولو علم الناس إذ سمعوه منه إنَّه منسوخ لرفضوه)[٢].

ثم يذكر (γ) الحديث الصحيح الذي يؤخذ به وهو ما جاء به رجل (لم يكذب على رسول الله (o) مبغض للكذب خوفاً من الله ، وتعظيماً لرسول الله (o) لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به كما سمعه ، لم يزد فيه ، ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ، فإن أمر النبي (o) مثل القرآن ، منه ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، ومحكم ومتشابه)[٣]، لذا نجد ان العلماء قد قسموا السنة النبوية باعتبار رواتها عن الرسول (o) الى عدة اقسام [٤] ، ومن هذه الاقسام:

اولاً : الخبر المتواتر :

وهو ذلك (الخبر الذي بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم أي اتفاقهم – على الكذب واستمرّ ذلك الوصف في جميع الطبقات حيث تتعدد ، بأن

---

[١] الكليني : الكافي ،١ / ٢٦ .
[٢] المصدر نفسه ، ١/ ٦٢ .
[٣] المصدر نفسه ، ١/ ٦٣ .
[٤] ظ/ محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ، ١٩٤.

يرويه قوم عن قوم وهكذا الى الأول ، فيكون أوله في هذا الوصف كآخره ،ووسطه كطرفيه ، ولا ينحصر ذلك في عدد خاص) .[١]

والخبر المتواتر قطعي الصدور عن الرسول (o) ؛لأنّ تواتر النقل وأمانة رواته واختلاف وجهاتهم وكثرتهم ، يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر ، والخبر متى ما ولد العلم واليقين من السنة، عندها يكون حجة شرعية ودليلاً على الحكم ومصدراً له[٢] ، ومن أمثلتها أكثر السنن العملية في مجال تطبيق آيات الاحكام ، مثل اداء الصلاة والحج ، والصوم ، وإيتاء الزكاة ، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها[٣]. لذا تُعد الأحاديث المتواترة حجة في التفسير لأنها تفيد العلم واليقين.

ثانياً : الخبر المحفوف بالقرائن القطعية

وهو الخبر الذي يكون مصحوباً ومحفوفاً بقرائن تفيد العلم واليقين بصدوره عن النبي وأهل بيته (γ) فالعلم بصدقه لم يستند الى الخبر وسنده؛ بل أستند الى تلك القرائن المصاحبة للخبر[٤].

والقرائن هي موافقة الخبر للكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والدليل العقلي ' يقول الطوسي في الاستبصار إنَّ القرائن(منها أن تكون مطابقة لادلة العقل ومقتضاه ، ومنها أن تكون مطابقة لظاهر القرآن ، اما لظاهره أو عمومه أو دليل فحواه فكل هذه القرائن توجب العلم ، وتخرج الخبر من حيز الاحاد وتدخله في باب المعلوم ، ومنها أن تكون مطابقة للسنة المقطوع بها أما صريحاً او دليلاً او فحوى أو عموماً، ومنها أن تكون مطابقة لما اجمع المسلمون عليه ، ومنها أن تكون مطابقة لما اجمعت عليه الفرقة المحقة – أي الامامية– فإنَّ جميع هذه القرائن تخرج الخبر من حيز الاحاد وتدخله في باب المعلوم وتوجب العمل به)[٥]، لذا فإنَّ المدار في حجيته

---

[١] ظ/الشهيد الثاني : الدراية ، ٦٢

[٢] ظ/احمد البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ، ٢ / ٧٠

[٣] عبد الوهاب خلاف : علم اصول الفقه ، ٤٠

[٤] ظ/احمد البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ، ٧٤/٢.

[٥] الطوسي : الاستبصار ، ١/ ٣-٤.

هو حصول العلم كالخبر المتواتر ،وهو حجة ذاتية فلا نحتاج بعدها الى البحث عن أدلة لاثبات الحجية[١].

ثالثاً: خبر الواحد

ومن أشهر هذه الطرق هو خبر الواحد ، وهو (ما لم يبلغ حد التواتر سواء كثرت رواته أم قلت)[٢]، أو هو ذلك (الخبر الذي لا يبلغ مستوى التواتر ، ولم يقترن بما يساعده على افادة العلم بصدوره) [٣].

وقد اختلفوا في قبوله فمن رده مطلقاً كالشريف المرتضى ومن اخذ به مطلقاً كأكثر المتأخرين[٤]. وقد ذهب السيد الخوئي الى حجية الاخبار القطعية في التفسير وعدم حجية الأخبار الضعيفة [٥]، بينما استفاد بعض المفسرين من هذه الروايات في التفسير ، إذا كان هناك ما يدل على صدقها كموافقتها مع ظاهر القرآن ، بعرض الرواية عليه وعدم ردها لتوافقها مع مضمون النص الكريم ،أو لموافقتها العقل.

اقسام السنة المطهرة:

تقسم السنة المطهرة الى قسمين ويقسم كل من هذين القسمين بدورهما الى ثلاثة أقسام:

الأول : يقسم الى سنة قولية وفعلية وتقريرية :

---

[١] ظ/محمد الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ، ١٩٧ .
[٢] جمال الدين العاملي : معالم الدين وملاذ المجتهدين ، ١٨٧
[٣] عبد الهادي الفضلي : أصول الحديث ، ٨٧.
[٤] **ظ/** الشهيد الثاني : الدراية ، ٨٨، محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ،٢٠٥ .
[٥] ظ/الخوئي : البيان ، ٣٩٨

اما السنة القولية : فيراد بها أقوال النبي (o) وأقوال الأئمة (β) سواء كانت ارشادات أم نصائح ، أم مواعظ أو خطب في مناسبات معينة واماكن متعددة.[١] ، كقوله (o) : (من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار)[٢].

اما السنة الفعلية فيراد بها ما فعله الرسول (o) وما فعله الائمة (β) كأداء الفرائض ، واصدار الاحكام ، وتهيئة الجيوش للجهاد وغيرها[٣].

اما السنة التقريرية فتعني سكوت النبي (o) عن انكار قول أو فعل صدر في حضرته ، أو في غيابه، وعلم به فالسكوت يدل على اجازته للفعل،ومثل السكوت في الدلالة على جواز الفعل استبشاره (o) به ، أو اظهار رضاه عنه،أو استحسانه له بل هما أظهر في الدلالة على جواز الفعل [٤].

التقسيم الثاني : كما تقسم السنة من حيث نوعية احكامها على سنة تأكيدية وسنة بيانية وتأسيسية [٥]:

فالتوكيدية ما تؤكد مضمون ما جاء في الكتاب المجيد من احكام عامة . مثل السنة النبوية الآمرة بالصلاة والصيام والأمر بالمعروف ، والناهية عن الخمر والميسر واكل الميتة .

أما السنة البيانية : ما جاءت لشرح ما ورد من آيات قرآنية، مثل السنة النبوية المبينة للمراد القرآني من الصلاة والصيام ونحوهما من حيث اجزاء العبادة وشرائطها وموانعها ونحو ذلك كأحكام الحج ونظائر ذلك.

اما السنة التأسيسية فهي تكشف عن احكام شرعية لم يكشف عنها القرآن فقد توجب حكم سكت القرآن عنه أو تحرم ما سكت عن تحريمه[٦] ، من هنا احتيج الى السنة لتكون مؤسسة لأحكام شرعية تتمة لما نزل به النص تأسيساً عليه أصالةً .

---

[١] ظ/حسن الحكيم : مذاهب اسلاميين في علوم الحديث ، ١٨.
[٢] البخاري : الصحيح ، ١/ ٣٧. الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١ / ٢١٢ .
[٣] ظ/حسن الحكيم : مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث ، ١٨.
[٤] ظ/عبد الكريم زيدان:الوجيز في اصول الفقه، ١٣٦،ابو العينين:اصول الفقه الاسلامي ، ٧٢.
[٥] ظ/البهادلي : مفتاح الوصول ، ٢/ ٣٩.
[٦] ظ/ابن قيم الجوزيه :اعلام الموقعين ، ٢/ ٢٣٢

ويشمل هذا النمط من السنة ما سكت عنه القرآن من كافة الأحكام الوضعية والتكليفية . مثل السنة النبوية المثبتة لمانعية الإرث لقتل الوارث مورثه ، أو لسببية الشركة للشفعة ، أو استحباب الأذان للصلاة وغيرها[١] .

والسنة التأسيسية هي تحديداً ما يهمنا في هذا البحث والتي هي بمعنى التأصيل ، أي التقعيد والتأسيس للعلوم المختلفة فقد تكفلت السنة المطهرة ببيان هذه العلوم وتأصيلها من خلال رواياتهم الشريفة ، ومن جنس هذه العلوم هو علم التفسير.

ثانيا: مفهوم علم التفسير

التفسير في اللغة :

هو مصدر من (فِسر أو سِفر)، و(الفِسر) هو البيان وكشف المغطى[٢] . أو هو من التفسرة بمعنى نظر الطبيب الى الماء لكشف علة المريض[٣]، إما (سِفر) فهو من الكشف يقال أسفرَّ الصبح إذ أضاء وسَفَرت المرأة عن وجهها اذا كشفت نقابها [٤].

إذن إنّ المعنى من (الفِسر والسِفر) يعود الى معنى الكشف والايضاح للشيء المغطى ، إلا إنَّ (الفِسر) يستعمل للمعنى العقلي و(سِفر) للمعنى الحسي[٥].

قال تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ))[٦]، ولفظ التفسير في هذه الآية ، يحمل المعنى اللغوي عينه ، أي الكشف والبيان[٧] .

التفسير في الاصطلاح : فللباحثين في علوم القرآن وعلماء التفسير مفاهيم عديدة له ، ومنها ما قاله الطبرسي :(هو كشف المراد عن اللفظ المشكل)[١].

---

[١] ظ/البهادلي : مفتاح الوصول ، ٢/ ٣٩.
[٢] ظ/ الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، ٢/ ١١٠ ، ظ/ الزبيدي : تاج العروس ، ٧/ ٣٤٩.
[٣] ظ/ ابن منظور : لسان العرب ، ٥/ ٥٥. الزبيدي : تاج العروس ، ٧ /٣٤٩.
[٤] ظ/ الفراهيدي : العين ، ٧ / ٢٤٦.
[٥] ظ/ الاصفهاني : مفردات الفاظ القران ، ٤١٢مادة(سفر)،٦٣٦ مادة (فسر) .
[٦] الفرقان/ ٣٣ .
[٧] ظ/الطبري: جامع البيان ، ٩/ ٣٨٨، الطوسي :التبيان ، ٧/ ٤٨٩ ،البغوي : معالم التنزيل ، ٢/ ٨٣ ، الزمخشري : الكشاف ، ٣/ ٢٧٩، الطبرسي : مجمع البيان ، ٧/ ٢٩٦، البيضاوي : انوار التنزيل ، ٤ / ٢١٧، والالوسي : روح المعاني ، ١٩/ ١٦.

ويقول الراغب الاصفهاني (ت٥٣٥هـ) : (إنّ التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد ، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره)[٢].

وعرفه الزركشي(ت٧٩٤هـ) : (علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها ...وعلم حلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها وامرها ونهيها ، وعبرها وامثالها)[٣]، وعند الزرقاني هو : : (علم يبحث فيه عن القرآن من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[٤].

، وقد عرفه الطباطبائي بقوله : (بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها)[٥] وهو بذلك يبين إنّ التفسير يختص ببيان وكشف معاني الآيات ودلالاتها .

من خلال ما سبق يمكن أن نصل الى تعريف جامع مانع لعلم التفسير ، وهو: الكشف عن معاني الايات القرآنية ودلالاتها منضبطاً بأصول وقواعد ثابتة بحسب القدرة العلمية والفكرية والروحية للمفسر.

---

[١] الطبرسي : مجمع البيان ، ١/ ٣٩.
[٢] ظ/ الزركشي : البرهان ، ٢/ ٢٨٥، السيوطي : الاتقان في علوم القران، ٢/ ١١٩٠.
[٣] الزركشي : البرهان في علوم القران ، ١٤٨/٢ .
[٤] الزرقاني : مناهل العرفان ، ١/ ٤٧.
[٥] الطباطبائي : الميزان ، ١/ ٤ .

الفصــل الاول : مرجعيــة أهــل البيــت (β) فــي التأصيل لعلم التفسير

المبحث الاول :علم أهل البيت (β) في تأصيل علم التفسير

المبحث الثاني : المختصون بتفسير القرآن

المبحث الثالث : بيان السنة المطهرة لإمكانية تفسير القرآن

الفصل الأول

مرجعية أهل البيت (β) في التأصيل لعلم التفسير

إنَّ مرجعية أهل البيت (β) في التأصيل لعلم التفسير تتبين من خلال ما ورثوه من علوم ومعارف عن الرسول الكريم (o) ، وبملازمتهم للكتاب الكريم باعتبارهم أحد الثقلين الذي أوصى الرسول (o) بالتمسك به الى جنب القرآن الكريم، وضرورة الطاعة لهم وأخذ هذه العلوم منهم ، وهذا ما اثبتته الكثير من النصوص الشريفة المبينة لعلمهم الذي ليس له حدود ، لذا فسينقسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث .

المبحث الاول

علم أهل البيت (β) في تأصيل علم التفسير

تبين لنا الروايات الشريفة ما يتميز به أهل بيت العصمة (β) من قابليات وامكانات تؤهلهم لقيادة العملية التفسيرية ، والتي تتبين من خلال الاتي:

المطلب الأول : مرجعية أهل البيت (β) لتأصيل العلوم القرآنية والتفسيرية

اولاً : آفاق علم الامام

عن الرضا (γ) : (أوليس الله تعالى يقول : ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (*)إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ))[1] ، فرسول الله عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلعه الله على ما شاء من غيبه ، فعلمنا ما كان وما يكون الى يوم القيامة) [2]، أي ان الرسول (o) أخذ العلم من الله وأهل البيت (β) بدورهم اخذوه منه بالوراثة[3].

---

[1] الجن / ٢٦-٢٧ .
[2] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٨١/٦٤.
[3] الطباطبائي : الميزان ، ٥٩/٢٠.

وعن الصادق (γ):(والله لقد اعطينا علم الأولين والأخرين)[١]، إنَّ هذا الحد من العلوم لا يمكن الوصول اليه ولا بلوغه لأيٍ كان الا لهم (β) .

وفي رواية عنه(γ) ايضاً : (والله إنّي لأعلم ما في السموات واعلم ما في الارض وأعلم ما في الدنيا واعلم ما في الاخرة ...، اني لأعلم ذلك من كتاب الله تعالى إذ يقول : ((ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ))[٢])[٣]، يشير الامام الى إنَّ علمهم هذا مستقى من القرآن الكريم ، فكل ما في السماوات وما على الارض وما في الدنيا والاخرة من حساب وعقاب موجود في هذا الكتاب العظيم ، ولكن لا يصل اليه أيٍّ كان ، اذن فإنَّ هذه الروايات تدل على أن علم أهل البيت نابع من مصدرين رئيسيين وهما الرسول (ο) بالوراثة ، والقرآن الكريم باعتبارهم الثقل الملازم له.

ليس ذلك فحسب بل تدل الروايات الشريفة على اكثر من ذلك ففي رواية عن الإمام علي (γ) يقول فيها : (لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم) [٤] ، فمن فضل الله عليهم أن وهبَّ لهم علم الكتب السماوية الأُخرى زيادة على القرآن الكريم فهم (β) بهذا العلم لهم أن يثبتوا الحق من الباطل على أهل الديانات الاخرى بالحجة والدليل من كتبهم نفسها .

وهم يتوارثون هذا العلم بعضهم لبعض ، عن ابي عبد الله (γ) الصادق ، قال : (إنّ علياً كان عالماً ، وإنّ العلم يتوارث ، ولن يهلك عالم الا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله) [٥]، نفهم من الرواية إنَّ الله تعالى لا يتوفى عالم حتى يورث علمه الى من يخلفه ممن يكون أهلاً لذلك العلم لكي لا يموت هذا العلم بموته ، بأشارة الى وراثتهم (β) هذه العلوم اباً عن جد وهو منتقل فيما بينهم الى القائم المهدي (عج)، فقوله (من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله) أي إنه أما أن

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٨/٢٦، وابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب ، ٣٧٤/٣.
[٢] النحل / ٨٩.
[٣] ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب، ٣٧٤/٣، محمد الصفار:بصائر الدرجات، ١٤٨.
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٩٢/٣٥، وابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٩٧/١٢، تفسير العياشي ، ١٥/١.
[٥] محمد الصفار : البصائر ، ١٣٨، الكليني : الكافي ، ٢٢١/١.

يكون علم اللاحق مشابه لسابقه أو يزيد بمشيئة الله تعالى ، وهذا ما نراه من تطور العلوم المكتسبة من السابقين .

كما دلت النصوص الروائية الشريفة على إنّه لا يكون العلم صحيحاً إلا اذا خرج من عندهم (β) ، قال ابو جعفر (γ) لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : (شرقا وغربا فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت) [١]، فلو ذهب من طلب علماً صحيحاً الى شرق الأرض وغربها فأنه لن يناله أبداً ، الا اذا ورِد بابهم وطلبه منهم (β) ، فهو يشير بذلك الى إنَّ أي علم كانت نتائجه صحيحة وتم الوصول اليه والافادة منه نابعٌ منهم (β) وليس لغيرهم فضلٌ فيه.

فهم مفاتيح الحكمة ، ومعدن العلم ، فكما إنّ الجواهر المخزونة لا يمكن إخراجها من دون المفتاح ، كذلك الحكمة المخزنة لا تظهر ولا تخرج من دون بيانهم[٢]، وهذا ما اكده الإمام ابي عبد الله (γ) في مقولته : (ابى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح مفتاحاً ، وجعل لكل مفتاح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله ، ومن انكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن) [٣] .

إنَّ جري الاشياء بالاسباب مسألة مهمة في جميع ما خلق الله تعالى فلكل شيء سبب الى أن ينتهي لمن لا سبب له – أي الله تعالى – وجعل لهذا السبب شرحاً وهي حدوده وكيفياته وشروطه ولهذا الشرح علماً يختص به ، وجعل لهذا العلم من ينطق به وباباً يلج منه من اراد هذا العلم اليه[٤] ،فما قصده بـ (الباب) هو الذي به يتوصل الى هذا العلم وهو رسول الله (o) والإئمة(β) [٥].

---

[١] الكليني : الكافي ، ٣٩٩/١، الصفار : بصائر الدرجات ، ٣٠، المجلسي : بحار الانوار ، ٩٢/٢.
[٢] ظ/المازنداني : شرح اصول الكافي ، ٢٩٦/٥.
[٣] محمد الصفار : بصائر الدرجات ، ٢٦.
[٤] ظ/ المازندراني : شرح أصول الكافي ، ٥/ ١٣٩-١٤٠ .
[٥] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠/٢.

وفي رواية عن الامام علي (γ) يبين فيها علمه إذ يقول : (بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة)* [١] ، فلو كشف (γ) هذا العلم لسامعيه لاهتزوا واضطربوا لعدم تحملهم عجائب ما فيه ، وهو محفوظ عند أهل البيت لا يبوحون به إلا لخواصهم الموثوقين ممن امتحن الله قلبه للايمان .

وقد شهد لهم الأصحاب والعلماء وكل من عرف فضلهم ، فعن ابن عباس : (علي عَلِمَ علماً علَّمَهُ رسولُ الله (o) ، ورسولُ الله (o) علَّمه الله ، فعلم النبي (o) ، من علم الله ، وعلم علي (γ) من علم النبي (o) وعلمي من علم علي (γ) ، وما علمي وعلم اصحاب محمد (o) في علم علي (γ) ، إلا كقطرة في سبعة ابحر !) [٢]، ونرى إنّ عمر قد رجع الى الإمام علي (γ) في الكثير من المسائل حتى قال : (لولا عليٌ لهلك عمر) [٣].

ونجد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)يقول عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) حين سُئل (ما تقول في علي بن ابي طالب ؟ فقال : ما اقول في حق امرئ كتم مناقبه أولياؤه خوفاً ، واعداؤه حسداً ، ثم ظهر من بين الكتمان ما ملأ الخافقين ، وقيل له أيضاً : ما الدليل على إنَّ علياً إمام الكل في الكل ؟ قال : احتياج الكل اليه ، واستغناؤه عن الكل) [٤].

ومن ذلك يتبين إنّ حقيقة علم أهل البيت (β) ، إذ انه علم حضوري شهودي ، وليس من سنخ العلوم الحصولية التي تحصل من خلال الألفاظ والمفاهيم ، ومما يؤكد ذلك وصفهم (β) ، بأنهم خزنة علم الله ، وإنهم يعلمون بما في الارض والسماء

---

*(الارشية) جمع الرشاء وهو : الحبل الممدود، ظ/ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٢/ ٣٩٧، لسان العرب ، ١٤/ ٣٢٢، (الطوى) البئر المطوية بالحجارة ، ظ/الفراهيدي : العين ، ٧/ ٤٦٦، ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٣/ ٤٢٩.

[١] نهج البلاغة ، ٤١/١.

[٢] ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب ، ٣١١/١، المجلسي : بحار الانوار ، ١٤٧/٤٠.

[٣] الكليني : الكافي ، ٤٢٤/٧، الشريف الرضي : خصائص الائمة ، ٨٥.

[٤] القمي : سفينة البحار،مادة خلل، ٢/ ٧٢١ .

، وإنهم ورثة علم النبي (o) ، وإنّهم يعلمون كل شيء وغير ذلك من الروايات الدالة على سعة علمهم (β)[١].

يبين صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) ملامح علمهم (β) إذ يقول : (إنّ العلم الحصولي الكسبي علم بظواهر الأشياء وجزيئاتها من طريق نفس الاشياء بتغير لا يفيد اليقين . وهذا النحو من العلم يتنزه عنه الأولياء فضلاً عن آل محمد (β) ، وإنّ العلم الشهودي الحضوري علم بواقع الأشياء واسبابها – والذي يغني عن العلم بجزيئاتها– هو علم الأولياء فضلاً عن اولي الأمر من آل محمد (β) وآثار هذا العلم إضافة الى إنّها شهودية لعين الواقع وصقع الأمر ، إنّه يؤهل العلم به أن يطلع على أسرار الكون والملكوت ، ويعطيه الأهلية لقدرة التصرف فيه ، منتظراً منح القدرة من الله العزيز المتعال) [٢].

وقد اشار الى ذلك الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، بقوله : (وليعلم إنّ علوم الائمة (β) ليست اجتهادية ولا سمعية اخذوها من جهة الحواسّ ، بل لدنية اخذوها من الله سبحانه ببركة متابعة النبي (o)) [٣].

إنّ (هذا العلم الذي يتوسطه مجموع القرآن بيّن لهم ، هذا العلم ايتائي وهبي عطائي من الله تعالى لا تسبيبي كسبي ، اي إنّه علم لدني)[٤] وهو ثابت فيهم.

ثانيا : علمهم التام بالقرآن الكريم

بعد أن تبين مقدار علمهم (β) وسعة معارفهم (β) ، فإنَّه بالمحصلة سيتضح بذلك مدى علمهم بكتاب الله تعالى ، فهم عدل القرآن الكريم ولن يفترقا بنص حديث الثقلين ، إذ قال رسول الله (o) : (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) [٥] ، وتقضي ملازمتهم للقرآن الذي فيه :

---

[١] ظ/كمال الحيدري : علم الامام ، ٢٠٤.
[٢] الشيرازي : شرح اصول الكافي ، ٣٥٠/٢.
[٣] الفيض الكاشاني : الاصول الاصلية ، ٣٠.
[٤] محمد السند : الامامة الالهية ، ٨٠/٢.
[٥] مسلم : صحيح مسلم ، ٣٧/٣، الترمذي : سنن الترمذي ، ٣٢٩/٥، المجلسي : بحار الانوار ، ١٤٠/٥٣.

((تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ))[1]، أن يكونوا محيطين بكل ما فيه من أمور الدين ومعارفه المحيطة بكل الحقائق الكونية[2].

هذه المعرفة هي لقربهم من الرسول (o) ، وحيث إنَّ علم الرسول (o) هو وحيٌ من الله تعالى، قال تعالى : ((وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (*)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى))[3]، لذا كان من الطبيعي أن يكونوا امتدادا له ، وهذا يتبين من قوله تعالى : ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) [4] ، إذ تؤكد الروايات أنها نزلت فيهم (β) [5]، فهم أقرب الناس الى رسول الله (o) ، ويمثل الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (β) ، نفس الرسول (o) ووارث علمه، فعن عبد الله بن عباس عن الرسول (o) أنّه قال : (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها فمن اراد المدينة فليأت من الباب) [6].

فالإمام علي (β) هو الباب الذي يطلبه المتعلمون لينهلوا من ينابيع العلم والمعرفة الالهية ، إنَّ هذا القرب من الرسول (o) والملازمة له، والتلقي عنه جعل الإمام علي (γ) محيطاً بجميع علوم القرآن الكريم ،كما إنّ الرسول (o) لم يترك صغيرة ولا كبيرة في القرآن الكريم من علوم ومعارف وحلال وحرام إلا وعلمه إياها ، يقول (γ) : (ما نزلت على الرسول (o) من آية من القرآن إلا اقرأنيها واملاها علي وكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً املاه عليّ فكتبته وما ترك شيئاً أعلمه الله عز وجل ولا أمر ولا نهي وما كان وما يكون من طاعته أو معصيته الا علمنيه وحفظته فلم أنس منه

---

[1] النحل /٨٩.
[2] ظ/ محمد السند : الامامة الالهية، ٧٢/٢.
[3] النجم / ٣-٤.
[4] آل عمران / ٦١.
[5] الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل ، ١٦١/١، ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ٣٧٩/١.
[6] جلال الدين السيوطي : الدر المنثور ، ٣٩/٢، المجلسي : البحار ، ٣٤٣/٢١.

حرفاً واحداً) [١]، من هنا نزلت الآية الكريمة : ((ق ق ق))[٢] في أمير المؤمنين علي (γ)، كما جاء في احاديث الفريقين[٣].

لذا نجده (γ) في كثير من المواقف يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية ، في ليل نزلت أو في نهار أُنزلت مكيها ومدنيها ، سفريها وحضريها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم به) [٤]، وقد أجمع الناس كلهم على إنَّه لم يقل أيٌّ من الصحابة وأهل العلم سلوني غيره (γ)[٥] .

فالأئمة مخصوصون بتمام علم القرآن وهم الذين لهم أن يمسوا الكتاب المكنون وحدهم ،كما أكدته الآية الكريمة : ((إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (*)فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (*)لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ))[٦]، وذلك لاختصاصهم (γ) بصفة التطهير [٧]، في الآية الكريمة : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))[٨].

، وهم الذين يتوارثون الكتاب ، لقوله تعالى : ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا))[٩]، فهذه الآيات تشهد لبعضها بعضاً لتدل على إنَّ أهل البيت (β) هم المطهرون الذين اصطفاهم الله تعالى واصفاهم والذين يمسون الكتاب ويرثونه[١٠].

وقد تصدى أهل البيت (β) ، لبيان هذه الحقيقة ، وإنّه محفوظ في صدورهم ، فلا يغيب عنهم شيء من علمه ، فعن ابي عبد الله (γ) ، في تفسير قوله تعالى :

---

[١] ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٣٣٨/٢، والصدوق : التوحيد ، ٣٠٥، النيسابوري : روضة الواعظيين ، ١١٨.
[٢] الحاقة/ ١٢ .
[٣] ظ/ الصفار: البصائر ، ١٥٦، الصدوق : عيون اخبار الرضا ،٦٧/١، السمعاني : تفسير السمعاني ، ٣٦/٦، القرطبي : تفسير القرطبي ، ٢٦٣/١٨ ، ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ٤٤١/٤.
[٤] الطبرسي :الاحتجاج ،١ / ٣٨٤
[٥] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١٠٦ .
[٦] الواقعة / ٧٧-٧٩.
[٧] ظ/ التمهيد من الرسالة
[٨] الاحزاب / ٣٣.
[٩] فاطر /٣٢.
[١٠] ظ/ محمد السند ، الامامة الالهية ، ٣٣٨/٢.

((بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ))[1]، قال (γ) : (هم الأئمة خاصة) [2]، اذ إنّهم يعلمون ما في الكتاب كله ، ويشير الإمام الصادق (γ) الى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ((قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ))[3]، قال : (وعندنا والله علم الكتاب كله) [4]، فالذي (عنده علم من الكتاب) هو آصف بن براخيا وزير النبي سليمان (γ) ، والذي كان يمتلك بعض علم الكتاب بدلالة (من) التبعيضية ، بينما كان لاهل البيت (γ) كل ما في الكتاب من علوم ومعارف ، فهم بذلك اعلم من صاحب سليمان الذي أحضر عرش بلقيس في أقل من طرفة عين بعلمه ، وهم (γ) عالمون بجميع ما في الكتاب [5].

المطلب الثاني : احاطتهم التامة (β) بعلم التفسير والتأويل

إذا كان أهل البيت (β) على إحاطة تامة بجميع معارف القرآن الكريم وعلومه ، فإنَّه من البديهي لنا أن نستنتج احاطتهم بعلم تفسير القرآن وتأويله. فانطلاقاً من ذلك يتبين خصوصية أهل البيت (β) ومرجعتيهم في هذا المجال ، يقول الإمام الحسن بن علي (γ) في حديث له عن أهل البيت (β) : (واحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (ο) في امته ، والثاني كتاب الله فيه تبيان كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالمعول علينا في تفسيره لا نَتَظنّا تأويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فان طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله مقرونة)[6]، فمن كان له هذه الخصائص كان على المسلمين اتباعهم وطاعتهم .

---

[1] العنكبوت / ٤٩.
[2] الكليني ، الكافي ، ٢١٤/١، المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٠١/٢٣.
[3] النمل /٤٠.
[4] الكليني ، الكافي ، ٢٢٩/١.
[5] ظ/ ابن شهر أشوب : مناقب آل ابي طالب ، ٣/ ٥٠٩، المازندراني : شرح أصول الكافي ، ٣٤/٦ .
[6] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٥٩/٤٣، جواد القيومي : صحيفة الحسن ، ١٤٦.

إنَّ (علمهم بتفسير القرآن الكريم وتأويله ، هو علم تالٍ لعلم النبي (o) وتابع للنبوة ، وهو متعلق ببيان كل الكتاب ، وتأويله)[١]، كما في قوله تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))[٢].

ولما كان الرسول (o) قد تكفل ببيان هذا العلم ، بوصفه المبين والمفسر الأول لمعاني كتاب الله تعالى ، فإنّ الروايات التفسيرية الواردة عن الرسول (o) لم تكن شاملة لتفسير القرآن الكريم كله[٣].

فهناك من كان يعتقد إنَّ الرسول (o) لم يفسر القرآن تفسيراً شاملاً إلا آيات من القرآن الكريم ، مستنداً الى روايات تشير بظاهرها على ذلك [٤]، ومن هؤلاء السيوطي[٥] ، من هذه الروايات ما روي عن عائشة انها قالت : (ما كان رسول الله (o) يفسر من كتاب الله إلا آيات بعدد)[٦].

بينما توجد أدلة من القرآن الكريم، تشير الى إنَّ النبي (o) كان قد فسر القرآن الكريم تفسيراً شاملاً ، منها قوله تعالى : ((ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ىٰ ٰ))[٧] ، وقوله تعالى : ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [٨])[٩]

فكان من الطبيعي أن يفهم أصحاب النبي (o) القرآن الكريم في جملته ، أي بالنسبة لظاهره واحكامه ، اما فهمه تفصيلاً ، ومعرفة دقائق باطنه ، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم باللغة ، بل لابد لهم من البحث والنظر والرجوع الى النبي (o) فيما يشكل عليهم فهمه[١٠].

---

[١] محمد السند : الامامة الالهية ، ٨١/٢.
[٢] آل عمران / ٧.
[٣] ظ/ الحكيم : علوم القرآن ، ٢٩٠-٢٩١.
[٤] ظ/محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية،٣٢١.
[٥] ظ/السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، ١٩٦/٤.
[٦] القرطبي : تفسير القرطبي، ١/ ٣١.
[٧] البقرة / ١٥١.
[٨] النحل / ٤٤.
[٩] محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ، ٣٢٢ .
[١٠] ظ/محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، ٢٨/١.

كما إنَّ (المعروف عن الصحابة إنّهم ما كانوا سواء في المعرفة بجميع ما في كتاب الله عز وجل لما فيه من الغريب والمتشابه ، ولبعضهم الفضل على بعض)[١]، ويبين الإمام علي (γ) هذا الحال بقوله: (وليس كل أصحاب رسول الله (o) كان يسأله عن الشيء فيفهم ، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى إنّهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ فيسأل رسول الله (o) حتى يسمعوا) [٢].

من هنا يبين محمد باقر الصدر إنَّ النبي (o) قد فسر القرآن الكريم على مستويين [٣]:

الاول : المستوى العام ، في حدود الحاجة ، ومتطلبات الموقف الفعلي ، ولهذا لم يستوعب القرآن الكريم كله.

الثاني : المستوى الخاص ، حيث كان يفسره بشكل شامل كامل لمن كلفه الله بحمل تراث القرآن الكريم ، ويندمج معه اندماجاً مطلقاً فيكون مرجعاً للأمة في فهم القرآن الكريم ، وضماناً لها بعدم التأثر بإطارات فكرية خاصة ومسبقات ذهنية ، او رواسب جاهلية.

وهذا ما أكدته الروايات الشريفة، فعن ابي عبد الله (γ) ، إنّه قال في حديث له بعد أن سأله رجل عن مسائل ، الى أن قال :(وما يكفيهم القرآن الكريم ؟ قال (γ) : بلى ، لو وجدوا له مفسراً ، قال : وما فسره رسول الله (o) ؟ قال : بلى ، قد فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن ابي طالب (γ)) [٤].

وقوله (بلى) (أي بلى يكفيهم القرآن الكريم ،إن وجدوا له مفسراً يعلم ظاهر القرآن وباطنه ويعلم جميع ما انزل الله تعالى فيه) [٥] فمن يريد علم التفسير يجب أن يستقي قواعده وأصوله ممن خصه الرسول (o) بهذه العلوم وهو أمير المؤمنين علي (γ) الذي بين (o) أمره للناس في الكثير من المواقف ، لذلك نجد أكثر من روي عنه

---

[١] الطوسي :التبيان ، ٤/١.
[٢] الكليني : الكافي ، ٦٤/١،المجلسي : بحار الانوار، ٢٣٠/٢.
[٣] ظ/ محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ، ٣٢٣.
[٤] الكليني : الكافي ، ٢٥٠/١، الفيض الكاشاني : تفسير الصافي ، ٢٣٧/٤.
[٥] المازنداني : شرح اصول الكافي ، ١٣/٦.

التفسير هو الإمام علي بن ابي طالب (γ) [١] ، حيث تولى هذه المهمة بعد رسول الله (o) ، فلو أحصي ما روي عنه (γ) لوجدناه الأكثر تفسيراً للقرآن الكريم ، إذ نجد ابن ابي الحديد يقول : (إنّ أكثر علم التفسير أُخِذَّ عنه ومنه فُرِع)[٢].

وهذا كان متعارف بين الصحابة أنفسهم ، فمن المعروف إنّ ابن عباس (٦٨هـ) والملقب بحبر الأُمة [٣]، وتُرجُمان القرآن [٤]، كان ملازماً للإمام (γ) وتلميذه ومن الذين اخذوا عنه علم التفسير[٥]، إذ نجد ابن عباس يؤكد هذه الحقيقة ، إذ يقول : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن ابي طالب) [٦]، وهو اعتراف واضح وصريح من أن علم ابن عباس في التفسير انما هو نابع من باب علم الرسول فملازمته لعلي (γ) جعلته يلج مدينة العلم وينتقي من كنوزها جواهر علم التفسير.

من هنا كان ابن عباس أول من أملى في تفسير القرآن الكريم وينقل عنه جميع المفسرين[٧]، لذا نجده حين سُئل : اين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : (كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط)[٨].

وفي رواية إنَّ ابن عباس ، سأل رجلاً : أعلي أعلم عندك أم انا ؟ فقال الرجل لو كان اعلم عندي منك لما سألتك ، قال : فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال :(ثكلتك أُمك علي علمني وكان علمه من رسول الله (o) ورسول الله (o) علمه الله من فوق عرشه فعلم النبي (o) من الله، وعلم علي من النبي ، وعلمي من علم علي ، وعلم اصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة ابحر)[٩].

---

[١] ظ /السيوطي : الاتقان في تفسير القرآن ، ٤٩٣/٢، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ٤٢٩/١.
[٢] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٩/١.
[٣] ظ/ الاتقان : السيوطي ، ٢٣٤/٤ .
[٤] ظ/ الطبري : تفسير الطبري ، ٤٠/١ ، ابن تيمية : مقدمة في اصول التفسير ، ٩٧.
[٥] ظ/ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٩/١.
[٦] القرطبي : تفسير القرطبي، ٣٥/١.
[٧] ظ/ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ١/ ١٩، العاملي : اعيان الشيعة ، ١٢٥/١ .
[٨] ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة ، ١٩/١.
[٩] الشيخ المفيد : الامالي ،١٢ ،الطوسي : الامالي ، ٢٣٦ ، المجلسي : بحار الانوار، ٣٥٠/٣٢،

وعلى هذا يكون الإمام علي (γ) الأول في تفسير القرآن الكريم بعد الرسول الكريم (o) ، وليس ذلك فحسب، بل إنّ من يبتغي هذا العلم أن يطلبه من بابه ، كما أمر بذلك الرسول (o) ، حيث قال : (إنّ علياً هو اخي ، ووزيري ، وهو خليفتي ، وهو المبلغ عني ، إن استرشدتموه أرشدكم وإن اتبعتموه نجوتم وإن خالفتموه ضللتم ، إن الله أنزل عليّ القرآن ، وهو الذي من خالفه ضل ، ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك) [١].

فلا شك في إنّ الأبحار في آيات القرآن الكريم لاستكشاف مقاصده وبيان معانيه يجب أن يكون وفق ضوابط وأصول محكمة ، وهذا لا يكون الا بأخذ العلم من أهله ، وإلا فسيقع الإنسان في الهلكة ، كما وقع للبعض ممن ذكر الإمام الصادق (γ) انهم : (ضربوا بعض القرآن ببعض ، واحتجوا بالمنسوخ ، وهم يظنون إنّه الناسخ ، واحتجوا بالمتشابه ، وهم يرونه إنّه المحكم ، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون انه العام ، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها ، ولم ينظروا الى ما يفتح الكلام والى ما يختمه ، ولم يعرفوا موارده ومصادره ، إذ لم يأخذوه عن اهله ، فضلوا واضلوا) [٢].

وفي رواية عن الإمام علي (γ) في رسول الله (o)، ما نصه : (أرسله (o) على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم وانتفاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى ، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه)[٣]، (ذلك القرآن) بأشارة الى علو مكانه وقدسيته فلا يصل اليه عقول البشر ، لذا فالامام (γ) يأمرهم متحدياً باستنطاقه واستكشاف اخباره فهو أمر تعجيزي ، لأنه لن ينطق لهم لا لقصوره وانما لعجز قواهم عن سماعه وادراكه لما شاب نفوسهم وعقولهم من الذنوب ، بحيث لا يفهمون لسانه ولا يدركون بيانه، لذا فهو يحتاج الى من تطهر نفسه وعقله وهو المعصوم من الذنب والزلل- الرسول واهل

---

[١] الصدوق : الامالي ، ١٢٢، محمد الطبري : بشارة المصطفى ، ٤٠، الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٠٥/٩.

[٢] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ١٨/ ١٤٨، البروجردي : جامع احاديث الشيعة ،١/ ١٦٣.

[٣] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ٥٤/٢، المجلسي : بحار الانوار ، ٥٤٦/٣١.

بيته (β)- ، لذا قال (اخبركم عنه) أي انه المخبر نيابة عنه والناطق بما فيه لانه (ع) لسان القرآن[1] .

وقد دلت الكثير من الروايات على علمهم بتأويل القرآن الكريم ،فعن ابي عبد الله (γ) قال : (الراسخون في العلم : أمير المؤمنين علي بن ابي طالب والائمة من ولده) [2]، وفي رواية عنهم (β) : (فرسول الله (o) افضل الراسخين في العلم ، قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئا لا يعلمه تأويله ، وأوصيائه من بعده يعلمونه) [3].

ومن هنا يتحقق (إنَّ اصحاب البيت أدرى بما فيه ، واعرف بباطنه وخافيه ، والتمييز بين كدره وصافيه ، والكتاب عليهم انزل ، واليهم يرجع فيما فصّل منه واجمل ، فمن مشكاة علومهم تقتبس أنواره ومن خزائن فيوضاتهم تدرك أسراره) [4]، لذا نجدهم (β) يضعون حدود لكل من أراد أن يتصدى للكشف عن المعاني القرآنية والمقاصد الالهية ، فلا يتجاوزها بعد ذلك، وهذا منطلق من ملازمتهم للقرآن الكريم ولكونهم الثقل الاصغر الذي أمر الرسول (o) بالتمسك به وبذلك فرض طاعتهم على المسلمين .

المبحث الثاني

المختصون بتفسير القرآن

إنَّ المتتبع في كتب التاريخ يلاحظ وجود روايات تغلق دائرة التفسير في حيز ما صدر عن الرسول وأهل البيت (β) والصحابة ، وهذا ما نلاحظه في الروايات التالية ،ففي رواية إنَّ رجلاً سأل عبيدة عن تفسير آية من كتاب الله عز وجل ،

---

[1] المازندراني : شرح أصول الكافي ، ٢/ ٢٩٧.

[2] الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ، ٦٥٠ ، الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٠١/٩.

[3] الكليني : الكافي ، ٢١٣/١،محمد الصفار : بصائر الدرجات ، ٢٢٣، القمي : تفسير القمي ، ٩٦/١.

[4] المحقق البحراني : الحدائق الناظرة ،١٢٣/٢ .

فقال: (عليك بالسداد فقد ذهب الذين يعلمون فيم نزل القرآن)[١] ، وعن الشعبي انه قال : ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأي)[٢]، وغيرها .

ونجد الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) يؤكد وجود هذه المنحى بين المسلمين شيعة وسنة أذ يقول : (واعلم إنَّ الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بأنَّ تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح عن النبي (o) وعن الأئمة (β) الذين قولهم حجة كقول النبي (o) ، وإن القول فيه بالرأي لا يجوز)[٣] .

ثم يشير الى وجود هذه المنحى عند السنة أيضاً،بقوله (وروى العامة ذلك عن النبي (o) ، إنه قال : (من فَسَّر القرآنَ برأيه واصاب الحق ، فقد اخطأ) ، وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ، ونافع او محمد بن القاسم ، وسالم بن عبد الله وغيرهم)[٤].

ويعود السبب في هذا الاتجاه الى الاخبار المستفيضة الواردة من الفريقين عن النبي (o) وأهل البيت (β) في النهي عن التفسير وعدم أمكانية فهم القرآن من ظواهره وعدم اصابة القرآن بالعقول وإنّ فهمه يختص بمن خوطب به وهم النبي (o) وأهل بيته فقط دون غيرهم ، كما سيتبين لاحقاً.

المطلب الأول :اختصاص السنة المطهرة بتفسير القرآن

وردت الكثير من الروايات عن أهل البيت (β) استدل بها بعضهم على عدم إمكان فهم القرآن وعدم جواز تفسيره الا للمخاطبين به وهم الرسول الكريم (o) والأئمة المعصومين (β) ، كما يمكن تقسيم هذه الروايات حسب دلالتها الى :

اولاً : روايات حاجة القرآن في تفسيره الى أهل البيت (β)

---

[١] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٢٠/١١ . الطبري : تفسير الطبري ، ١/ ٥٩ .
[٢] الطبري : جامع البيان ، ٦٠/١ .
[٣] الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ٤/١ .
[٤] المصدر نفسه ، ٤/١ .

وتدل هذه الروايات الى حاجة القرآن الى مفسر معين من الله تعالى، وهي كثيرة نذكر منها البعض:

ففي رواية إنّ رجلاً سأل ابي عبد الله (β) عن مسائل ، فكان مما أجابه به أن قال : (قل لهم : هل كان فيما أظهر رسول الله (o) من علم الله اختلاف ؟ فإن قالوا : لا ، فقل لهم : فمن حكم بحكم فيه اختلاف ، فهل خالف رسول الله (o) ؟ فيقولون : نعم ، فإن قالوا : لا ، فقد نقضوا أول كلامهم ، فقل لهم : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) ، فإن قالوا : من الراسخون في العلم ؟ فقل : من لا يختلف في علمه ، فان قالوا : من ذاك ؟ فقل : كان رسول الله (o) صاحب ذاك – إلى أن قال– : وإن كان رسول الله (o) لم يستخلف أحدا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده ، قال : وما يكفيهم القرآن ؟ قال : بلى ، لو وجدوا له مفسراً ، قال : وما فسره رسول الله (o) ؟ قال : بلى ، قد فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل ، وهو علي بن أبي طالب (γ))[1].

وفي رواية عن منصور بن حازم ،إذ قال : (قلت لأبي عبد اللَّه (γ) : إنّ اللَّه أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه،– الى أن قال –: اليس تعلمون إنَّ رسول اللَّه(o) كان هو الحجّة من اللَّه على خلقه؟ قالوا: بلى ، قلت: فحين مضى رسول اللَّه(o) ، مَن كان الحجّة لله على خلقه؟ قالوا: القرآن. فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً ، –الى ان قال– : فأشهد أنّ علياً(β) كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجّة على الناس بعد رسول اللَّه(o) ، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ ، فقال: رحمك الله)[2] .

وفي رواية إنَّ رجلا من أهل الشام ورد على ابي عبد الله (β) ،فناظره هشام بن الحكم ، وفيما قال (قال هشام : فبعد رسول الله (o) من الحجة ؟ قال : الكتاب والسنة ، قال هشام : فهل ينفعنا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا ؟ ، قال الشامي : نعم ، قال هشام : فَلِمَ اختلفت أنا وأنت ، وصرت إلينا من الشام في

---

[1] الكليني : الكافي ، ١/ ٢٥٠ ، الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٧٧-١٧٨ .
[2] الحر العاملي : وسائل الشيعة ،٢٧/ ١٧٦

مخالفتنا إياك ؟ فسكت الشامي ، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : إن قلت : لم يختلف كذبت ، وإن قلت : الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أحلت ، لأنهما يحتملان الوجوه . إلى أن قال الشامي : والساعة من (الحجّة)؟ فقال هشام : هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ، ويخبرنا بأخبار السماء)[1].

إنَّ المتمعن بهذه الروايات يجد انها تدل بظاهرها على إنَّ القران الكريم غير كافي في بيان المعنى وانه يحتاج الى من يفسر معانيه ويقود الأمة الى ذلك المعنى ، كما انه غير قادر على رفع الاختلاف بين الناس بدون السنة المطهرة ، إذ ان البعض يحتج ببعض الآيات الكريمة ليستدل بها على مذهبه أو ينتصر لاتجاه معين، ولعل هذا ما اشار اليه الإمام أمير المؤمنين (γ) في وصيته لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ، إذ قال : (لا تخاصمهم بالقرآن فإنَّ القرآن حمال ذو وجوه)[2].

يقول ابن ابي الحديد في هذا الحديث الى إنّ القرآن كثير الاشتباه فيه مواضع يظن في الظاهر إنّها متناقضة متنافية نحو قوله : ((ﭘ ﭦ ﭧ))[3]، اما السنة فليست كذلك ، بدليل إنّ الصحابة كانت تستوضح من الرسول (o) الأحكام وما يشتبه عليهم ولم يكونوا يراجعون القرآن إلا في القليل منه حيث أكثرهم لا يفهم معناه ، لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه ، إما تقديسا له أو لرسول الله (o) أن يسألوه عنه كما يرجع سبب الأختلاف فيه أيضاً الى إنّ ناسخ القرآن ومنسوخه أكثر من ناسخ السُنة ومنسوخها [4].ففي قوله:((بلى لو وجدوا له)أي إن وجدوا له مفسراً يعلم ظاهر القرآن وباطنه ويعلم جميع ما أنزل الله تعالى فيه)[5]

---

[1] المصدر نفسه ، ٢٧/ ١٧٧-١٧٨ .
[2] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٨ / ٧١ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٢ / ٢٤٥ .
[3] القيامة / ٢٣.
[4] ظ/ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٨/ ٧١ .
[5] المازندراني : شرح اصول الكافي ، ٦/ ١٣ .

من هنا فان هذه الروايات تشير الى انه لا يعلم جميع ما في القرآن من ظاهر وباطن وناسخ ومنسوخ ،ومحكم ومتشابه...إلا الأئمة المعصومين (β) بعد رسول الله (o)،إذ بينه وفسره لهم بأجمعه فهم الأمتداد الامثل من بعده لبيان ما انطوى في النص المعجز من دلالة .

ثانيا : روايات اختصاص معرفة وتفسير القرآن بالمعصومين (β).

تنص هذه الروايات على أنَّ معرفة القرآن وتفسيره هو أمر مختص بالنبي الكريم (o)والأئمة المعصومين (β) الذين هم المخاطب المباشر للقرآن الكريم على وفق تكامل قابلية الفهم وسرعة الإنجاز بكامل الأداء، ومن هذه الروايات ،ما روي عن قتادة بن دعامة*حين دخل على ابي جعفر (γ) ، فقال :(يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون ، فقال أبو جعفر (γ) : بلغني أنّك تُفسَّر القرآن ؟ فقال له قتادة : نعم ، فقال له أبو جعفر (γ) : فان كنت تفسره بعلم فأنت أنت ، وأنا أسألك – إلى أن قال أبو جعفر (ع) –: ويحك يا قتادة ! إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك ، فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد فسرته من الرجال ، فقد هلكت وأهلكت ، ويحك يا قتادة ! إنما يعرف القرآن من خوطب به)[1] .

من مضمون الحوار بين الإمام (γ) وقتادة نتوصل الى إنَّ القصد هو انه ليس لايٍ كان تفسير القرآن ، ذلك بأن العبارة تدل على إنَّ المخاطبين به هم النبي (o)وآل بيته(β) فهم المحيطون بكل علومه ،فقوله (من خوطب به) إن (من) هنا موصولة ، والموصول يفيد الدلالة على العموم وهذا يعني إن المخاطب به ليس الرسول (o) فحسب ، بل الأئمة كذلك فهم مشمولون بالخطاب فهم المخاطبون به

---

*هو قتادة بن دعامة السدوسي ،بصري تابعي كان ضريراً ،عنى بالعلم والفقه وكان مدلساً (ت ١١٧هـ)، ظ/ ابن حبان : مشاهير علماء الامصار ، ١٥٤؛ عباس القمي : الكنى والالقاب ، ٥١/٢ .

[1] الكليني: الكافي ، ٨/ ٣١١ ،المجلسي: بحار الانوار، ٢٤/ ٢٣٧،الكاشاني :الصافي،٢١/١

مباشرة اما (لغموض مطالبه أو لخفاء قرائنه التي بمعونتها يصل الناظر فيه الى المقصود مختفياً عن غيرهم)[1].

وعن الإمام الرضا (γ) : (اما بعد فإنّ محمداً (o) كان أمين الله في خلقه فلما قبض (o) كنا أهل البيت ورثته ، فنحن امناء الله في ارضه عندنا علم المنايا والبلايا وانساب العرب ومولد الإسلام ... ونحن المخصوصون في كتاب الله ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى الناس برسول الله)[2].

من هنا كان من الطبيعي أن يحظى النبي (o) وأهل بيته (β) بالمرتبة العليا والأولى في معرفة القرآن ، فهي معرفة معايشة ومعاينة ، فهو جوهر لذات النبي (o) ، وأهل بيته (β) تبعا له ، ثم يليه من يليه تبعاً لمقدرته الوجودية والفكرية ، فهم المختصون بالمعرفة التامة بظاهره وباطنه [3]

وفي رواية عن الامام علي (γ) إنّه قال : (ما يستطيع أحد أن يدعي إنَّ عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء)[4]، فليس لأحد غير أهل البيت القدرة على معرفة كل ما جاء في القرآن الكريم من الظاهر والباطن وقوله (كله) مبالغة في التأكيد على ذلك .

وفي المعنى نفسه ثمة رواية تنص إنّ ابا عبد الله الصادق (γ) قال لأبي حنيفة : أنت فقيه العراق ؟ قال : نعم ، قال : فبم تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنة نبيه (o) ، قال : يا أبا حنيفة ! تعرف كتاب الله حق معرفته ؟ وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : نعم ، قال : يا أبا حنيفة ! لقد أدعيت علماً ، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا محمد (o) ، وما ورثك الله من كتابه حرفاً)[5]، نلاحظ إنَّ الامام سأل ابا حنيفة عن معرفته بالقرآن ولم يسأله عن علمه بالسنة لبيان أهمية ما يحويه القرآن من علوم غامضة تخفى عن ابا حنيفة وامثاله على حدٍ سواء، وخطورة الافتاء من دون

---

[1] المنتظري : نهاية الاصول ، ٤٧٨.
[2] الكليني : الكافي ، ١ / ٢٢٤ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٢٣/ ٣١٥ .
[3] الخميني : شرح دعاء السحر ، ٩٣- ٩٤ .
[4] الكليني : الكافي ، ١ / ٢٢٨. الصفار : بصائر الدرجات ، ٢١٣ .
[5] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ٤٨

معرفة هذه العلوم التي من ضمنها علم الناسخ والمنسوخ ، وكان حديث الامام (γ) مع ابي حنيفة فيه تحذير وزجر عن ادعاء ذلك ، وإنَّ قوله (γ) (لقد أدعيت علماً) بعد أن قال ابو حنيفة (نعم) دليل على انه لا يستطيع أحد أن يصل الى كل مضامين هذا العلم الا هم (γ) ، فهذا العلم متوارث عن رسول الله بأمر الله تعالى .

وعن ابي جعفر (γ)إنه قال : (واما قوله : ((ڑ ک ک ک گ گ))[1]، فإنما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أُنزل ، فإذا احتاجوا الى تفسيره ، فالاهتداء بنا والينا يا عمرو)[2]، أي أن لا يتكلفوا تفسيره بدون علم ، بل يكفيهم ما يفهمونه من الظاهر ، اما اذا ارادوا الوصول الى ما خفي من معانيه فعليهم الاهتداء بعلم أهل البيت (β) والاقتداء بهم وطاعتهم .

من هنا يتبين إنَّ فهم النص المعجز (β) بشكل تام هو احدى مختصاتهم اما غيرهم فليس لهم هذه القدرة، وهذا ما اكده الخوئي (قدس)، في إنّ (فهم القرآن حق فهمه ومعرفه ظاهره وباطنه وناسخه ومنسوخه مختص بالأئمة (β) ، والرواية (سؤال الصادق لأبي حنيفة) ، صريحة في ذلك ، فقد كان السؤال فيها عن معرفة كتاب الله حق معرفته)، وانتهى بالقول : (فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته وليس لغيرهم في ذلك نصيب)[3] .

يتبين من كل ذلك إنَّ العلم التام والإحاطة الكاملة بالقرآن ، ظاهره وباطنه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله وكل علومه مختص بالنبي (o) وأهل بيته (β) ، كما تدعو الى ضرورة أن يكون المتصدي على معرفة بهذه العلوم ، والى تعلم القرآن عن النبي (o) وآل بيته (β)، فإنَّ هذه الروايات تحث على التفسير الصحيح ، الذي ينتهج فيه المفسر طريق أهل البيت وتعاليمه ، فهي لا تغلق باب التفسير بقدر ما تفتحه بمنهج أهل البيت فهم المدخل الأصل لهذا العلم العظيم الذي يعرف به مدلول الكتاب المقدس .

---

[1] طه / ٨١ .
[2] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٧ ، ١٩٧ ، الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ٢٠٢ .
[3] الخوئي : البيان ، ٢٦٨ .

ثالثا: الروايات الدالة على ضرورة الرجوع الى الائمة(β).

وردت بعض الروايات الدالة على ضرورة الرجوع الى الائمة المعصومين(β) في العلوم الاسلامية عامة وبعلم التفسير خاصة، ومن جنسها الروايات المثبتة لمرجعية الأئمة مثل ما نقل عن ابي عبد الله (γ) في رسالة له : (وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه ، وأن يعبدوه ، وينتهوا في قوله إلى طاعة القوّام بكتابه ، والناطقين عن أمره ، وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم ، لا عن أنفسهم ، ثم قال : ((گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ں ڻ))[1] فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا)[2] ، وقد روي عن الإمام الباقر (γ) في بيان معنى (أولي الأمر) قوله (γ) : (هم الأئمة المعصومون (β))[3]، وبهذا يثبت إن الائمة هم أولي الأمر ، وإنّ مآل الأمر اليهم وإنّهم موطن العلم وأصله.

وفي العياشي : ((گ گ ں ں ڻ)) ، يعني آل محمد (β) ، وهم الذين يستنبطون من القرآن الكريم ، ويعرفون الحلال والحرام ، وهم الحجة لله على خلقة)[4] ، ولا يبتعد المازندراني كثيراً عما قرره العياشي إذ يقول: (وهم الذين يستخرجونه بعلومهم التي خصهم الله تعالى بها)[5].

فيكون المراد (لعلمه من أراد الاستنباط من الرسول وأولي الأمر أي إذا استصوبه المسؤولون ورأوه موافقاً للصلاح ، وإن كان المراد بهم الرادين لعلمه الذين يستفسرونه ويبالغون في الحصول على أصل الخبر من هؤلاء الرادين)[6]. ويتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم (β) ، (ولعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه)[7] .

---

(1) النساء / ٨٣.
(2) الكليني : الكافي ، ١ / ٢٩٥ ، العاملي : وسائل الشيعة ،٢٧ / ١٩١ ، المجلسي : البحار ، ٨٩ / ١٠١ .
(3) الفيض الكاشاني : الصافي ، ١/ ٤٧٤ .
(4) العياشي : تفسير العياشي ، ١ / ٢٦٠.
(5) المازندراني : شرح اصول الكافي ، ٦ / ١٣١ .
(6) الطباطبائي : الميزان في تفسير القران ، ٥ / ٢٢ .
(7) الزمخشري : الكشاف ، ١ / ٥٤٨ .

كما روي عن ابي عبد الله (γ) في معنى الاية الكريمة : ((ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ)) ، إذ قال : (الذكر محمد (o) ، ونحن أهله ، ونحن المسؤولون)، قلت : قوله ((ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې))[١]، قال : (ايانا عنى ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون)[٢].

إنّ اخذ قوله تعالى : ((ڀ ٺ ٺ ٺ)) في نفسه ، كان القول من حيث السائل ، والمسؤول ، والمسؤول عنه ، فالسائل كل من يجهل شيئا من المعارف الدينية ، والمسؤول عنه هي المعارف المستقاة من النص القرآني، واما المسؤول فإنه وإن كان بحسب مفهومه قابلاً للانطباق – في واقعنا المعاصر – على المرجعيات الدينية بعنوانها العام ، الا إنَّ هناك مصاديق واضحة لهذا المعنى وهم خصوص ائمة أهل البيت (β)[٣].

ويذهب محمد باقر الحكيم الى إن لهذا المفهوم مصاديق متعددة ، فإنّه وإن صح إنّ أبرز مصاديقه هم أهل البيت (β) ، لكنه قد ينطبق على أهل الخبرة بالدين والكتب والرسالات[٤].

ومن هذه الروايات ايضاً ما جاء في عهد الإمام علي (γ) الى مالك الأشتر وفي قوله تعالى: ((□ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □))[٥]، فالراد الى الله الاخذ بمحكم كتابه)[٦]،

إنَّ الآية الكريمة تأمر بالرجوع الى الله والرسول معاً في حال التنازع أي القرآن والسنة المطهرة، فلرد الى الله أي الرد الى كتابه الكريم القسم المحكم منه دون المتشابه ، ومنه نفهم إنَّ المتشابه يرد الى رسوله والى آل بيته (β) لعطف سبحانه بـ(الواو) المشركة في الحكم طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول ، فُهِم إنَّ الائمة

---

[١] الزخرف / ٤٤ .
[٢] الكليني : الكافي ، ١ / ٢١٠ ، الصفار : بصائر الدرجات ، ٥٧ .
[٣] ظ/كمال الحيدري : اللباب في تفسير اكتاب ، ٧٨ .
[٤] ظ/محمد باقر الحكيم : تفسير سورة الحمد ، ١١٣ .
[٥] النساء / ٥٩
[٦] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ٢/ ٥ ، و٣/ ٩٤ ، الصفار : بصائر الدرجات ، ٤١ .

يجب أن يطاعوا ايضاً ، وطاعتهم هي الأخذ عنهم في التفسير ، فقولهم مطاع في بيان معنى النص الأمثل عنهم على وجه الاطلاق.

وفي استدلال صاحب الميزان على الآية ، هو أن يرجع المؤمنون ما يتنازعون فيه من الاحكام الى الكتاب والسنة فهما حجتان قاطعتان في الأمر لمن يسعه فهم الحكم منهما [١]. والحديث(فالراد الى الله الاخذ بمحكم كتابه) واضح الدلالة على ذلك ، ومن هنا فان فهم معاني الآيات المحكمة ممكن ، اما غير الواضح فمرده الى السنة لانها هي الكاشفة عن هذا الأمر.

وفي رواية عن الإمام ابي عبد الله (γ) ما نصه : (إنَّ القرآن فيه محكم ومتشابه ، فأما المحكم فنؤمن به ، ونعمل به ، وندين الله به ، وأما المتشابه فنؤمن به ، ولا نعمل به ، وهو قول الله : ((ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ)) [٢])[٣].

يقول الحر العاملي في دلالة هذه الآية : (وهي نص صريح في إنَّ فيه محكماً ومتشابهاً ، وإنَّ له تأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ، وقد اجمعت الروايات على إنّهم الأئمة وإنّه لا يعلم تأويل القرآن الا الله وهم ، وإنَّ أكثر الآيات لها تأويل خلاف ظاهرها ، وانّه لا يعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص والتفسير والتأويل غيرهم ، وأنّه يجب الرجوع في جميع ذلك اليهم ، ودلالة الآية على ذلك ظاهرة بل نص)[٤]

وفي بيان معنى (الراسخون في العلم) روايات عديدة ، منها رواية عن ابي جعفر (γ) ، إنّه قال : (نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله)[٥] ، وفي هذا اعراب صريح على إنّهم هم الراسخون ، وعارفوا التأويل ، وإنّ علمهم من الله وبهذا حق لهم تفسير النص .

---

[١] ظ/الطباطبائي : الميزان ، ٤ / ٣٧٢ – ٣٧٣ .
[٢] ال عمران / ٧
[٣] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٩٨ ، الصفار : بصائر الدرجات ،٢٢٣، العياشي :تفسير العياشي ، ١/ ١٦٣.
[٤] الحر العاملي : الفوائد الطوسية ، ١٨٨- ١٩٠
[٥] الكليني : الكافي ، ١ / ٢١٣ ، الصفار : بصائر الدرجات ، ٢٢٤

من هنا يتبين اختصاص أهل البيت في تفسيرهم للآيات الغامضة التي لا مجال لغيرهم الوصول اليها ، فضلاً عن انهم مراجع الأُمة الاسلامية في بيان جُلّ معارف القرآن الكريم وعلومه واحكامه اما المحكم والواضح من القرآن الكريم فيمكن لغيرهم معرفته والوصول الى دلالاته ، وقد أشارت الروايات الشريفة الى ذلك ، فقد روي عن الإمام علي (γ) قوله : (ثم إنَّ الله قسم كلامه ثلاثة أقسام : فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ، ولطف حسه ، وصح تمييزه ، ممن شرح الله صدره للإسلام ، وقسما لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم)[1].

ودلالة الرواية واضحة على إنّ غير المعصومين (β) يستطيعون أيضاً أن يفهموا ويعرفوا قسماً من معاني القرآن ومعارفه ، كل بحسب درجة علمه وامكانية فهمه ، لقوله (γ) : (قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، وقسماً لا يعرفه الا من .... صدره للإسلام).

ويشير الى نفس المعنى ما روي عن الإمام الحسين (γ) قوله : (كتاب الله عز وجل على أربعة اشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق فالعبارة للعوام، والاشارة للخواص واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)[2].

إنَّ الروايات الواردة بهذا المعنى كثيرة ولها مداليل مهمة وتعاليم كثيرة في الحدود والضوابط التي يجب أن يكون في دائرتها كل من أراد تفسير القرآن واستخراج معانيه ومقاصده وهي تُعد من الروايات المهمة في التأصيل لعلم التفسير، كما انها تدعو الى ضرورة أن يكون المتصدي على معرفة بعلوم القرآن ، والى تعلم القرآن عن النبي (ο) والائمة (β) فهذه الروايات تحث على التفسير الصحيح الذي ينتهج فيه المفسر طريق أهل البيت وتعاليمه ،لذلك نرجي الاستدلال بها الى مكانه .

نستنتج من كل ما ذكرناه من روايات شريفة إنَّ أهل البيت (β) يحيطون بكل معاني القرآن ومعارفه في ظاهره وباطنه ، وهي لا تنفي قدرة غيرهم على تفسير

---

[1] الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ١ / ٣١٣ ، العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٩٤،المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩/ ٤٦ ، و٩٠/ ١٢٠ .

[2] المجلسي : بحار الانوار ، ٧٥ / ٢٧٨ ، ٨٩ / ٢٠ .

آيات من القرآن الكريم ، كما انها لا تنفي ايضاً العلم بجزء أو قسم من معارف القرآن الكريم.

المطلب الثاني : توقف فهم القرآن وتفسيره على السنة المطهرة

ذهب بعضهم الى حصر فهم القرآن وتفسيره اختصاصاً بأهل البيت (β) وحدهم اعتماداً على بعض الروايات ، وإنّه لا يجوز تفسير القرآن إلا بعد الرجوع الى رواياتهم (β) ويمثل هذا الاتجاه بمدرسة أهل الحديث في القرون الهجرية الأولى[١] ، فقد كان سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) اذا سُئِلَ عن تفسير آية من القرآن لم يكن لديه أثر في تفسيرها ، قال : (إنا لا نقول في القرآن شيئاً)[٢] ، وبالاتجاه الإخباري[٣] ،الذي ازدهر أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وكان من مؤسسّيه محمد امين الاسترابادي (ت ١٠٢٣هـ)[٤].

حيث رفض الأسترابادي مرجعية القرآن من دون السنة[٥] ، وإنّه لا يمكن فهم القرآن من دونها ، فقال : (مذهب الاخباريين إنَّ القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة الى اذهان الرعية ، وكذلك كثير من السنن النبوية (o)، وإنَّه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله ولا من ظواهر السنن النبوية ما لم يعلم احوالها من جهة أهل الذكر (β) ، بل يجب التوقف والاحتياط فيهما)[٦] .

---

[١] ظ/ هدى جاسم ابو طبرة : المنهج الاثري ، ١٢٩

[٢] ابن تيمية : مقدمة في اصول التفسير ، ٣١ .

[٣] الاخبارية : فرقة من الشيعة الاثني عشرية وهم اصحاب الحديث الذين يتبعون ظواهر الاخبار ويمنعون الاجتهاد ،ويرون ان ما في كتب الاخبار الاربعة المعروفة للشيعة قطعي السند او موثوق بصدوره، ولا يرون تقسيمها الى اقسام الحديث المعروفة .،ظ/ محسن الامين : اعيان الشيعة ٣/ ٢٢٢ ،محمد رضا جديدي ،معجم مصطلحات الرجال والدراية ، ١٦ .

[٤] هو الملا امين الاسترابادي (١٠٢٣هـ) مؤسس المذهب الاخباري،وأول من حارب المجتهدين وتجرد للرد عليهم ،وله كتاب الفوائد المدنية ، انكر فيه الاجتهاد ، وقال : انه من الصعوبة استخراج احكام الدين من القران وعدم جواز تفسيره، الا بما صدر عن الائمة المعصومين .ظ/ الاسترابادي : الفوائد المدنية ، ٢٧٠ .، ظ/ محسن الامين : اعيان الشيعة ، ٩ /١٣٧ .

[٥] محمد امين الاسترابدي : الفوائد المدنية، ٢٥٤ وما بعدها .

[٦] المصدر نفسه، ١٠٤ .

ويقول في موضع اخر : (إنَّ من المعلوم إن حال الكتاب والحديث النبوي لا يعلم الا من جهتهم (β) فتعين الانحصار في احاديثهم (β))[١]،ويستدل على ذلك ببعض الروايات عن الأئمة (β) كقولهم (β) : (إنما يعرف القرآن من خوطب به)[٢] ، وقولهم (β) : (كلام النبي (o) مثل كلام الله في الأكثر يحتمل الناسخ والمنسوخ ، وقد يكون عاماً ، وقد يكون خاصاً ، وقد يكون مؤولاً ، ولا يعلم ذلك من جهتنا ، لأنا مخاطبون بها عارفون بما هو المراد منهما)[٣].

كما يستدل على ذلك بما يصرح به الأئمة (β) ، بأنّ هناك فرقاً بين كلامهم (β)وكلام الله وكلام رسوله (o) ، فهما يحتملان الناسخ والمنسوخ ، وان لهما وجوها عديدة ، وتعيين الوجه المصيب من الوجوه المحتملة لا يكون إلا ببيان الائمة (β) فهم من يستطيعون ذلك ، اما كلام الائمة (β) ، فانه لا يحتمل الوجوه وإنّه يمكن لنا أن نفهمه ونحن مخاطبون به [٤].

ويذكر الأسترابادي (ت١٠٢٣هـ) أدلته على مرجعية سنة أهل البيت (β) بعنوان : (في بيان انحصار مدارك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية أصلية كانت أو فرعية في السماع عن الصادقين (β))[٥].

وقد قام حسين بن شهاب الدين الكركي (١٠٧٦هـ) بجمع عدداً من النصوص التي تؤيد عدم الرجوع الى القرآن إلا من خلال السنة ، بعنوان (في تفسير القرآن والعمل به)[٦]، ومن هذه النصوص ، عن الإمام الصادق (γ) ، إنّه قال : (قال ابي (ع): ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض الا كفر)[٧]، وما روي عن الامام علي (γ) ما نصه : (أُيها الناس اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون ، فإن رسول الله (o) قال قولا آل منه الى غيره ، وقد قال من وضعه غير موضعه كذب عليه)، فقام

---

[١] المصدر نفسه ، ٥٩ .
[٢] الكليني : الكافي ، ٨ / ٣١٢ .
[٣] الاسترابادي : الفوائد المدنية ، ١٠٤ .
[٤] ظ/ المصدر نفسه ، ١٧٩.
[٥] ظ/ الاسترابادي : الفوائد المدنية ، ٢٥٤ .
[٦] ظ/ الكركي : هداية الابرار الى طريق الائمة الاطهار ، ١٨٣
[٧] الكليني : الكافي ٢/ ٦٣٢ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩/ ٣٩ .

عبيدة وعلقمة والاسود واناس معهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين فما نصنع بما خبرنا به في المصحف ، فقال : يُسأل عن ذلك آل محمد (ο))[١].

اما الفيض الكاشاني(ت ١٠٩١هـ) فيذهب الى إنّه لا يمكن تفسير القرآن من دون رجوع الى النبي وآل بيته (γ) وذلك (لأن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً ، وخاصاً وعاماً ، ومبيناً ومبهماً، ومقطوعاً وموصولاً وفرائض واحكاماً وسنناً ، وآداباً وحلالاً وحراماً ، وعزيمة ورخصة وظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً ، ولا يعلم تمييز ذلك كله إلا من نزل في بيته . فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه)[٢] ، كما يورد روايات كثيرة تدل على إنَّ علم القرآن كله عند أهل البيت (γ) [٣]. ومنها ، عن ابي جعفر (γ) : (ما يستطيع أحد أن يدعي إنَّ عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء)[٤].

وقام الحر العاملي(ت ١١٠٤هـ) بجمع عدداً كبيرا من النصوص الروائية في كتابه (وسائل الشيعة) بعنوان (عدم جواز استنباط الاحكام النظرية من ظواهر القرآن الا بعد معرفة تفسيرها من الائمة (β))[٥] .

اما المحدث البحراني (١١٨٦هـ) فقد ذكر عدة روايات بالمعنى ذاته معلقاً عليها بان(صراحتها في المدعى ، لا ينكره الا من قال بالصد عن الحق واستكبر)[٦]

من هنا نستنتج الأثر الواضح الذي تركته كثرة هذه الروايات ، الذي يدل ظاهرها على عدم جواز تفسير القرآن الكريم الا بعد الرجوع الى السنة المطهرة في ذلك .

---

[١] الطوسي : تهذيب الاحكام ، ٦/ ٢٩٥ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٢/ ١١٣ .
[٢] الكاشاني : الصافي ، ١/ ٨ .
[٣] ظ/ المصدر نفسه ، ١ / ١٩ .
[٤] الكليني : الكافي ، ١/ ٢٢٩ .
[٥] ظ/ الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٧٦ ـ ٢٠٨
[٦] يوسف البحراني : الدرر النجفية ، ٢/ ٢٤٥.

المبحث الثالث

بيان السنة المطهرة لإمكانية تدبر القرآن وتفسيره

مر فيما سبق الروايات التي استُدل فيها على عدم إمكانية التفسير والنهي عنه الا بما ورد عن النبي والأئمة (β) المعصومين ، لذا سنتناول في هذا المبحث ، أدلة السنة المطهرة على إمكانية وجواز تفسير القرآن لغير المعصومين (β) ، اعتماداً على الضوابط والحدود التي رسمها الائمة (β) .

المطلب الأول : أدلة السنة المطهرة على امكانية تدبر القرآن وتفسيره

تتمثل مرجعية أهل البيت (β)في رسم الخطوط الأولى لعملية التفسير، من خلال تأكيد وبيان امكانية فهم النص القرآني لغيرهم ، وذلك يتبين من خلال عدة أدلة اهمها :

اولاً : روايات الحث على تدبر القرآن وتفسيره

من الأدلة الروائية التي استُدل بها على إمكان تدبر القرآن الكريم لغير أهل البيت (β)، حديث الثقلين المتواتر بين الشيعة والسنة، قال رسول الله (o) : (إنّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما اعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) [١].

فإن (وجه الدلالة في الحديث على إمكان فهم القرآن لعامة الناس هو إنَّ معنى التمسك بالكتاب الذي هو أحد الثقلين ، ليس مجرد الاعتقاد بأنه قد نزل من عند الله حجة على الرسالة ودليلاً على النبوة وبرهاناً على صدق النبي (o) ، بل معنى التمسك به الموجب لعدم الاتصاف بالضلالة أصلاً ، هو الأخذ به والعمل بما فيه من الأوامر والنواهي ، والاستناد اليه في كل اعتقاد أو قول أو فعل ، أي إنّ التمسك يرجع الى ما بينه النبي (o) والائمة (β) من جعل القرآن اماماً وقائداً)[٢].

يقول الخوئي (ت١٤١١هـ): (إنّ من البين إن معنى التمسك بالكتاب هو الأخذ به والعمل بما يشتمل عليه ولا معنى له سوى ذلك)[٣] ، كما يرى الطباطبائي إنَّ الرسول (o) بقوله (لن يفترقا) قد جعل لهما الحجية معاً (فيكون للقرآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعارف الألهية ، ولأهل البيت الدلالة على الطريق وهداية الناس الى أغراضه ومقاصده)[٤] .

زيادة على ذلك فقد وردت كثير من الروايات تأمر المسلمين وتحثهم على التوجه الى القرآن في كثير من أمورهم ومنها : عن الامام الصادق (γ) قال رسول الله (o) : (القرآن هدى من الضلالة ، وتبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، ونور من الظلمة ، وضياء من الاحداث ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من

---

[١] الصفار : بصائر الدرجات ، ٤٣٤ ، ظ/الكليني : الكافي ، ١/ ٢٩٥ ، الصدوق : معاني الاخبار ، ٩٠ ، المفيد : الارشاد ، ١ /١٨٠ ، ابن حنبل : مسند احمد ، ٣/ ١٨ ، ٢٧، ٥٩ ، النيسابوري : المستدرك ، ٣/ ١٠٩ ،١٤٩، البيهقي : السنن الكبرى ،٣١/٧ ، وغيرها .

[٢] الحيدري : اصول التفسير والتاويل ، ٣٧ .

[٣] الخوئي : البيان ، ٢٦٥ .

[٤] الطباطبائي : الميزان ، ٣ / ٨٤ – ٨٥ .

الفتن ، وبلاغ من الدنيا الى الاخرة ، وفيه كمال دينكم ، وما عدل احد عن القرآن إلا الى النار)[١]

وعن رسول الله (o)، إنه قال ما نصه : (اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ، فإنَّه شافع مشفع ، وماحل مصدق ، ومن جعله أمامه قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه الى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل)[٢].

اي هو شافع لمن تمسك به وعمل بما فيه ، ومجادل ومخاصم لمن رفضه وترك العمل بما فيه أو ساع به الى الله مصدق فيما يقول (فمن جعله امامه) بأنّ يقرّ به ويعتقد بحكمه ويعمل ما فيه وانزله في المقام اللائق بحسب اجتهاده فإنّه يقوده الى الجنة[٣]، وعن الامام علي (γ) : (وتعلموا القرآن فإنّه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره شفاء الصدور)[٤].

وعن علي بن الحسين (γ) إنه قال : (آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر فيها)[٥] ، وفي هذا حث على توظيف العقل البشري للأنتهال من تلك الخزائن على وفق الاستدلال المقبول.

وعن الإمام علي (γ) : (الا إنّ لا خير في قراءة ليس فيها تدبر)[٦] ، وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تأمر وتحث على الرجوع الى القرآن والتدبر في معانيه، وهذا يدل على إنّ تفسير النص القرآني مشروع في حال أرتكز على المنطق الاستدلالي السليم .

ثانيا: دلالة روايات العرض على امكان تدبر القرآن وتفسيره:

---

[١] الكليني : الكافي ، ٢ / ٦٠١ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩ / ٢٧ .
[٢] الكليني : الكافي ، ٢ / ٥٩٩.
[٣] المازندراني : شرح اصول الكافي ، ١١ / ١٠ ،ظ/ ابن منظور : لسان العرب ، (في معنى شافع مشفع وماحل مصدق)، ١١ / ٦١٩.
[٤] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ١/ ٢١٥ ، الحراني : تحف العقول ، ١٥٠ ،
[٥] الكليني : الكافي ، ٢/ ٦٠٩ ، المجلسي : البحار ، ٨٩ / ٢١٦ .
[٦] الكليني : الكافي ، ١ / ٣٦ ، الصدوق : معاني الاخبار ، ٢٢٦

من هذه الروايات عن ابي عبد الله الصادق (γ) ، قال : (كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)[١].

إنَّ مستهل الحديث يشير الى إنَّ الكتاب والسنة مرجعان لتقييم كل شيء، ثم يعود ليقول بعد ذلك إنَّ القرآن وحده هو المرجع الأصل للتقييم ، لان أصل حجية السنة القطعية مرتبط بحجية القرآن واعجازه وإن كانت مستغنية عن العرض على القرآن ، اما السنة غير القطعية فإنها من ناحية المتن والمحتوى يجب أن تقيم بالقرآن الكريم فإذا كانت مخالفة لمحتواه فهي زخرف وباطل [٢]، ودليل ذلك إنّه قال (وكل حديث) فـ (كل) تفيد دلالة العموم ، أي إنه أي حديث وارد في السنة لا يوافق مضمون المتن القرآني فحكمه الرد ، وعدم القبول وبنى الجملة على الأسمية لأثبات هذا الحكم وبأنّه أمر لا مناص من قبوله لأنه ثابت ولامحالة ، فحكم ما خالف القرآن الرفض مطلقاً في أي زمان أو مكان صَدَر .

وعن الصادق (γ) قال : (خَطَب النبي (o) بمِنَى ، فقال : (أيُّها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله)[٣] ، من هنا يثبت إنَّ القرآن هو الآصل في مدى تقبل الرواية مضموناً من عدم تقبلها في نطاق البيان القرآني وهذه هي القاعدة الأساس في مشروعية الرواية للتفسير من عدمه.

وعن ابي عبد الله (γ) قال : (إذا ورد عليكما حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه)[٤]، فنجد إن القاعدة في موافقة النص القرآني مازالت سارية حتى في نطاق التعارض لإثبات إن الرواية المخالفة غير مقبولة في نطاق إيضاح معنى النص المقدس .

وعنه (γ) : (قال رسول الله (o) : ان على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه)[٥].

---

[١] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١١١ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٢ / ٢٤٢ .
[٢] جوادي املي : تفسير تسنيم ، ١/ ١١٦ .
[٣] العياشي : تفسير العياشي ، ١/ ٨ ، العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١١١ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٢ / ٢٣٥.
[٥] العياشي : تفسير العياشي ، ٨/١ .

إنّ داعي تقييم الحديث بالقرآن هو ما تعرّض له الحديث على يد الجعل والوضع والدس والتحريف والذي لم يطل القرآن الكريم لأنه محفوظ ، لقوله تعالى : ((ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)) [1] ، كما إنَّ نظرة سريعة في تاريخ الحديث تؤكد ذلك[2] .

فضلاً عن إنّ ما يؤكد هذه الحقيقة، هو ما جاء عن أهل البيت (β) أنفسهم ، ففي رواية عن الإمام أمير المؤمنين (γ) في جوابه لمن سأله عن اختلاف الروايات ، قال فيها : (قد سألتَ فافهم الجواب : إنّ في ايدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كُذِّبَ على رسول اللّه (o) على عهده حتى قام خطيباً فقال : أيّها الناس قد كثُرت علي الكذّابة ، فمن كذَّب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ثم كُذِّبَ عليه من بعده)[3] .

فهذه الروايات تدل على إنّه لو كان القرآن لا يفهم إلا عن طريق الروايات ، لكان الرجوع الى القرآن في تقييم صحة الروايات ، أو شروط المعاملات عبثاً ، ولو كان القرآن للتلاوة فحسب ، لم يُرجِع الائمة (β) المجتمع البشري اليه بهذا النحو[4].

ثالثا: توجيه أهل البيت (β) المسلمين لكيفية الاستدلال بالقرآن الكريم

إنَّ مما يؤكد امكان تدبر القرآن وتفسيره هو توجيه أهل البيت (β)المسلمين لكيفية الاستدلال بالآيات القرآنية على كثير من القضايا الدينية والدنيوية ، فعن زرارة ، إنّه قال : (قلت لأبي عبد الله الصادق (γ) : ألا تخبرني من أين علمت وقلت : إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين ؟ فضحك ثم قال : يا زرارة قال رسول الله (o) ونزل به الكتاب من الله لأن الله عز وجل يقول : ((ﭙ ﭚ))[5] فعرفنا إنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل ثم قال : وايديكم إلى المرافق ثم فصل بين كلامين فقال : ((ﭙ

---

[1] الحجر / ٩ .
[2] املي : تفسير تسنيم ، ١ / ١١٨ – ١٢٠ .
[3] الكليني : الكافي ، ١ / ٦٣ ، الطبرسي : الاحتجاج ، ١ / ٣٩٤ .
[4] ظ/ املي : تفسير تسنيم ، ١ / ١٢٠ – ١٢٧
[5] المائدة / ٦

ٹ)) فعرفنا حين قال : (برؤوسكم) إنَّ المسح ببعض الرأس لمكان (الباء) ، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال : ((ٹ ڈ ڈ ٹ)) فعرفنا حين وصلها بالرأس ان المسح على بعضهما)[1].

بهذا اثبت الامام (γ) كيفية الاستدل بالنص القرآني نفسه ، معولاً على دلالة (الباء) في قوله (برؤوسكم) ، وبهذا لا مجال لمن قال بأن هذه (الباء) انما ورد للزيادة في هذا الموضع[2] .

وعن الصادق (γ) في عدم قبول خبر النمام ما نصه: (فإن النمام شاهد زور ... وقد قال الله تبارك وتعالى : ((ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ))[3].)[4]، بهذا عدّ الإمام النمام مصداقاً يجري عليه قوله تعالى : (ٹ ٹ ٹ) لان النمام فاسق ، لأنه مؤتمن على الحديث ، وقد خان الأمانة بنقله وهي أحدى آيات المنافق على وفق منظار السنة المطهرة.

وعن ابي عبد الله (γ) ، إنه قال : (الله غاية من غياه ، والمغيى غير الغاية ، توحد بالربوبية ووصف نفسه بغير محدودية ، فالذاكر لله غير الله ، والله غير اسمائه وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ، الا ترى إلى قوله : العزة لله ، العظمة لله ، وقال : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ))[5] ، وقال : ((ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ)) [6] فالأسماء مضافة اليه وهو التوحيد الخالص)[7] .

من هنا نستنتج تأكيد السنة المطهرة على امكان تدبر القرآن وتفسيره من خلال ما اثبتته الروايات الشريفة التي تأمر وتحث على الرجوع الى القرآن والتدبر في معانيه، وما اكدته في ضرورة عرض الحديث على القرآن لبيان ما يوافقه وطرح ما يعارضه وحل التعارض بين الروايات المتعارضة، ومما اشارت اليه الكثير من

---

[1] الصدوق : من لا يحضره الفقيه ، ١ / ١٠٣ ، الطوسي : الاستبصار ، ١ / ٦٣ .
[2] ابن قدامة : المغني ، ١/ ١١٢.
[3] الحجرات / ٦ .
[4] المجلسي : بحار الانوار ، ٧٢ / ٢٦٤ .
[5] الاعراف / ١٨٠ .
[6] الاسراء / ١١٠ .
[7] الصدوق : التوحيد ، ٥٨ .

الروايات عنهم (β) في توجيه نظر المسلمين الى كيفية الاستدلال بالنص القرآني والافادة منه في الكثير من المسائل والقضايا وهو لا يترك شك في إنّ تفسير النص القرآني مشروع في حال أرتكز على المنطق الاستدلالي السليم .

المطلب الثاني:بيان السنة لتفاوت الناس في ادراك معاني القرآن وتفسيره

بعد أن بينت السنة المطهرة لأهل بيت النبوة (β) امكان تدبر القرآن لغيرهم ، فهي تعود لتؤكد إنّ الناس غير متساوين في درجة فهم هذا الكتاب الإلهي المقدس ، (فمعارف القرآن ذات مراتب ودرجات كثيرة ، ولكل فئة من الناس نصيبها من تلك الدرجات ، وكل إنسان ينال نصيبه من القرآن بمقدار استعداده حتى تنتهي المراتب الى (المقام المكنون) الذي لا يبلغه إلا النبي الأكرم (o) وأهل بيته (β))[١] ، على وجه التحديد والتخصيص.

فقد روي عن الإمام الحسين (γ)، قوله: (كتاب الله عز وجل على اربعة اشياء : على العبارة والإشارة ، واللطائف ، والحقائق ، فالعبارة للعوام ، والإشارة للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء)[٢]، وهي دليل على إنَّ الناس متفاوتون في فهمهم للقرآن ، وبهذا يمكن القول إنَّ (كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق ، لا يصل الى فهمه إلا من تبحر في العلوم ، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية ، واجله عند مواقف الشبهات واللطائف والحقائق لا يفهمها الا من القى السمع وهو شهيد ، فالعبارات للعموم وهي للسمع ، والإشارات للخصوص وهي للعقل ، واللطائف للأولياء وهي المشاهد ، والحقائق للأنبياء ، وهي الاستسلام)*[٣] .

ولهذا لا سبيل أو مناص لإنكار تفاوت الناس واختلافهم في ما يستوعبونه من النص القرآن، قال الغزالي : (من أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع

---

[١] املي : تفسير تسنيم ، ١ / ٦٥ .
[٢] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٧٥ / ٢٧٨ .
[٣] الزركشي : البرهان ، ٢ / ١٥٤ .
*قول الزركشي في تقسيم النص القرآني مشابه لما قاله الامام الحسين (γ) في الحديث السابق له (β) ويبدو ان الزركشي قد اخذه من الامام (β) من دون الاشارة اليه وقام بالزيادة عليه وتوضيح ما جاء فيه .

عن ربقة العقل)[١]، ويقول أيضاً : (وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ، ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد جهد من المعلم ، والى ذكي يفهم بأدنى رمز واشارة، والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم)[٢] ، ولكن هذا لا يعني إنَّ ما جاء في القرآن من معاني ومعارف وعلوم ميسوراً ومفهوماً للناس جميعاً [٣] .

فللإنسان مراتب مختلفة ابتداءاً من الجاهل وانتهاءاً بالعالم ، وللإنسان الكامل أو للرسول الكريم(o) وال بيته الذروة في سلم المراتب[٤] . وهذا ما اشار اليه النبي (o) في قوله : (أُوتيت جوامع الكَلم)[٥].

إنَّ هذه العلاقة الجدلية بين القرآن والإنسان، يملك الرسول (ص)على اساسها أقصى واعلى درجات المعرفة القرآنية ويليه في هذه المعرفة من يليه بحسب قدرته ومرتبة فهمه وادراكه[٦].

فلو تتبعنا حديث الرسول (o) الذي يقول فيه : (إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع)[٧]، لوجدنا إنَّه يقسم الآية الواحدة من القرآن الى اربعة مراتب مختلفة فلكل انسان فهمٌ فيه ،ومرتبة له الاستعداد لبلوغها بحسب قوة ادراكه وفهمه واستيعابه ، يقول الشيرازي : (اعلم إنَّ القرآن كالإنسان ينقسم الى سر وعلن ولكل منها ايضاً ظهر وبطن ولبطنه بطن آخر الى أن يعلمه الله ، ولا يعلم تأويله إلا الله ، وقد ورد ايضاً في الحديث (إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً الى سبعة ابطن)[٨] ، وهو كمراتب باطن الإنسان من الطبع والنفس والصدر والقلب والعقل والروح والسر والخفى)[٩].

---

[١] الغزالي : احياء علوم الدين ،١ / ٨٧ .
[٢] المصدر نفسه ، ١/ ٨٨.
[٣] جوادي املي : تسنيم ، ١ / ٦٧ .
[٤] ظ/ ابن عربي : الفتوحات المكية ، ٤ / ٦١ .
[٥] الصدوق : الامالي ، ٢٨٥، احمد بن حنبل : مسند احمد ، ٢/ ٢٥٠ ، مسلم :صحيح مسلم ، ٢ / ٦٤ ، الترمذي : سنن الترمذي ، ٣ / ٦٥ ،المجلسي :بحار الانوار ، ٨ / ٣٩ .
[٦] ظ/ابن عربي :الفتوحات المكية ، ١ / ١٠ .
[٧] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ .
[٨] المصدر نفسه ، ١/ ٣١ .
[٩] صدر الدين الشيرازي: الحكمة المتعالية ، ٧ / ٣٦ .

وعلى ذلك سيكون هناك اربع اصناف رئيسة من الناس بحسب درجة الفهم لديهم ،وهم أهل الظاهر وأهل الباطن ، وأهل الحد وأهل المطلع ، ويتفرع كل صنف منهم الى عدة فروع[١]، فعن الامام علي (γ) : (إنَّ الوحي قد انقطع بعد رسول الله (ο) ، وما بقي بأيدينا إلا أن يرزق الله عبداً فهماً في هذا القرآن)[٢]، فالقرآن هو نص معجز ليس لفهمه حد، فان شاء الله رزق من اراد سعةً في الفهم وادراكاً أكثر من غيره وغيره اكثر منه وهكذا.

من هنا (كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بأضافتها الى أولي العقل ، ومرة الى أولي العلم ، ومرة الى السامعين ،ومرة الى المفكرين ، ومرة الى المتذكرين ، تنبيهاً على بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها)[٣]، ومن هذه الايات:

قوله تعالى :((ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ))[٤].

وقوله تعالى :((ڻ ڻ ڻ ں ں ڻ ڻ))[٥].

وقوله تعالى : ((ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ))[٦] ، وقوله تعالى: ((ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ)) [٧].

وكثير غيرها لا مجال لذكرها تبين درجات الناس واصنافهم وتفاوتهم في الاستيعاب والادراك ، وقد وردت روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة (β) تؤكد ما لأصحابهم وللناس من مراتب ومنازل ، ففي رواية إنَّ يونس اشتكى الى الرضا (γ) ما يلقى من اصحابه من الوقيعة ، فقال (γ) : (دارهم فان عقولهم لا تبلغ)[٨].

---

[١] ظ/ابن عربي : الفتوحات المكية ، ١ / ١٨٧ .
[٢] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ .
[٣] الراغب الاصفهاني : مقدمة جامع التفاسير،٧٦ .
[٤] الرعد / ٣ .
[٥] العنكبوت / ٣٥.
[٦] يونس / ٦٧.
[٧] العنكبوت / ٤٣ .
[٨] المجلسي : بحار الانوار ، ٢ / ٦٨ ، ظ/ الخوئي :معجم رجال الحديث في ترجمة (يونس بن عبد الرحمن الاسدي) ،٢١/ ٢١٦.

اذ إنَّ لمعاني القرآن الكريم غوامض وخفايا لا تدرك الا لصنف خاص من الناس حيث (ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من اسراره واغواره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم ، وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب.. فلهم درجات في الترقي الى اطواره واغواره)[١]، فما وصل اليه العلماء الراسخين في العلم من اسرار القرآن هو مكمل لما فُهِمَّ من ظاهره [٢].

فإنَّ للقرآن (في كل مرتبة ومقام حملة يحفظونه ويكتبونه ولا يمسونه إلا بشرط طهارتهم عن حدثهم أو عن حدوثهم .. والقشر من الإنسان لا يدرك إلا القشور من القرآن ، والإنسان القشري من الظاهرية لا يدرك إلا المفهومات القشرية والنكات البيانية والأحكام العلمية والسياسات الشرعية ، واما روح القرآن وسره ولبه فلا يدركه الا أولوا الألباب ، وذوو البصائر)[٣]

وما يعضد ذلك قوله تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ *ﭓ ﭔ ﭕ *ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)) [٤]، فإنه (ظاهر في أنّ للقرآن موقعاً هو في الكتاب المكنون لا يمسه هناك أحد إلا المطهرون من عباد الله)[٥].

فعن الإمام الصادق (γ) قوله : (عجباً للناس إنّهم أخذوا علمهم كله عن رسول الله (ο) فعملوا به واهتدوا ، ويرون إنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه ونحن أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي ، ومن عندنا خرج العلم اليهم أفيرون إنهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا إنّ هذا لمحال)[٦] ، وفي رواية عنه (γ) يقول فيها : (نحن ولاة أمر الله ، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله)[٧]، فإنَّ تلازم أهل البيت(β) للقرآن في قوله (ο) : (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) يدل على قابلية المعصوم اللامتناهية في فهم دلالات النص القرآني ومعانيه وعلومه لأن مقتضى التلازم أن يكون الملازم محيطاً بكل ما في النص .

---

[١] صدر الدين الشيرازي : تفسير القران الكريم ،٤/ ١٦١ -١٦٢.
[٢] المصدر نفسه ، ٤ / ١٦٢
[٣] صدر الدين الشيرازي : الحكمة المتعالية ، ٣ / ٣٩ .
[٤] الواقعة / ٧٧ – ٧٩ .
[٥] الطباطبائي : الميزان ، ٢ / ١٧ .
[٦] الصفار : بصائر الدرجات ، ٣٢ ، الكليني : الكافي ، ١ / ٣٩٨ .
[٧] الكليني : الكافي ، ١ / ١٩٢ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٢٦/ ٢٤٧ .

لذا فإن عندهم (β) علم القرآن كله ، كما دلت على ذلك الروايات عن ابي جعفر (γ) ، إنَّه قال : (ما يستطيع أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء)[١]، وقال ابو عبد الله حين سُئل عن الذي عنده علم من الكتاب اعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟ فقال (γ) : (ما كان الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب الا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر)[٢]، لذا فإنَّ من الناس من له قدرة على التعلم فيسعى ليتعلم ومن له من العلوم ما منَّ الله عليه بها ، لذا نجد إنّ (مفهوم التفسير قُيّد بقدر الطاقة البشرية ، وبناء على ذلك فأنه زيادة على كون المفسر بصيراً وواعياً فمن اللازم عليه إن اراد أن يستلهم المزيد من معارف القرآن ، أن يرجع الى (المطهرون))[٣]، لان بهم تكتمل تكتمل المعلومة التفسيرية ويظهر دليلها وسندها الأصل.

كما إنّ التفسير (الجامع لمجامع العلوم والأحكام ، والكافل للحقائق والدقائق ، والشامل للإشارات والعبارات ، والحاوي لأس مطالب الحكمة والعرفان ، لم يتيسر لاحد من العلماء والحكماء ، ولا يمكن ذلك الا لمن خص بهبة من الله تبارك وتعالى ووراثة من الانبياء ، واخذ العلم من مشكاة الاولياء ، واقتبس قوة قدسية ونورا من الله في قوالب انسية)[٤]، ولا يلقاها الا ذو حظٍ عظيم.

ومن هنا يتبين إنَّ مرجعية أهل البيت (β) الفكرية باعتبارهم امتداد لرسول (o) ، تنطلق مما ورثوه منه (o) من علوم ومعارف باعتبارهم الراسخون في العلم ، الملازمون للقرآن والعارفون بتمام ما فيه من علوم ومعارف ، ومن ذلك فإنَّ لهم القدرة على تفسير تمام القرآن ، وما يتضمنه من معاني خافية لا يمكن أن يصل اليها غيرهم فهم المختصون بكل ما في القرآن ، كما تثبت السنة المطهرة قابلية وامكان فهم غيرهم للقرآن ،وبالتالي امكان تفسيره ، ومعرفة جزء من معانيه كل بحسب قدراته العقلية وامكاناته الروحية ، وتكشف السنة المطهرة عن امكان فهم معاني القرآن وتفسيره ، فمن اراد أن يفهم عليه بالتدبر فيه واتباع سنة المعصومين

---

[١] الصفار : بصائر الدرجات ، ٢١٣ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩ / ٨٨ .
[٢] الحويزي : نور الثقلين ، ٢ / ٥٢٣ .
[٣] جوادي املي : تفسير تسنيم ، ١ / ٨٥ .
[٤] مصطفى الخميني : تفسير القران الكريم ، ١ /٦ .

وتوجيهاتهم ، فهو ليس خارجاً عن فهم الإنسان وامكانياته العقلية، أي إنّه قابل للفهم ، وهو قابل للتفسير ، ولكن على قدر درجات ومستويات عقول الناس وادراكهم .

الفصل الثاني : تأصيل السُنّة المطهرة لضوابط تفسير النص القرآني

المبحث الاول : الألتزام بحدود تفسير النص القرآني .

المبحث الثاني : اعتماد منهج التاويل وفق الضوابط المعتبرة.

المبحث الثالث : ادراك تضمن النص للظاهر والباطن.

الفصل الثاني

تأصيل السُنّة المطهرة لضوابط التعامل مع النص القرآني

يتبين دور السنة المطهرة في التأصيل لعلم التفسير من خلال التصدي لتفسير النص القرآني وبيان معاني آياته، ومن خلال ما بذلوه من جهد في بيان أهم الضوابط التي يجب ان يكون المفسر ملتزماً بها عند تصديه للكشف عن المقاصد والدلالات في النص الكريم.

وبعد أن تبين مرجعية أهل البيت (β) وتأكيدهم على إمكان تفسير القرآن الكريم بحسب امكانيات المفسر، فسيحاول هذا الفصل تتبع الضوابط التي يجب إن يكون المتصدي للتفسير في محيطها، بل أن يعمد اليها ويعتمد عليها ، وأن يسير في تفسير القرآن على هديها ، لذا سينقسم الفصل على ثلاث مباحث كما سيرد لاحقاً .

المبحث الأول
الألتزام بحدود تفسير النص القرآني

تبين السنة المطهرة الحدود اللازمة التي يجب على المفسر والمتصدي لهذه المهمة العظيمة الألتزام بها ، والتي تعينه على بيان دلالات النص القرآني من دون أن يحيد بفهمه بعيداً عما اراده الله ، وهذه الحدود يتمثلها الإمام ابو عبد الله (β) ، بقوله : (إنَّ للقرآن حدوداً كحدود الدار) [١].

المطلب الاول : الإحاطة بخصائص النص وطاقاته

من الضوابط المهمة في تفسير النص القرآني ، هو الاحاطة بكل ما يتصف به النص المقدس من خصائص ومميزات عامة وخاصة ، فاما العامة فهي ما يرتبط به النص ككل فكل آياته تمتاز بخصوصية الشمول واستمرارية الجري والانطباق وغيرها، والخاصة ما تختص بها بعض الآيات دون الأخرى أي تستقل بها وتتميز بها عن غيرها ، فبعض آيات النص القرآني محكمة واخرى متشابهة وبعضها عامة واخرى خاصة وغير ذلك من الخصائص ، كما إنَّ للنص المعجز طاقات تفيض بكمٍ من المعاني لامتناهي ولا حدود له يجب أن يكون المتصدي على احاطة بقدر كافي إن لم يكن بشكل تام بهذه القدرات والطاقات ،فليس للتفسير حد يتوقف عنده.

وهذا ما اشار اليه الإمام ابي عبد الله (γ) : (ما من أمر يختلف فيه اثنان الا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال) [٢] ، لهذا كان النص مطلقاً في كل زمان ومكان ، فقول الامام (γ) بـ(لا تبلغه عقول الرجال) ، دلالة اكيدة على ما يحمله النص من طاقات وخزين من المعلومات لكل ما ترتجيه البشرية في

---

[١] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٠٩/٩ .
[٢] الفيض الكاشاني : الصافي ، ١ / ٥٦.

قضاياها ولكن لا يمكن لأيٍ كان أن يصل اليه ، فمن الخصائص المهمة والتي يتميز بها القرآن الكريم:

اولاً : شمولية القرآن الكريم :

وردت الكثير من النصوص الروائية في بيان شمولية القرآن الكريم وكونه ((تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ))[١]، فعن ابي عبد الله (β) قال : (إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج اليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه) [٢]، فقد جعل الله للبشرية جميع الحلول لمشاكلهم وقضاياهم وأمورهم الدينية والدنيوية في هذه النص المعجز ، ولكن بعضه ظاهر وبعضه باطن لا يعلمه الا رسول الله (o) وأوصيائه (β) فالناس مأمورون بالرجوع اليهم والأخذ منهم ، فحكمة الله تقتضي عدم اهمال شيء منها لكي لا يكون للناس بعد ذلك على الله حجة[٣] .

وفي رواية أُخرى عن الإمام الباقر (γ) ، قال : (إنَّ الله لم يدع شيئا تحتاج اليه الأُمة الى يوم القيامة الا أنزله في كتابه وبينه الرسول (o) وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلا يدل عليه) [٤] ، فكل ما تحتاج اليه البشرية قد جعله الله في القرآن وجعل له حداً معيناً ووضعاً مقدراً لا يتجاوز عنه الى ما ورائه وجعل عليه دليلاً وبرهاناً يوجب الرجوع فيه اليه[٥] ،من هنا يمكن أن يقال بأنه (ما من أمر من الأمور الا وهو مذكور في القرآن اما بنفسه أو بمقوماته واسبابه ومبادئه وغاياته) [٦].

وفي رواية عن الامام علي (γ) يقول فيها : (أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه... والله سبحانه يقول : ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)) ، فيه تبيان لكل شيء ، وذكر إنَّ الكتاب يصدق بعضه بعضاً ، وأنّه لا اختلاف

---

[١] النحل / ٨٩.
[٢] الكاشاني : الصافي ،١٥١/٣.
[٣] ظ/ المازندراني : شرح اصول الكافي ، ٢/ ٢٧٥-٢٧٦ .
[٤] محمد الصفار : بصائر الدرجات ، ٦٢.
[٥] المازندراني : شرح أصول الكافي ، ٢٧٦-٢٧٧.
[٦] الفيض الكاشاني : الصافي ، ٥٨/١.

فيه)[١]، في هذا الحديث يذم امير المؤمنين اختلاف العلماء في الفتيا نتيجة حكمهم فيها بالرأي المنهي عنه ، بالرغم من إنَّ الله قد أتم دينه واكمله للناس باشتمال القرآن الكريم على جميع الأحكام ، وقد استدل (γ)بالآيات الكريمة الدالة على شمولية الكتاب العزيز وجامعيته لكل شيء ، فكل ما ليس في الكتاب وجب أن لا يكون في الشرع[٢] .

ويقول الامام الباقر(γ) : (قال الله سبحانه لموسى (γ) ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))[٣]، فعلمنا انه لم يكتب لموسى (γ) الشيء كله ، وقال الله سبحانه لعيسى (γ) : ((لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)) [٤] ، وقال لمحمد (o) : ((وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ))[٥])[٦].

إذ اثبت (γ) من خلال الآيات الكريمة إنَّ الكتب السماوية للأمم السابقة لم تكن شاملة لكل شيء ، ولم يجعل لها الله تعالى هذه الميزة التي خص بها الدين الاسلامي الخاتم للاديان السماوية ، بدليل قوله تعالى لموسى (ع) :((مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))[٧]، فـ (من) هي للتبعيض ويؤيده السياق بعده ((وموعظةً وتفصيلاً))أي ان الله قد بين لموسى(γ) بعض المواعظ والتفاصيل بحسب ما يحتاج اليها قومه في الاعتقاد والعمل وفي الكلام دلالة على إنَّ التوراة لم تستكمل كل ما تحتاجه البشرية من المعارف والشرائع ويؤكد ذلك ،قوله تعالى: ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ))[٨].[٩]

كما إنَّ قول عيسى (γ) لقومه : ((لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)) [١٠]، يؤكد إنَّ الله تعالى لم يكتب له في الأنجيل كل العلم الا ما اختلف فيه قومه من

---

[١] الشريف الرضي ،نهج البلاغة ، ١/ ٥٥.
[٢] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ٢٨٩- ٢٩٠ .
[٣] الاعراف /١٤٥.
[٤] الزخرف / ٦٣.
[٥] النحل / ٨٩.
[٦] العياشي : تفسير العياشي ، ٢٦٦/٢.
[٧] الاعراف /١٤٥.
[٨] المائدة / ٤٨.
[٩] ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ٨/ ٢٤٥ .
[١٠] الزخرف / ٦٣.

امور الدين[١] ، بخلاف القرآن الكريم المنزل على الرسول الكريم الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل ما تتعرض له البشرية من امور الدين والدنيا وما (من حادثة جليلة ولا دقيقة الا ولله فيها حكم قد بينه في الكتاب نصاً أو دليلاً)[٢].

فقد حفظ الله تعالى الدين الخاتم بالقرآن الكريم ليكون تاماً كاملاً في استيعابه لكل متطلبات البشرية ، إذ يقول الرضا (γ) : (إنَّ الله عز وجل لم يقبض نبيه (o) حتى أكمل له الدين ،وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام وجميع ما يحتاج الناس اليه كملاً ، فقال عز وجل : ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ))[٣])[٤]، فالمقصود به (كملاً) ، أي تمامه وكله ، أي إنَّ كل شيء وكل ما تحتاج اليه الأُمة في القرآن الكريم ، والإمامة من جملة ذلك [٥]. أي إنَّ كل ما تحتاج اليه الأمة الاسلامية بخاصة والبشرية عامة جعله الله في القرآن لكي لا يكون لاحد بعد ذلك حجة على الله، إذ قدره الله واسره في كلمات هذا النص المعجز ، وليس لأحد الوصول الى جميع مكنوناته الا من خصه الله بملازمة القرآن ، إذ يستطيع استخراج دره وكنوزه ، والوصول الى معاني الفاظه.

يكشف لنا الامام ابي جعفر (γ) عن ذلك بما نصه : (اذا حدثتكم بشيء فاسألوني اين هو من كتاب الله تعالى ، ثم قال في بعض حديثه ، إنّ رسول الله (o) نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال ، فقيل له : يا بن رسول الله (o) اين هذا من كتاب الله ؟ قال : ان الله تعالى يقول : ((لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ))[٦]، وقال : ((وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)) [٧]، وقال : ((لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ))[٨])[٩].

---

[١] الزمخشري: الكشاف ، ٣/ ٤٩٢ .
[٢] الجصاص : احكام القرآن ، ٣/ ٢٤٦.
[٣] الانعام / ٣٨.
[٤] الكليني : الكافي ، ١٩٩/١، الصدوق : عيون الرضا ، ١٩٥/٢.
[٥] ظ/المازنداني : شرح اصول الكافي ، ١٩٣/٥.
[٦] النساء /١١٤.
[٧] النساء /٥.
[٨] المائدة /١٠١.
[٩] الطوسي : التهذيب ، ٧/ ٢٣١.

إنَّ هذا الحديث الشريف يبين الدقة التي يكشف بها أهل البيت (β) عن المسائل المختلفة من جهة ، ويبين أحد اساليب الكشف عن المعنى في النص القرآني من جهة اخرى ، كما يبين شمولية القرآن لجميع الأمور الدينية والدنيوية ، فالقران الكريم أصل لكل المعارف والعلوم (فما من حكم كلي وجزئي الا وهو أصله ومبتدؤه وغايته ومنتهاه)[١].

كما إنَّ مضمون القرآن الكريم لا يختص بزمان دون زمان ، وإنّ آياته لا تقتصر على أسباب النزول ، بل تجري بتوالي العصور وتنطبق على كل زمان[٢]. وإنّ هذه الخصيصة تعّد من أهم الخصائص التي يمتاز بها النص القرآني المعجز المرتبطة بخلوده .

إذ إنّ للآيات القرآنية اتساعاً من حيث انطباقها على المصاديق وبيان حالها ، كالأمثال فإنها لا تختص بمواردها الاول ، بل تتعداها الى ما يناسبها[٣].

فالقرآن كتاب عالمي وخالد، بحيث إنَّ نطاق وأفاق رسالته لا تحدها الحدود الجغرافية، ولا تؤطرها الحدود الاقليمية ، ولا تؤثر في نطاق سعته وإحاطته فواصل امتداد الزمان[٤] ، فهو وإن كان قد نزل في عصر معين، وعالج قضايا واحداثاً خاصة ، وتحدث عن اشخاص معينين ماضين، أو معاصرين ، فإنه يتحدث الى جميع البشرية في مختلف العصور والأزمان[٥].

يقول الإمام الباقر (γ) : (ولو ان الآية اذا نزلت في قوم ، ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والارض ، ولكل آية يتلونها هم منها من خير او شر) [٦].

كما إنَّ شمولية القرآن تتعدى الى اكثر من ذلك ،فهو يجري كما يجري الليل والنهار ، والشمس والقمر ، يجري علينا كما يجري على سابقينا ، يقول الإمام

---

[١] المازندراني : شرح أصول الكافي ، ٢/ ٢٨٦.
[٢] ظ/رياض الحكيم ، علوم القرآن ، دروس منهجية ، ٣١/٢ .
[٣] ظ/كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٧٢/١ .
[٤] ظ/جوادي املي : تفسير تنسيم ، ٢١٠/١ .
[٥] ظ/محمد باقر الحكيم : علوم القرآن ، ٣٧٢ .
[٦] العياشي : تفسير العياشي ، ١٠/١ .

الصادق (γ) : (إنَّ القرآن حي لم يمت ، وإنّه يجري ما يجري الليل والنهار ، وكما تجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على اولنا)[١].

فعن الإمام الرضا (γ) في وصف القرآن : (هو حبل الله المتين وطريقته المثلى ، والمؤدي الى الجنة والمنجي من النار ، لا يخلق على الازمنة ولا يغث على الألسنة لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل إنسان ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد))[٢])[٣]

كما إنّ هذا الخزين الواسع من المعاني الذي يتصف به النص القرآني والذي تمثل فيه الآيات الكريمة معاني متحركة تنطبق عليها الكثير من المصاديق ، يعطي مساحة للمفسر تمكنه من أن ينهل من خزائن معارفه في كل زمان وبحسب امكاناته وقدراته.

ثانيا : الاحاطة بخصائص الآيات ومقاصدها

أ–ادراك طاقة النص على محاكاة الأفهام المختلفة

إنَّ هذه الإحاطة والشمولية في النص القرآني تقتضي محاكاته عقول البشر كل بحسب ما يفهم ، وقد ذكرنا سابقاً تفاوت درجات فهم الانسان[٤] فلا داعي للإعادة ، لكن لا بأس بذكر الرواية التالية للدلالة على هذا المعنى.

اذ يشير الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) الى : (ان الله قسم كلامه ثلاثة اقسام : فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، وقسماً لا يعرفه الا من صفا ذهنه ، ولطف حسه، وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام ، وقسماً لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم) [٥].

تبين الرواية إنَّ النص القرآني يقسم على ثلاثة اقسام ، ثم يبين (γ) معنى كل قسم من هذه الأقسام ، بقوله : (فأن ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله

---

[١] بحار الانوار ، ٤٠٤/٣٥ .
[٢] فصلت /٤٢.
[٣] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ٢ / ١٣٠.
[٤] ظ/ الفصل الاول ، المبحث الثالث ، المطلب الثاني من الرسالة .
[٥] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥١٠/٩.

(o) ، من كتاب الله ، فهو قوله سبحانه : ((مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...))[١]، وقوله ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))[٢] ، ولهذه الآية ظاهر وباطن ، فالظاهر هو قوله : (صلوا عليه) ، والباطن (سلموا تسليما) أي سلموا – لمن وصاه واستخلفه عليكم – فضله وما عهد اليه تسليماً وهذا فما أخبرتك إنّه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه وصفا ذهنه وصح تمييزه)[٣].

وتقسيم الإمام الحسين (γ) قريب لتقسيم الإمام علي (γ) ، حيث يقول : (كتاب الله على اربعة اشياء : العبارة ، والإشارة ، واللطائف ، والحقائق ، فالعبارة للعوام ، والإشارة للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء) [٤]*.

إنَّ كل آية لها اربعة اقسام بحسب روايات النبي (o) وأهل بيته (β) ، ففي رواية عن الرسول (o) : (ما في القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ، وما فيه حرف الا وهو حدّ ، ولكل حدّ مطلّع)[٥].

---

[١] النساء /٨٠ .
[٢] الاحزاب / ٥٦ .
[٣] الطبرسي : الاحتجاج ، ٣٧٦/١، المجلسي : بحار الانوار ، ٤٦/٨٩ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار، ٨٩/ ٢٠ .
* يقول الجنابذي في معنى الرواية : (اما العبارة : هي العبارات والنقوش الدالة على المفاهيم العرفية الصادقة على المصاديق الحسية الطبيعية ، وهذه المرتبة للعوام الذين لا يتجاوز ادراكهم المحسوسات ، بمعنى ان العوام محصور ادراكهم في هذه المرتبة ،والاشارة : هي دلالة المصاديق الحسية واشاراتها الى المصاديق الروحانية واللطائف الحاصلة في وجود المدرك ، ولا يدرك هذه المرتبة من القرآن الكريم الا الخواص الذين توجهوا الى الاخرة ، واشتغلوا بأنفسهم ، فتذكروا النشأة الاخرى من النشأة الاولى ، وموجودات العالم الصغير من العالم الكبير.
واللطائف : عبارة عن الدقائق التي يجدها الانسان في وجوده من انموذجات مصاديق العالم الكبير وهذه المرتبة لا ولياء الله الذين كان لهم قلب من حيث ولايتهم، وهو يشير بذلك الى مرتبة تصاعدية من الايمان الخالص الذي انشغل اصحابه بالأخرة عن الدنيا وهو قريب من الاشارة وملازم له فان للأولياء معرفة الاشارة اضافة الى اللطائف .
والحقائق مصاديق القرآن الكريم وهذه المرتبة لا تتحقق الا لمن تحقق بها او شاهدها وعاينها وهم الانبياء (ع) او الاولياء من حيث خلافتهم للأنبياء ، فان لهم شأن النبي في معرفة المصاديق التامة للآيات القرآنية والتحقق بها ومشاهدتها. وكل من له المرتبة العليا فانه متسلط على المرتبة الادنى دون العكس ، فصاحب الحقائق له معرفة ودراية بجميع المراتب الاخرى).
الجنابذي : بيان السعادة في مقامات العبادة ، ١/ ١٤ .
[٥] الطبري : تفسير الطبري ، ٢٢/١ .

وفي نفس المعنى عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) : (ما من آية الا ولها اربعة معان ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد هو احكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد بها) [1]، وإنَّ لهذه الأقسام اهمية كبيرة في علم التفسير، لذا سنرجي الحديث عنها والتفصيل لها في محله من البحث انشاء الله.

إنَّ بيان أهل البيت (β) لهذه الاقسام بمعاني متعددة يدل بما لا يقبل الشك على ضرورة الاحاطة التامة بهذه الاقسام ليكون المفسر على بينة من إنَّ النص لا يقف عند المعنى الظاهر فقط ، بل إنَّ طاقة النص على إعطاء المعاني تصل الى حد لا تصل اليها العقول ، ولا يدركها الا الخواص، لذا فان هذه الضابط يلزم المفسر بعدم الركود على المعاني الظاهرية للآيات فحسب ، بل محاولة استجلاء وبيان معاني ادق واعمق من النص القرآني.

ب- تحديد دلالات النص القرآني

تقسم السنة المطهرة النص القرآني بحسب دلالات آياته الى عدة اقسام ، فعن رسول الله (o) : (أنزل القرآن على سبعة احرف ، وهي : أمر ، وزاجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل) [2]*.

ويفصل الإمام علي (γ) هذه الاقسام بدقة ، إذ يقول (γ) : (فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن سبعة اقسام ، كل منها شاف ، كاف ، وهي : أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، ومثل ، وقصص ، وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، وخاص ومقدم ، ومؤخر ، وعزائم ورخص ، وحلال وحرام ، وفرائض

---

[1] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ .

[2] الطوسي : التبيان ، ٧/١ ، الطبري : تفسير الطبري، ٤٩/١ ، الهندي : كنز العمال ، ٥٥/٢.

* الرواية كانت محل خلاف عند المذاهب الاسلامية ، حيث فسرت الاحرف بالقراءات السبعة بل اختلفوا في معناه الى ما يبلغ اربعين قولاً ، واشهرها الحمل على القراءات السبع ، وتم مناقشة هذه الاقوال بما يخلص الى انها تعني انواع التراكيب والمعاني من امر ونهي وقصص وغيرها . ينظر / الشهيد الثاني: مسالك الافهام ، ٤٢٩/١، الطوسي ، التبيان ، ٧/١، المحقق الهمداني : مصباح الفقيه ، ٢٧٤/٢ .

واحكام...الخ)[1]، في هذه الروايات أشارة الى نزول القرآن على عدة اقسام فكلا الروايتين قسمت دلالات النص الى سبعة اقسام (أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل)، فالنص الكريم فيه آيات تخاطب الناس وتأمرهم بفعل الواجبات وتنهى عن المحرمات ، وآيات أخرى تحث على فعل بعض الاعمال وتحببها في النفوس ، بينما تحذر آيات اخرى عن بعض الافعال المكروهة وتخوف الناس من الاقدام عليها أو التفكير بفعلها ، كما في القرآن آيات كثيرة تحكي اخبار الامم السابقة وتصور افعالهم بدقة لتكون عبرة للجميع ، وآيات يضرب بها الله الامثال للناس ليعتبروا بها وايات جدل .

إنَّ تقسيم أهل البيت (β) آيات النص القرآني الى هذه الأقسام ، فيه اشارة الى أهمية هذه الأقسام واهمية ادراكها والوقوف عليها في الكشف عن معارف القرآن الكريم وعلومه ، للتمكن من الاحاطة بكافة العلوم التي تُسهم في الكشف عن المعنى المراد.

ثالثاً : ضرورة الوقوف على انواع الترابط الجملي في النص القرآني

من خلال التتبع لروايات الائمة (β) نجد تأكيدهم على ضرورة معرفة أنواع العلاقات التي تربط أجزاء النص القرآني بعضها مع بعض ، إذ تتخذ العلاقات بين آيات النص القرآني انواعاً مختلفة ، ومن هذه العلاقات الاستطراد والألتفات ، فالاستطراد (هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر ، وقد جعل الأول سبباً اليه)[2]، وأسلوب الاستطراد موجود بكثرة في النص القراني .

اما الالتفات فهو من القواعد البلاغية التي يتميز بها أسلوب القرآن الكريم ، (فحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يُقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى

---

[1] الكاشاني : الصافي ، ٥٩/١، المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .
[2] احمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٧٩.

صيغة كالتحول من خطاب الحاضر الى الغائب ومن خطاب الغائب الى الحاضر ، او من فعل ماض الى مستقبل او من مستقبل الى ماض)[١]، وهكذا دواليك.

يشير أمير المؤمنين علي (γ) الى تضمن النص لهذين الاسلوبين في النص القرآني ، وإن لم يكن تسميتهما بالمصطلح نفسه، حيث اسماه بـ (المنقطع والمعطوف) ، إذ يقول (ع) : (وفي القرآن ... ومنقطع ومعطوف ومنقطع غير معطوف) [٢].

ويقول (γ) في موضع آخر مبينا المراد منه : (والمنقطع المعطوف في التنزيل هو إنَّ الآية من كتاب الله عز وجل كانت تجيء بشيء ما ، ثم تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك ،وتجيء بمعنى غيره ، ثم تعطف بالخطاب على الأول)[٣]، ففي قوله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[٤]، يقول الإمام أمير المؤمنين (γ) : (ثم انقطعت وصية لقمان لإبنه فقال : ((وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)) الى قوله : ((ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[٥] ، ثم عطف بالخطاب على وصية لقمان لابنه فقال : ((يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))[٦])[٧]، فمن الاستطراد الواقع في الآية الكريمة في قوله : ((يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ)) ، من سياق التكلم مع الغير الى سياق التكلم وحده في قوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ))، لقصد التأكيد لما فيه من النهي عن الشرك بالله ، ولما للوالدين من حقوق على الولد هي من أشد الحقوق واعظمها وجوباً فجعل الشكر لهما مقترناً بالشكر لله متمثلاً بطاعتهما الا في الشرك بالله[٨] ، من هنا يتبين إنّ الانتقال من سياق المخاطب الى

---

[١] ابن الاثير : المثل السائر ، ١٦٧/٢ .
[٢] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .
[٣] المصدر نفسه ، ٩٠ / ٣٠
[٤] لقمان / ١٣ .
[٥] لقمان / ١٤-١٥ .
[٦] لقمان / ١٦ .
[٧] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠/ ٣٠.
[٨] ظ/ الطوسي : التبيان ، ٨/ ٢٧٥ .

سياق التكلم في الآيتين ، إذ إنه يبين عقيدة التوحيد لله تعالى والنهي عن الشرك به واهمية شكر النعم التي انعمها تعالى على الانسان ، واعظمها نعمة الوالدين وما غرسه في قلبيهما من عاطفة عظيمة تجاه الأبناء ، فربط الشكر للوالدين بالشكر لله ،(للدلالة على وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله بل هو من شكره تعالى لانتهائه الى وصيته وأمره تعالى ، فشكرهما عبادة له تعالى وعبادته شكر)[١] وأوجب طاعتهما الا في الشرك بالله ، وبذلك يعود ليربط الآية : ((وإن جاهداك على أن تشرك بي)) ، بالآية الكريمة: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) ، ثم عاد ليعطف على وصية لقمان لأبنه ((يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ)) ، ليؤكد عظمة الله وقدرته وإنّه لايعجزه شيء عالم لنفسه لا تخفى عليه خافية وإنَّ كانت بمقدار حبة الخردل فيجازي بها ، وفي ذلك غاية التهديد والحث على طاعة الله .

وعن الامام علي (γ) أيضا قوله : (ومثله قوله عز وجل : ((ذ ذ ث ث ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ق ق)) [٢] ، ثم قطع الكلام بمعنى ليس يشبه هذا الخطاب فقال : ((ڤ ڤ ج ج ڄ ڄ ج ج ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ))[٣] ثم عطف على المعنى الأول والتحريم الاول فقال سبحانه : ((ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ))[٤]) [٥].

فضلاً عن إنَّ المنقطع والمؤلف من أنواع الترابط الجملي في النص القرآن اي متى ينقطع الكلام واين يتصل الكلام ، كما يعبر الامام علي (γ) : (والمبهم من القرآن الكريم في الفاظه المنقطعة والمؤلفة) [٦].

وقد أشار أهل البيت (β) الى تعدد أساليب الخطاب القرآني ، فعن ابي جعفر (γ) ما نصه : (إنّ الآية لتنزل اولها في شيء واوسطها في شيء ، واخرها في

---

[١] الطباطبائي : الميزان ، ١٦/ ٢١٦
[٢] المائدة / ٣ .
[٣] المائدة / ٣ .
[٤] المائدة / ٣ .
[٥] المجلسي : بحار الانوار ، ٣١/٩٠ .
[٦] الكاشاني : الصافي ، ٣٩/١ .

شيء) [1] ، إذ أن عدم الإحاطة الدقيقة في اسلوب القرآن الكريم هو ما يجعل كتاب الله أبعد من عقول البشر.

من هنا فإنَّ معرفة أساليب القرآن الكريم في الخطاب والحوار مهم جداً في تفسير النص والكشف عن معاني آياته ، فضلاً عن إن أهل البيت هم أول من بين ملامح هذه الأساليب .

المطلب الثاني : النهي عن التفسير بالرأي المذموم

إنَّ التفسير بالرأي المنهي عنه،هو :(الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الإجتهاد الصحيح)[2]، أو هو (توضيح معاني القرآن الكريم بموجب وجهة نظر خاصة لا تعتمد على غير المعتقد والفكرة التي يحملها المفسر وما اوتيه من تمكن في علوم اللغة والشريعة والثقافة العامة)[3]

وقد اختلف العلماء في الأخذ به أو النهي عنه استناداً الى روايات النهي ، يقول السيوطي (ت٩١١ هـ) : (اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل احد الخوض فيه فقال قوم لا يجوز لأحد ان يتعاطى تفسير شيء من القرآن وان كان عالماً اديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والاخبار والأثار ، وليس له إلا أن ينتهي الى ما روى عن النبي (o) في ذلك ،ومنهم قال يجوز التفسير لمن كان جامع للعلوم التي يحتاج المفسر اليها وهي خمسة عشر علماً)[4].

ويقول صبحي الصالح : (محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن الكريم زوراً وبهتاناً ، أما إذا كانت الشروط المطلوبة متوافرة في المفسر ، فلا مانع من محاولته بالرأي ، بل لعلنا لا نبعد أن قلنا ، إنَّ القرآن نفسه يدعو الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته وفق تعاليمه:((((ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ)))[5])[1]، وبذلك يكون التفسير

---

[1] المصدر نفسه ،٩٤/٨٩ .
[2] الغزالي : احياء علوم الدين ، ٢٩٢ .
[3] مساعد مسلم آل جعفر : مناهج المفسرين ، ٩٧.
[4] السيوطي : الاتقان ، ٤٧٧/٢ .
[5] محمد / ٢٤ .

بالرأي إما مقبول وهو ما اعتمد القواعد الصحيحة في التفسير ، وإما غير مقبول، وعلى هذا الأساس يقسم التفسير بالرأي الى قسمين ، هما :

أولاً: التفسير بالرأي المحمود

في هذا النوع من التفسير (يستعين – المفسر – بقواعد اللغة واساليب البيان ، من غير ان يخالف تفسيراً عن النبي (o.) أو يتنافى مع اسباب النزول التي صحت طرق اثباتها)[٢] .

إنَّ هذا النوع من التفسير يعتمد الأستنباط العقلي في بيان معاني النص القرآني ملتزماً بشروط وقواعد ضابطة، وقد وردت الكثير من الروايات تبين هذا القسم من التفسير ، فعن الإمام علي (γ) حين سُئل : هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله ؟ ، فقال : (لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه الا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن)[٣]،

وما روي عن الرسول (o): (القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه)[٤] ، فـ(إنَّ ما يهتدي اليه المفسر بعد التفكر والتأمل في مفردات الآية وجملها وسياقها ونظائرها من الآيات اذا كان له صلة لها فهو تفسير مقبول ولا صلة له بالتفسير بالرأي، واذا كانت الاية تتضمن حكماً فقهياً يرجع في فهم الموضوع وشرائطه وموانعه الى الروايات والاخبار المأثورة ، ثم يتمسك في موارد الشك في اعتبار شيء ، أو خروج فرد عن تحت الدليل باطلاقها أو عمومها فلا يعد ذلك تفسيراً بالرأي بل اجتهاداً معقولاً مقبولاً في فهم الاية) [٥] ،كما ان النوع من التفسير يعتمد فيه المفسر على الخلفية العقائدية الصحيحة ، فهي تصورات عقائدية مأخوذة

---

[١] صبحي الصالح : مباحث في علوم القران ، ٢٩٢.
[٢] الزرقاني : مناهل العرفان ، ١ / ٥١٨.
[٣] البخاري : صحيح البخاري ،٤/ ٣٠ .
[٤] الكاشاني : الصافي، ١/ ٣٦.
[٥] جعفر السبحاني : المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، ٧١.

من القرآن ومفاهيمه[١] ، فبهذا فان هذه الروايات تبين جواز التفسير بالرأي ولكن ضمن حدود وشروط معينة .

ثانيا : التفسير بالرأي المذموم

وردت العديد من الروايات عن الرسول (o) وال بيته (β) في ذم هذا النوع والنهي عنه ، ويعود النهي عن التفسير بالرأي لأعتماد المفسر الهوى والرأي الشخصي في تفسير النص القرآني سواء كان عالماً بأن معنى الآية خلاف ما فسره لميله الى مذهبه الخاص ، أو أن يكون جاهلاً بذلك لكنه يفسر الآية المحتملة لعدة اوجه مختاراً ما وافق هواه ورأيه ، أو قد يفسر الألفاظ الغامظة والمعاني الخفية اعتماداً على اللغة العربية من دون استظهار بالسماع والنقل والأثر [٢].

ويذهب الكاشاني الى إنَّ روايات المنع تختص بالمتشابهات ، :(إنَّ ذلك مخصوص بالمتشابهات دون المحكمات ، والا لم يصح لنا الانتفاع بالقرآن أصلاً بل ولا كل المتشابهات)[٣].

ويرى الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) إنّ المراد بالرأي إنّه اخطأ الطريق الذي يتبعه في التفسير فبألفاظه الى أهل اللغة ، وفي نحو الناسخ والمنسوخ الى السنة الشريفة ،فإن لم يجد فلا بأس بالاستدلال بما ورد على ما لم يرد ، او أراد به ان يوجه تفسير المعنى بحسب هواه ومذهبه ،أو في المتشابه ،أو في الجزم بمراد النص من دون دليل[٤].

ويذهب الطباطبائي الى إنَّ التفسير بالرأي مقوله في المنهج وطبيعة الطريق المتبع في التفسير ، فإن كان قد سلك الطريق الخاطئ ، فسيقع في التفسير بالرأي المنهي عنه، ويترتب عليه خطأ النتائج ، وإن اصاب المعنى المراد مصادفة [٥].

---

[١] محمد باقر الحكيم: تفسير سورة الحمد ، ٤٧.
[٢] ظ/ الغزالي : احياء علوم الدين ، ٢٩٢.
[٣] الفيض : الاصول الاصيلة ، ٤٩.
[٤] الالوسي : تفسير روح المعاني ، ٦/١
[٥] ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ٣/ ٧٦-٧٧ .

إذن فإن التفسير المنهي عنه هو التفسير من دون الألتزام بالضوابط ، ومن دون سلوك الطريق الصحيح في تفسير النص ، او إنه تفسير النص وفق الهوى والميل للانتصار لعقيدته ومذهبه .

وقد حذرت السنة الشريفة من هذا الأتجاه في التفسير بروايات عديدة ، منها ما روي عن الرسول (o) إنّه قال : (من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب)[١]، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : (إنَّ النبي (o) قال : (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[٢]، وعن ابي عبد الله الصادق (γ) ، وعنه (γ) ايضاً ، إنه قال : (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ)[٣].

فمن يفسر النص الكريم متبعاً هواه ورأيه الشخصي فيقوم بعرض آراءه الخاصة من دون مراعاة الضوابط فسيترتب عليه نتيجة خاطئة وإن صح منه المعنى ، فـ (الإضافة في قوله (برأيه) تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال في تفسير القرآن بما يفهمه فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس)[٤].

وان لم يقصد المفسر أن يفسر النص الكريم بهواه ورأيه الخاص لكنه لم يستند الى العلوم والضوابط والشروط الحاكمة في التفسير فأنه سيكون مفسراً للنص الكريم برأيه وان لم يقصد ذلك ، وما يثبت ذلك قول النبي (o): (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[٥] ، فهنا الرسول (o) أستعمل (من) الشرطية ، وفعلها (قال) والمراد به تفسير النص ، وبيان معانيه على وفق الرأي الشخصي ، لأن العلم يعني الاستدلال بالقرينة الصادقة على صحة المنطق التفسيري ، اما التفسير من دون دليل استدلالي مثبت لمشروعية صحة المعنى فهذا لابد من أن يخرج عن نطاق علم التفسير مطلقاً ، ولهذا جاء جواب الشرط بصيغة عقوبية حادة ، وهي قوله (فليتبوء مقعده من النار) ، وقوله (ليتبوء) هنا أمر أي فخذ مقعدك من النار ، بهذا

---

[١] الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ١ / ٣١٨، العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ ، ١٩٠ .
[٢] الطبري : تفسير الطبري ، ١/ ٥٨ .سفيان الثوري : تفسير الثوري ، ١٤.
[٣] الترمذي : سنن الترمذي ، ٤ / ٢٦٩، المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩ / ١١٢ .
[٤] الطباطبائي : الميزان ، ٣ / ٧٤ .
[٥] الطبري : تفسير الطبري ، ١ / ٥٥ .

نفهم إنَّ هذا النمط من بيان المعنى من القرآن أو هذا النمط مما يسمى بـ (التفسير) هو ليس بتفسير بل يعاقب عليه المرء .

وما روي عن ابي بصير ، قال : قلت لابي عبد الله (γ) : (ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنته ، فننظر فيها ، فقال : لا اما إنَّك إن أصبت لم تؤجر ، وإن أخطأت كذبت على الله تعالى)[١]، إذ إنَّ في القرآن الكريم الكثير من المعاني الغامضة لا يمكن معرفتها أو الوصول الى معانيها المرادة وليس لأحد أن يقول إنَّ المراد منها كذا الا بدليل من الكتاب والسنة المطهرة ، والا فان التفسير من دون ذلك يعتبر تفسيراً مذموماً وإن كان صحيحاً ووافق المراد الالهي للآية الكريمة ، ولخطورة هذا الاتجاه في التفسير فقد صور رسول الله (o) حالة من يلجأ اليه يوم القيامة تصويراً مخيفاً ، قال (o) : (من فسر القرآن بغير علم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار)[٢] ، فاللجام : هو الحبل او العصا التي تدخل في فم الدابة لقيادتها ويسد به فمها[٣]، فمن يتكلم بالتفسير من دون علم فان الله يلجم فمه يوم القيامة بلجامٍ من نار جزاءاً على ذلك.

لذا نجد إنَّ الرسول (o)يشدد على ضرورة الاستناد الى العلم في التفسير والا الترك ، يقول (o) : (فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم به فكلوه الى عالمه)[٤]، فإن كان المفسر مستنداً الى علم فلا حرج عليه أن يبين المعنى والمراد ، اما اذا لم يصل الى قرينة يمكن أن تكون دليلاً على تفسير الآية فيجب أن تترك لمن هو احق في تفسيرها ،فقوله (فكلوه الى عالمه) اي اتركوه الى من له مفاتيح هذا العلم وهم الرسول (o) واهل بيته (β) .

لذا نجد الإمام الحسين بن علي (γ) ينهى من يريد الخوض والكلام في الذات الالهية لأنه يعلم إنَّ من توجه الى هذا المقام ليس له ادنى علم به ، بل انه جاهل فيه متكلف ما لايعلم ، ففي رواية عن الإمام الصادق (γ) قال : (إن أهل البصرة

---

[١] الكليني : الكافي ، ١ / ٥٧ . العاملي :وسائل الشيعة ، ٢٧/ ٤٠ .
[٢] الهيثمي : مجمع الزوائد ، ١/ ١٦٣ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٨٩/ ١١٢ .
[٣] ظ/الزبيدي : تاج العروس ، ١٧/٦٤٠،ابن منظور : لسان العرب ، ١٢/ ٥٣٤.
[٤] احمد بن حنبل : مسند احمد ، ٢ / ١٨٥ .البغوي : تفسير البغوي ، ٣ / ١٣٩ ،المجلسي : بحار الانوار ، ٣٠/ ٥١٣ .

كتبوا الى الحسين بن علي (γ) ، يسألونه عن (الصمد)، فكتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[١].

لذا فإن كلا هذين الوجهين للتفسير المذموم – التفسير بالرأي والتفسير من غير علم – يؤدي الى الاستدلال بآيات غير مناسبة في تفسير آيات أخرى يراد بيان المعنى لها وهو معنى ضرب القرآن بعضه ببعض .

ومن هنا نجد الرسول (o) يزجر من يتجادل في تفسير القرآن بآيات اخرى من دون علم لينتصر لرأيه فيها ، فقد ورد عن الرسول (o) إنّه سمع قوم يتجادلون فقال : (إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وانما انزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه الى عالمه)[٢]، فان تفسير النص من خلال الاستدلال بآياته يجب أن يكون ايضاً وفق قواعد معينة ومنضبط بأصول محددة ، والا كان تفسير بالهوى والرأي المذموم .

وروي عن ابي عبد الله (γ) ، أنه قال : (قال ابي : ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر)[٣]، يقول الصدوق : سألت محمد بن الحسن عن معنى الحديث ، فقال : (هو أن يجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أُخرى)[٤]، فإن استُدِلَّ في تفسير آية بآية اخرى لا تعتبر مفسرة لها الا انها مشتركة معها بجهة من الجهات سواء باللفظ أو المضمون ليستدل بها على خصمه في اثبات شيء أو ينتصر لمذهبه الخاص او لاتجاه معين ، فانه بالتالي يسير بالآية الى غير معناها المراد لها ، بل يجعلها طوعاً لرغباته ، فيكون متجرأ على الله فيها لذا فأنه من مصاديق الكفر بالله وبكتابه .

---

[١] الصدوق : التوحيد ،٩١ ، الكاشاني : الصافي ، ٥/ ٣٩٢ ، العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٩٠ .

[٢] السيوطي : الدر المنثور ، ٢/ ٦ ،المجلسي : بحار الانوار ،٣٠ / ٥١٣ .

[٣] الكليني : الكافي ، ٢ / ٦٣٢ ،الصدوق : معاني الاخبار ، ١٩٠ .

[٤] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٨٣ ، الصدوق : معاني الاخبار ، ١٩٠.

فالمراد من ضرب القرآن بالقرآن هو ايجاد الخلط والاضطراب في تفسير القرآن ، اما بتأثير الاتجاه المذهبي او الفكري الذي يؤدي الى التنافي بين الآيات القرآنية ، ما يؤدي الى صرفها عن ظاهرها الى غير المراد منها، وهذا ما نجده في أغلب المذاهب الاسلامية من المجبرة والمفوضة وغيرهم[١].

كما قد يكون معنى ضرب الآيات بالآيات الاخرى هو الاستدلال بالآيات المتشابهة التي لايمكن للمفسر أن يبين معناها الا بعد الرجوع الى محكم القرآن ، اولعدم معرفته بالايات الناسخة من المنسوخة ، والعامة والخاصة والمطلقة من المقيدة ، وغيرها ، وهذه الروايات تبين خطورة تفسير القرآن من دون تبني القواعد الصحيحة في اختيار الآيات المناسبة في تفسير الآيات الأُخرى ، والتي سنقف على اهمها، وهذا ما يشير اليه ، قوله : (هو أن يجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية اخرى)[٢] .

من هنا فإنَّ التفسير بالرأي المقصود في الروايات الشريفة هو التفسير بالرأي المذموم، المعتمد تفسير النص بالرأي والهوى المنتصر لمذهب أو اتجاه معين أو هو التفسير الغير مستند الى الضوابط والعلوم والمعارف اللازمة للتفسير الصحيح وبالتالي فان كلا هذين النوعين من التفسير يؤدي الى الاستدلال ببعض الآيات التي لا تكون مناسبة للاستدلال بها في تفسير آيات اخرى المراد معرفة المراد منها ومعناها ، أو قد يكون مع العلم بعدم مناسبتها للاستدلال ومع ذلك يستدل بها ، وهذه المعاني للتفسير بالرأي المذموم هي ذات المعاني التي ذهب اليها العلماء والمفسرون مما يؤكد انها اخذت من اهل بيت النبوة (ع) من دون ادنى شك .

---

[١] ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ٣/ ٨١ .
[٢] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٨٣

المبحث الثاني
اعتماد منهج التأويل وفق الضوابط المعتبرة

يعتبر تأويل النص القرآني من أهم المباحث التي عنى ببيانها أهل البيت (β) ، واستاثر بالعديد من رواياتهم الشريفة ، وهذا ليس بغريب لما له من أثر في الكثير من العلوم كالتفسير والعقائد والفلسفة وغيرها.

المطلب الأول : مفهوم التأويل واقسامه

اولاً : مفهوم علم التأويل

التأويل في اللغة :

من آل بمعنى رجع[١] ، وأول ، ابتداء الأمر وانتهاؤه ، وتأويل الكلام : وهو عاقبته وما يؤول اليه ، وذلك قوله تعالى : ((ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)) [٢] يقول : ما يؤول اليه في وقت بعثهم ونشورهم[٣]، بهذا نفهم إنَّ التأويل مرجع الشيء ومرده وانتهاؤه .

(وسُئل ابو العباس احمد بن يحيى عن التأويل ، فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد. وقال ابو منصور : التأويل جمع معاني الفاظ اشكلت بلفظ واضح لا اشكال فيه)[٤] ، من مقولة ابي العباس نلحظ إنَّه لم يفرق بين التأويل والتفسير، بل

---

[١] ظ/ الفراهيدي : العين ، ٣٦٩/٨.
[٢] الاعراف / ٥٣ .
[٣] ظ/ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ١٦٠/١.
[٤] ابن منظور : لسان العرب ، ٢٦٤/١ .

عدهما واحداً ، على حين أن ثمة فرقاً معجمياً واصطلاحياً بيناً، فالتفسير الكشف والبيان [١]، إما التأويل فهو إرجاع الشيء الى منتهاه ، وبهذا لا نرى له كبير حق في جعلها مترادفين ، إما مقولة أبي منصور فتدل على إنّ التأويل هو عبارة عن تكثيف مضموني قد اختُزِلَ في لفظ واحد ، وان هذا اللفظ لا اشكال فيه من أجل معرفة تلك المعاني لأن ذلك اللفظ يقبل تعدد المعنى على وفق الدليل والسند فكلٌ يدلي بدلوه بمعنى معين يحتمله اللفظ إذا كان ثمة دليل يساعد على ذلك الاحتمال .

التأويل في الاصطلاح :

التأويل عند الطوسي هو (التفسير وأصله المرجع والمصير)[٢]، من هنا نلحظ إنّ الاوائل من اللغويين والمفسرين لم يفرقوا بين التأويل والتفسير تفريقاً واضحاً، بل عدوهما واحداً على سبيل الترادف ،وقال الثعالبي :(التأويل هو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسُنّة من طريق الاستنباط) [٣]، بهذا نفهم إنّ من شرائط التأويل عدم مخالفته لثوابت الكتاب ومسلمات السُّنة .

ويرى الطبرسي إنَّ التأويل : (رد أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر)[٤] .

اما الذهبي فيقول : (وأما التأويل ، فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل اليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب ، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك) [٥].

اما الطباطبائي ، فقد عرفه بقوله : (إنّه الحقيقة الواقعية التي تستند اليها البيانات القرآنية من حكم او موعظة أو حكمة ، وإنّه موجود لجميع الآيات القرآنية

---

[١] ظ/الطبري: جامع البيان ، ٩/ ٣٨٨، الطوسي :التبيان ، ٧/ ٤٨٩ ،البغوي : معالم التنزيل ، ٢/ ٨٣.

[٢] الطوسي :التبيان في تفسير القرآن ، ٣٩٩/٢ .

[٣] الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ١/ ٤٥.

[٤] الطبرسي : مجمع البيان ، ٨٠/١ .

[٥] الذهبي : التفسير والمفسرين ، ١٨/١ .

محكمها ومتشابهها وإنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هو من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ وانما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من اذهاننا بعض التقريب ، فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع ، كما قال تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (*)وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ))[١]) [٢].

ثم قال : (إنّ المراد بتأويل الآية ليس مفهوماً من المفاهيم تدل عليه الآية سواء كان مخالفاً لظاهرها أو موافقاً ، بل هو من قبيل الأمور الخارجية ، ولا كل أمر خارجي حتى يكون المصداق الخارجي للخير تأويلاً له بل أمر خارجي مخصوص نسبته الى الكلام نسبة المحتمل الى المثل والباطن الى الظاهر) [٣] ، عند التأمل في نص الطباطبائي نجده يرى إنّ التأويل مضمون لا يدل عليه اللفظ دلالة مباشرة بل هو خارج عن نطاق شبكة الألفاظ – كما يعبر – وإنما يشير اليه اللفظ ويرمز له لاغير ، إما المعنى المؤول فهو مصداق خارجي عن اللفظ يمكن أن يحتمله اللفظ لأنه أشار اليه توافقاً وبهذا نجد الطباطبائي يشير من طرف خفي الى إنّ التأويل ينطبق على قاعدة الجري والانطباق بل يتجسد فيها ماهيةً.

وعند محمد باقر الصدر نجد إنّ: (التأويل جاء في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول اليه الشيء لا بمعنى التفسير وقد استخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، اي : على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة) [٤].

فالتأويل (يتصل بأشكال التعبير الظاهرة ، وردها الى مستوى أصلي لينكشف المعنى بالدلالة الوضعية ، وبيان إنَّ الخروج عن مألوف العبارة لا يبدل من ذات المعنى وانما هو معنى إضافي يترتب على المعنى الأصلي)[٥]، ليكون مصداقاً آخر له.

---

[١] الزخرف / ٣-٤ .
[٢] الطباطبائي : الميزان ، ٤٩/٣ .
[٣] المصدر نفسه ، ٤٦/٣ .
[٤] محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ، ٣٠٥ .
[٥] حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب ، اسسه وتطوره ، ٣٢٩ .

ويتضح من هنا إنَّ التأويل (استخراج مجهول من معلوم يستوجب الانطلاق من مقدمات تصون التأويل من الزلل وتقنع بسلامة النتيجة واستقامة الاستنتاج) [١] ، كعدم معارضة النتاج التأويلي للكتاب والسنة .

إذن فالمراد بالتأويل: هو الكشف عن مضمون دلالي خارج عن قيد الالفاظ التي بدورها تشير أو ترمز اليه بنحو من الانحاء ، فينجلي معنى جديد كان خلف ذلك اللفظ ، سواء كان هذا الكشف يبتني على المعرفة التامة باللغة والمتمسك بالقواعد والاسس الضابطة التي تمنع من الخطأ، أم كان خفياً لا يعرفه الا الراسخون في العلم.

بيان السنة المطهرة لأقسام علم التأويل

يقسم الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) التأويل على خمسة اقسام ، وهي : (ما تأويله في تنزيله ومنه ما تأويله قبل تنزيله ، ومنه تأويله مع تنزيله ، ومنه ما تأويله بعد تنزيله) [٢]، وما (تأويله غير تنزيله)[٣] من البين إنَّ بعض هذه الأقسام لم يأتِ بمعنى التأويل السابق وإن اسماه الإمام (γ) تأويلاً ، لذا سنحاول أن نقف على معنى ما أراده الإمام (γ) من هذه الأقسام :

١-ما تأويله في تنزيله

يقول (γ) : (فإما الذي تأويله في تنزيله ، فهو كل آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور المتعارفة التي كانت في أيام العرب ، فلا يحتاج فيها الى تفسير أكثر من تأويلها)[٤] ، يبدو ان الإمام (γ) يريد بهذا القسم ظاهر اللفظ في الآيات المحكمة دون المتشابهة ،والذي يفهمه عامة الناس فلا يحتاج فيها الى بيان، وهذا القسم قريب من التفسير فكأن الإمام أراد بلفظ التأويل (الفهم) .

---

[١] حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره ، ٣٢٩ .
[٢] المجلسي : بحار الانوار، ٣٦/٩٠ .
[٣] الطبرسي : الاحتجاج ، ١/ ٣٧٢.
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٧/٩٠ .

ويؤكده قول الإمام الباقر (γ): (ظهره تنزيله)[1]. وهذا القسم من التأويل الذي يفهم من ظاهر الآية هو ما أشار اليه الإمام علي (γ) ايضاً بقوله : (يعرفه العالم والجاهل)[2] ، ويمثل له الإمام علي (γ) بعدة امثلة يقول (γ) : (تحليل ما أحل الله سبحانه في كتابه ، وتحريم ما حرم الله من المآكل والمشارب والمناكح، ومنه ما فرض الله عز وجل من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، ومما دلهم به مما لا غنا بهم عنه في جميع تصرفاتهم مثل قوله تعالى : ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ))[3]، وهذ من المحكم الذي تأويله في تنزيله لا يحتاج في تأويله الى أكثر من التنزيل ومنه قوله عز وجل : ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ))[4])[5].

٢-ما تأويله قبل تنزيله

يبين الامام علي (γ) إنَّ هذا القسم مختص بالأمور التي حدثت في عصر رسول الله (ο) (مما لم يكن الله أنزل فيها حكماً مشروحاً ولم يكن عند النبي (ο) فيها شيء ولا عرف ما وجب فيها)[6]، ويمثل له (γ) بأمثلة عديدة من القرآن الكريم ، ومنها آية الظهار التي نزلت في أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة الانصاري ، حيث قال أوس لها : انتِ علّي كظهر أُمي ، ثم إنّه ندم على ما كان منه ، فجاءت خولة الى رسول الله (ο) ، فقالت :(يا رسول الله زوجي ظاهر مني)، وحيث كان الظهار في الجاهلية يحرم الزوجات على الازواج ابداً ، فقال لها الرسول : (ما أظنُك أن حُرِّمتِ عليه الى آخر الأبد) ، فجزعت جزعاً شديداً وبكت ، ورفعت يديها الى السماء ، فانزل الله تعالى : ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي

---

(١) الكليني : الكافي ، ٢/٢١٣ .
(٢) الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ١/ ٣١٣ .
(٣) المائدة / ٦ .
(٤) المائدة / ٣ .
(٥) المجلسي / بحار الانوار ، ٩٠/ ١٢.
(٦) المصدر نفسه، ٩٠/٦٩ .

زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))[1] ، الى قوله : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ)) [2])[3].

فـ (كل ما كان من هذا وشبهه في كتاب الله تعالى فهو تأويله قبل تنزيله) [4]، أي معرفة أمره ومفهومه يكون قبل إنزال النص وإنما نزلَّ النص وفهم لوجود سابق له من حدث، فكان تأويل الآي وفهمه من تقدم التنزيل.

ونجد الإمام الباقر (γ) يشير الى هذا المعنى ، بقوله : (ظهر القرآن الذي نزل فيهم ، وبطنه الذين عملوا بمثل اعمالهم) [5] ، اذن فهذا القسم هو ما يفهم من الظاهر بعد معرفة سبب النزول ، أي مدلول الآية الأولي الذي نزلت فيه، وهي تنطبق على مصاديق لاحقة ، مشابهة لعمل من نزل فيهم ، فقبل أن تتحقق هذه المصاديق تعتبر بطناً للآية ، ولكن بعد تحققها تكون ضمن هذا القسم –تأويله قبل تنزيله – ، من هنا يفهم إنَّ مراد الإمام (γ) من التأويل في هذا القسم هو ما تحقق وانطبق من مصاديق جديدة على سبب النزول .

٣–ما تأويله مع تنزيله

اما قوله (γ) : (ما تأويله مع تنزيله) ، فيمثل له الإمام (γ) ، بقوله تعالى : ((ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ))[6]، (فيحتاج من سمع هذا التنزيل عن رسول الله (ο) أن يعرف هؤلاء الصادقين الذين أًمروا بالكينونة معهم ، ويجب على الرسول أن يدل عليهم ، ويجب على الأئمة حينئذ امتثال الأمر ، ومثله قوله تعالى : ((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)) [7]، فلم يستغنِ الناسُ في هذا المعنى بالتنزيل دون التفسير كما استغنوا بالآيات المتقدمة التي ذكرت في آيات ما تأويله في تنزيله

---

[1] المجادلة / ١ .
[2] المجادلة / ٣.
[3] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٧١/٩٠ .
[4] المصدر نفسه ، ٧٧/٩ .
[5] الكليني : الكافي ، ١٢٧/١ .
[6] التوبة /١١٩ .
[7] النساء / ٥٩ .

، الا حين بين لهم رسول الله (o) إن الولاة للأمر الذين فرض الله طاعتهم من عترته المنصوص عليهم)[١].

وهذا بيان واضح منه (γ) وجلي بأن هذا القسم من المبهم والمجمل لا يمكن الوصول اليه ومعرفته من دون بيان الرسول (o) وبيان عترته الطاهرة (γ) ، وهو بخلاف القسم الأول الذي يمكن معرفته من ظاهر النص القرآني نفسه أو من داعي نزول ذلك النص المقدس.

ويضرب الإمام (γ) مثلا آخر ، بقوله تعالى : ((وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ))[٢] ، فيقول الإمام (γ) : (فلم يستغن الناس عن بيان ذلك من رسول الله (o) ، وحدود الصلاة كيف يصلونها ،وعددها، وركوعها، وسجودها، ومواقيتها وما يتصل بها ، وكذلك الزكاة والصوم وفرائض الحج وسائر الفرائض ، إنّما أنزلها الله وأمر بها في كتابه مجملة غير مشروحة للناس في معنى التنزيل ، وكان رسول الله (o) هو المُفسِّر له والمعلم للأُمة كيف يؤدونها ، وبهذه الطريقة وجب عليه (o) تعريف الأُمة الصادقين عن الله عز وجل) [٣]، اذن فهذا القسم من التأويل مختص بالنبي (o) وأهل بيته (β) ، فالصلاة والصيام وسائر الأحكام المجملة في القرآن التي تحتاج الى بيان منهم (β) لا يمكن لأحد بيانها أو معرفة تفاصيلها الا بعد الرجوع الى السنة المطهرة فيها .

٤- ما تأويله بعد تنزيله

وفي بيان الإمام علي (γ) لمعنى التقسيم الأخير من (التأويل) الذي عبر عنه (γ) ما تأويله بعد تنزيله ، يقول (γ) : (اما ما أنزل الله تعالى في كتابه مما تأويله حكاية في نفس تنزيله)[٤].

ويبين (γ) هذا القسم من خلال ما ورد من أنّ قريشاً سألت الرسول (o) عن بعض المسائل التي تعلموها من النصارى واليهود ، وهم قاطعون أنّه (o) لا يعلم

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٧٨/٩ .
[٢] البقرة / ٤٣ .
[٣] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠ / ٧٨.
[٤] المصدر نفسه ، ٧٩/٩٠ .

منها شيئاً ، فسألوه عن قصة أهل الكهف ، وعن موسى ابن عمران (γ) والعالم ، وعن ذي القرنين (γ) ، وعن قيام الساعة ، فنزل الوحي الإلهي على الرسول (o) بسورة الكهف وفيها قصص المسائل الثلاثة ، وكان جواب سؤالهم عن قيام الساعة ، أن انزل الله تعالى : ((يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ....وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ))[١] [٢].

فـ(الحوادث المستجدة ، أو المكتشفات العلمية الحديثة ، أو الموضوعات الشرعية الجديدة الحادثة التي يمكن أن تفهم مضمونها والإشارة اليها أو الى حكمها في القرآن الكريم مع انها لم تكن معلومة سابقاً ، وكانت بالنسبة لإنسان عصر النزول من معالم الغيب ، وعرفها اللاحقون فكانت من عالم الشهود ، فمعرفة كل ذلك يمثل تفسيراً للقرآن الكريم كان يعلمه أهل البيت(β))[٣].

وهذا المعنى ما اشار اليه الإمام علي (γ) : (ما تأويله بعد تنزيله فهي الأمور التي أخبر الله عز وجل رسول الله (o) أنها ستكون بعده ، مثل ما اخبر به من أمور القاسطين والمارقين والخوارج ، وقتل عمار جرى ذلك المجرى ، وأخبار الساعة والرجعة وصفات القيامة ، مثل قوله تعالى : ((هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ ...لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا))[٤]، و ((هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا)) [٥]... فهذه الآيات واشباهها نزلت قبل تأويلها ، وكل ذلك تأويله بعد تنزيله) [٦].

إذن فمعنى التأويل الأخير بحسب روايات أهل البيت (β) هو تطبيق مفاهيم القرآن الكريم على المصاديق المستقبلية ، وكما يفهم من رواية الفضيل بن يسار ، قال : سألت ابا جعفر (γ) عن هذه الرواية : (ما من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن

---

[١] الاعراف / ١٨٧ .
[٢] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٨١/٩٠-٨٢ .
[٣] محمد باقر الحكيم : علوم القرآن ، ٣٣٤.
[٤] الانعام / ١٥٨.
[٥] الاعراف / ٥٣.
[٦] المجلسي : بحار الانوار، ٧٧/٩٠.

، قال : ظهره تنزيله ، وبطنه تأويله ، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن ، يجري كما تجري الشمس والقمر ، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء ، قال الله تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)) نحن نعلمه)[١] ، وعن ابا عبد الله (γ) ، قال : (إنَّ للقرآن تأويلاً ، فمنه ما قد جاء ، ومنه ما لم يجيء ، فاذا وقع التأويل في زمان إمام من الائمة عرفه إمام ذلك الزمان) [٢]، اذن فإن التأويل في هذا القسم يختص ببيان باطن الآيات أي ما كَمِنَّ من المعاني خلف اللفظ ، ويعتبر من الأمور المستقبلية التي تعلم بعد تحققها لا قبله ولكن للمعصوم معرفتها والقدرة على بيانها قبل أن تحدث ، اذن فهذا القسم من التأويل كسابقه مختص بالنبي (ο) وأهل بيته الكرام(β) .

٥- ما تأويله غير تنزيله

يقول الامام علي (γ) في بيان هذا القسم من التأويل بقوله : (ومن كتاب الله عز وجل ما يكون تأويله على غير تنزيله ، ولا يشبه تأويله كلام البشر ولا فعل البشر)[٣]، أي إنَّ المراد من هذا القسم أن يكون فيه المعنى والمراد على غير ما يفهم من ظاهر اللفظ ، وهو يدل على ذلك المعنى برمز أو أشارة أو نحوٍ من الانحاء ، ويمثل له الامام بقوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □))[٤]، يقول (γ) في بيان ذهاب ابراهيم الى ربه : (فذهابه الى ربه توجهه اليه في عبادته واجتهاده ، الا ترى أن تأويله غير تنزيله)[٥]، فظاهر الآية يدل على ذهاب ابراهيم الى ربه، فكيف يكون ذهابه (γ) الا أن يكون له معنى باطن غير ظاهره ، وهو ما ذكره (γ) بدقة في إنَّ ذهاب ابراهيم انما هو انقطاع ابراهيم عن قومه وتوجهه الى الله بالعبادة والاجتهاد.

---

[١] محمد الصفار : بصائر الدرجات ، ١٦٩.
[٢] الصفار : بصائر الدرجات ، ١٩٥.
[٣] الطبرسي : الاحتجاج ، ١ / ٣٧٢.
[٤] الصافات / ٩٩ .
[٥] الطبرسي : الاحتجاج ، ١/ ٣٧٢.

كما يقول (γ) وهو يضرب عدة امثلة لهذا القسم : (وقال : ((ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ))[١]، وقال : ((ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ))[٢]، فأنزاله ذلك خلقه اياه ، وكذلك قوله : ((ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ))[٣]، أي الجاحدين في هذا القول باطنه مضاد لظاهره)[٤] ، فانزاله تعالى للانعام والحديد له معنى غير ظاهره وهو الخلق والايجاد .

كما نجد إنَّ ظاهر الآية الاخيرة يثير الاستغراب ولكن بعد بيان الإمام (γ) للمراد الحقيقي منها يتبين الحال وتزال الشبهة ، حيث فسر (العابدين) في الآية على غير ظاهرها وعكسه تماماً وإنَّ المراد به (الجحود) .

ومن قوله (γ) في جوابه على السائل : (فافهم مني ما أقول ، فاني انما ازيدك في الشرح لاثلج في صدرك وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه ، فلا يجد مجيباً عما يسأل عنه، لعموم الطغيان ، والافتتان ، واضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب الى الاكتتام والاحتجاب ، خيفة أهل الظلم والبغي) من هنا نفهم إنَّ هذا القسم يحتاج الى مرتبة خاصة من الناس في بيانه لقوله (ع) (أهل العلم بتأويل الكتاب) ، أي الذين يعتمدون في بيانه (على الضوابط والقوانين والقواعد اللغوية أو القرائن الحالية والمقالية أو المعلومات العلمية أو الحسية أو الشرعية أو الطبيعية أو غير ذلك من قوانين العلم والتوثيق)[٥].

من هنا يتبين إنَّ ما ذكره الامام (γ) من هذه الاقسام يمكن بدورها أن توضع في ثلاثة أقسام :

الاول : يضم كل من القسم الأول الذي يقصد منه الفهم من ظاهر النص والقسم الثاني وهو المعنى الذي يتحقق وينطبق على سبب النزول ، وهذين القسمين يرادفان معنى التفسير.

---

[١] الزمر / ٦.
[٢] الحديد / ٢٥.
[٣] الزخرف / ٨١.
[٤] الطبرسي : الاحتجاج ،٣٧٢.
[٥] محمد باقر الحكيم : علوم القرآن ، ٣٣٨.

الثـاني : يضـم كـل مـن القسـم الثالـث الـذي يخـتص ببيـان وتفصـيل السـنة المطهرة ولا غنـى لـه عنها وليس لأحد تكلف القول فيه غير الرسول (γ) وأهل بيته (γ)، والقسم الرابع الذي يختص بهم ايضاً وهو كل ما تعلق بالأمور المستقبلية والتي لـيس لأحـد أن يصـل اليهـا غيـرهم ، وهـذان القسـمان مـن التأويـل مـن مختصـات الراسخون فـي العلم وهم النبـي (o) وآل بيتـه (β) ، إذ ان هذا القسم من التأويل هو (عمليـة تطبيـق وتشـخيص تنسـجم مـع الظـاهر والتنزيـل والمحكـم وتعتمـد علـى المعلومات والقواعد والضوابط العامة أو الخاصة التي يتلقاها الانسان الصالح من الله تعالى)[١].

الثالث : وهو القسم الذي يمكن لأهل البيت (β) وفئة خاصة من الناس ادراك معانيه والمراد منه وهو من الباطن الذي يمكن الوصول اليه ضمن ضوابط وقواعد خاصـة باللغة والعلوم القرآنية وباتبـاع السنة المطهرة، وهذا القسم (عرضـي تـابع لا يوجـد ولا يتحقـق إلا بالاقتـداء ، ولا يصـلح ولا يسـتقيم ولا يوصـل الـى غرضـه الا بالمتابعـة)[٢]، والاتبـاع والاسترشـاد بغيـة نيـل المـدرك التـأويلي الأصـح مـن الـنص موضع النظر التأويلي .

المطلب الثاني :دور السنة المطهرة في بيان ضوابط علم التأويل

يبين أهل البيت (β) خطورة التصدي لتأويل النص القرآني بدون الإحاطة بأقسامه، التي يمكن أن يكون لغيرهم (β) القدرة والقابلية على معرفتها دون ما لا يمكن معرفتها إلا لأهل البيت (β) .

فقد وردت عنهم (β) عدة روايات تُلزم أن يكون التأويل بإتباع ضوابط محددة في تشخيص موارد الاختلاف والوجوه المتعددة ،كرواية عن الصادق (γ) : (ذلك بأنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض ،...واحتجوا بأول الآية وتركوا السنة في تأويلها ، ولم ينظروا الى ما يفتح الكلام والى ما يختمه) [٣]، لذا يجب أن يكون المتصدي

---

[١] محمد باقر الحكيم : علوم القرآن ، ٣٣٧.
[٢] حيدر الاملي : تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم ، ٣٤٥/١ .
[٣] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٨/ ١٤٨.

عارفاً بعلوم اللغة لقوله (γ) : (ولم ينظروا الى ما يفتح الكلام والى ما يختمه) ، وتأويل بهذا المعنى يستند (الى قانون اللغة والمنطلق في اساليب استخدامها ، والقائم على المجاز والكناية) [١].

اما عند تعذر معرفة تأويل الآية مع علمه هذا ، عند ذلك يجب التوقف وإيكال علمها الى سنة المعصومين (β) ، لذا نجد الإمام (γ) ، يقول للسائل : (ما دلك القرآن عليه من صفته فخذ به)[٢] فإن لم تجده في الكتاب ، فاطلبه من السنة المطهرة ، (سنة الرسول وائمة الهداة أثره) [٣].

وما ورد عن النبي (o) : (يا علي انت تعلم الناس تأويل القرآن مما لا يعلمون ، فقال علي : على ما ابلغ رسالتك من بعدك يا رسول الله ؟ قال : تخبر الناس بما يشكل عليهم من تأويل القرآن) [٤]، يضع الرسول بذلك ضابط مهم في تأويل القرآن الكريم وهو إرجاع المعنى الى السنة المطهرة عند العجز .

بالإضافة الى ذلك إنَّ من ضوابط هذا المرتبة من التأويل العلم بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمحكم والمتشابه ... وغيرها من العلوم التي سنتناولها بالدراسة انشاء الله . ففي رواية إنَّ علياً (γ) مرَّ على قاضٍ : (فقال له أتعرف الناسخ من المنسوخ ، قال : لا . قال (γ) : هلكت واهلكت ، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه) [٥]، الحديث يبين إنَّ من يحكم بكتاب الله يحتاج الى التأويل المستند الى معرفة الناسخ من المنسوخ وهو أحد علوم القرآن وقد خص الإمام (γ) السؤال عن هذا العلم دون غيره لاهميته في بيان الحكم الشرعي .

وفي تفسير العياشي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه (γ) ، إنَّ رجلاً قال لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) : (هل تصف لنا ربنا فنزداد له حبا وبه معرفة ؟ فغضب (γ) وخطب الناس فقال فيما قال : عليك – يا عبد الله – بما دلك عليه القرآن من صفته وتقدمك فيه الرسول من معرفته ، فأتم به واستضيء بنور

---

[١] حيدر الاملي : تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم ، ٣٠٠/١.
[٢] العياشي : تفسير العياشي ، ٢٩٢/١ .
[٣] المصدر نفسه ، ٢٩٢/١ .
[٤] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٠٤/٩.
[٥] المصدر نفسه ، ٥١٦/٩.

هدايته ، فإنما هي نعمة وحكمة اوتيتها ، فخُذ ما أُتيت وكن من الشاكرين ، وما كلفك الشيطان عليه علمه ما ليس عليك في الكتاب فرضه ، ولا في سنة الرسول وأئمة الهداة أثره ، فكل علمه الى الله ، ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ، واعلم – يا عبد الله – إنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السُدد المضروبة دون الغيوب ، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فقالوا : (آمنا به كل من عند ربنا) ، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخاً)[1].

فقوله (γ) : (الذين اغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب) ، (فالكلام ظاهر في تحضيض المخاطب وترغيبه أن يلزم طريقة الراسخين في العلم بالاعتراف بالجهل فيما جهله فيكون منهم...والمراد بالغيوب المحجوبة ، المعاني المرادة بالمتشابهات المخفية عن الأفهام العامة)[2].

والرواية في معنى الإنكار على من يريد التعمق في الذات الإلهية ، وهذا واضح من غضب الإمام (γ) من سؤال السائل : (صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً)، و(هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك لان العلم الحاصل من رؤية الشيء عياناً ، علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه ، لان ذاته تعالى لا يمكن أن تعلم من حيث هي هي ، كما تعلم المحسوسات) [3]، من هنا يجب تأويل الآيات التي تنسب الصفات الجسمية لله تعالى وان له يد أو وجه والتي تشير الى محدوديته كالمجيء واللقاء وغيرها ، من هنا يقرر الآملي إن التأويل بهذا المعنى واجب (يقتضي تركه الوقوع فيما هو ممتنع من المفاسد) [4].

من هنا يتبين انهم (γ) لا يمنعون من التأويل اذا كان منضبطاً بالقواعد والشروط المقررة في السنة المطهرة ، كما يتبين إنَّ التأويل على قسمين : الأول ،

---

[1] العياشي : تفسير العياشي ، ٢٩٢/١ .
[2] الطباطبائي : الميزان ، ٦٩/٣ .
[3] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ٤٠٤/٦ .
[4] حيدر الاملي : تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم ، ٣٠٠/١.

يختص به أهل البيت (β) ، والثاني ، ما يكون للبعض القابلية لبلوغه ، وإنَّ مقدرتهم على هذه المرتبة ليس بمعنى الاستقلالية من دون متابعة لأهل البيت (β) ،فهو مما يؤدي الى طريق الهلكة ، لذا فإنَّ هذا القسم من التأويل يتحقق بمتابعة أهل البيت (β) والاهتداء بهم والاسترشاد بتعاليمهم ، وما يضعه المعصوم من ضوابط ، تتمثل بضرورة الإحاطة بمستوى عالٍ من المعرفة باللغة والعلوم القرآنية واتباع سنة أهل البيت(β).

المبحث الثالث

ادراك تضمن النص للظاهر والباطن

مما اهتمت السنة المطهرة ببيانه والتاكيد على معرفته هو إنَّ النص في الفاظه يتضمن معنى ظاهر و آخر باطن ، ولبيان هذين المصطلحين وجب التعريف بهما بدقة ، لذا انقسم هذا المبحث الى مطلبين :

المطلب الأول : مفهوم الباطن والظاهر

الظاهر في اللغة : بدء الشيء المخفي ، ويظهر ظهوراً فهو ظاهر، والظاهر خلاف الباطن ، واظهره بيّنه ، وقيل الظهور : الظفر بالشيء والاطلاع عليه ، وظهرت البيت علوته ، وظاهر الجبل اعلاه ، والظاهرة : الأرض المشرفة[١] ، يقول ابن فارس : (وظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر اذا انكشف وبرز)[٢] . إذن الظهور هو اعلى الشيء وبروزه وانكشافه وبيانه للناظر.

الباطن في اللغة : (الباء والطاء والنون) أصل واحد ، والبطن خلاف الظهر ، وباطن الأمر خلاف ظاهره[٣]، ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر وبه شبه بطن الأمر ، ويقال لكل غامض بطن ولكل ظاهر ظهر ويقال لما تدركه الحاسة ظاهر ولما يخفى عنها باطن[٤] ، قال عز وجل : ((ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ))[٥]، إذن فالشيء الواضح البين هو الظاهر والشيء المخفي الغامض فهو الباطن .

الظاهر والباطن في الاصطلاح :

---

(١) ظ/ الزبيدي : تاج العروس ، ٧ / ١٧٥.
(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٤٧٧/٣.
(٣) ظ/ المصدر نفسه، ١/ ٢٥٩.
(٤) ظ/الاصفهاني : مفردات غريب القران ، ٥١
(٥) الانعام / ١٢٠ .

لقد تعددت اراء المفسرين والعلماء في بيان المراد من الظاهر والباطن في القرآن فكل منهم ذهب الى معنى معين يراه هو الأوفق:

فقد يكون ظاهر كل آية هو المعنى الذي يتضح لأهل العلم بظاهر القرآن ، اما باطنها فهو الأسرار التي تكمن فيها والتي اطلعَ الله أهلَ الحقيقة عليها[١] ، أو(يراد بالظهر ما يدل عليه اللفظ من المفهومات اللغوية ،وبالبطن ما يتدرج تحت تلك المفهومات من الحقائق واللطائف والدقائق والاسرار التي بعضها فوق بعض ، ولا يعرف جميعها إلا الطاهرون الراسخون في العلم) [٢].

وعند الالوسي فظاهر القرآن هو المطالب المذكورة بوساطة الألفاظ وتأليفاتها وضعاً وافادةً والتي تكون طرقاً الى استنباط الاحكام الخمسة ، اما الباطن فهو روح الألفاظ أو الكلام الذي لا يمكن الإحاطة به بالمدارك الحسية بل يفهم عن طريق جوهر الروح القدسية[٣]، يبدو مفهوم الظاهر والباطن في التعريفات الثلاثة هو ذاته فقد دلت على إنَّ الظاهر هو اللفظ بما تدل عليه اللغة العربية ولنا القدرة على فهمه ، اما الباطن فهو ما خفي من معاني خلف اللفظ ولا يمكن الوصول اليها بسهولة .

والظاهر والباطن عند الطباطبائي هي معان متعددة نسبية مقصودة من الكلام احدها في طول الآخر . ففي الوهلة الأولى يفهم من أي كلام معناه السطحي المتبادر أولاً ، ومع التحليل والتأمل يظهر معنى ثانٍ ، وهذا المعنى يعد باطناً قياساً الى المعنى المتبادر الأول ، ولكنه يعد ظاهراً قياساً الى المعنى الثالث الذي يفهم مع التعمق وطول النظر وزيادة التأمل . وهذا الأخير باطن قياساً الى المعنى الثاني ، وظاهر قياساً الى المعنى الأعمق الذي يستحصل من التحليل الأكثر عمقاً [٤] ، وعلى ذلك يكون (الظهر والبطن أمران نسبيان ، فلكل ظهر بطن بالنسبة الى ظهره وبالعكس) [٥]، فعندما يفهم المعنى السطحي للفظ عندئذ يكون ظاهراً وعندما يكشف عن معنى آخر لهذا اللفظ يعتبر هذا المعنى باطن لهذا الظاهر ولكنه سيكون ظاهراً

---

[١] ظ/ السيوطي :الاتقان ، ٢/ ٤٦٨ .
[٢] المازندراني : شرح اصول الكافي ، ١٠/١١ .
[٣] ظ/ الالوسي : روح المعاني ، ١ / ٧ .
[٤] ظ/الطباطبائي : القران في الاسلام ، ٢٧.
[٥] الطباطبائي : الميزان ، ٣ / ٧٣ .

بدوره لمعنى آخر الذي يكون باطناً له ،وهذا المعنى دقيق جداً ، ولكنه لم يذكر لنا إنَّ ظاهر اللفظ الذي يتبادر منه المعنى من خلال المعرفة باللغة قد يحتمل نفس هذا الظاهر عدة معاني تكون بواطن لهذا الظاهر ، بل إنَّ كل باطن انكشف وصار ظاهراً له عدة بواطن تعتبر معاني خفية خلف هذا الظاهر .

كما إنَّ اللفظ اذا كان ظاهراً في معنى خاص لا على وجه النص فيه الذي لا يحتمل معه الخلاف ، بل كان يحتمل أرادة خلاف الظاهر فإن الأصل حينئذ أن يحتمل الكلام على الظاهر فيه ، كما إذا كان الكلام ظاهراً في المجاز واحتمل ارادة الحقيقة انعكس الأمر وكان الأصل من اللفظ المجاز ،ومقتضاه الحمل على المعنى المجازي ، وهكذا لو كان الكلام ظاهرا في التخصيص والتقييد [١] ، فالحمل عليهما أولى من إرادة العموم والاطلاق.

فحد الظهور هو الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة [٢] من ظاهر اللفظ ، وهذا ما أشار اليه الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) بقوله (يعرفه الجاهل والعالم) [٣]، وبقول الإمام الحسين (γ) : (العبارة للعوام) [٤]. بخلاف الباطن الذي لا يمكن أن يدرك إلا للخواص وبالخواص.

من هنا يكون الظاهر هو المعنى الذي ينسبق الى الذهن بسهولة من خلال المعرفة باللغة ، والباطن ما كّمِنَّ من معاني خلف ذلك اللفظ لا تتبين للقارئ بسهوله فالبعض منها يمكن الكشف عنه من خلال مستوى عالٍ من المعرفة بالعلوم اللغوية والعلوم القرآنية وغيرها ، اما البعض الآخر فلا يمكن أن يصل اليه وانما ينكشف للخواص من الراسخين في العلم ، والباطن الذي تبين معناه وصار ظاهراً فهو بدوره له عدة معاني باطنة ايضاً قسم منها يمكن أن ينكشف وبعضها الآخر لا يعرفه الا الخواص كما سبق .

---

[١] ظ/المظفر : اصول الفقه ، ٧٦/١.
[٢] ظ/الطوسي :تفسير البيان ، ١٤٣/١ .
[٣] الطبرسي : الاحتجاج ، ٣٧٦/١ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٧٨/٧٥ .

المطلب الثاني : بيان السنة المطهرة لعلم الظاهر والباطن

وردت روايات كثيرة عن الرسول (o) وآل بيته الطاهرين (β) تدل بكثرتها بما لا يقبل الشك بتضمن النص لحقيقة الظاهر والباطن ، وتؤصل لهذه القاعدة المهمة ، فعن الرسول (o) : (ليس من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن)[١]، فالآية الكريمة بما فيها من الفاظ كثرت أو قلت ، أي معناها ككل له ظاهر يفهم من التلاوة ، وباطن خلف ذلك المعنى .

وعنه أيضاً : (له ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق)[٢]، حيث فسر (o) ظهر القرآن والذي هو ألفاظه وعباراته وآياته بأنه محكم متقن لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، ذا اسلوب عجيب وتركيب غريب تحير به الفصحاء والبلغاء، إما باطنه فهو علم بتفاصيل الاشياء من مواعظ وامثال واحكام واخلاق وغيرها مما ينتفع به الناس ويستقيم به نظامهم في الدنيا والاخرة، وهو عميق لا يصل الى قعره عقول العلماء ولا يبلغ اصله كبار الحكماء [٣].

(هذه الثنائية في النص الواحد تستدعي من المفسر المتصدي التفاتاً مهماً الى ضرورة الوقوف طويلاً أمام النص وعدم الانجراف الى التأسيس على الظاهر وحده بحيث يتقيد فيه وينزوي بالنص في دائرة ضيقة ويهمش مفاهيم ومعارف ربما تكون هي الجانب الأكثر تعبيراً وتوصيلاً لمراد المتكلم بالنص القرآني وربما تستبعد الكثير من الوجوه المحتملة في تفسيره)[٤].

فعن عبد الله بن سنان إنَّه قال : (أتيتَ ابا عبد الله (γ) فقلت له : جعلت فداك ، ما معنى قول الله عز وجل ((ﻫ ﻫ ے))[٥] ؟ ، قال : أخذ الشارب وقص الأظفار وما اشبه ذلك . قال : قلت : جعلت فداك ، فإنَّ ذريحاً المحاربي حدثني

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٣/ ١٥٥.
[٢] الكليني : الكافي ، ٢ / ٥٩٩.
[٣] ظ/ المازندراني : شرح اصول الكافي ، ١٢/١١ .
[٤] ستار جبر الاعرجي : مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، ٦٧.
[٥] الحج / ٢٩.

عنك إنّك قلت :((ﻫ ﻯ)) لقاء الإمام ، ((ﻯ ﺉ)) تلك المناسك ؟ قال : صدق ذريح وصدقت ، إنّ للقران ظاهراً وباطناً ، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح ؟))[١].

ان معنى (التفث) في اللغة هو الوسخ والغبار[٢] ، فاخذ الشارب وقص الأظفار هو المعنى المتبادر من اللفظ ، والمعروف ان الحاج او المعتمر يتحلل من احرامه بعد تمام الاعمال بقص الشارب والاظفار وهي من مصاديق إزالة الوسخ والغبار ، وهو ما يمكن أن يستوعبه الجميع ويفهمه ويتحمله، اما المعنى الثاني الذي ذكره (ع) –لقاء الإمام– فهو باطن للآية والذي لا يتحمله إلا الخواص كذريح[٣] وامثاله ، اذن فالمعنى الظاهر معنى مادي مفهوم من اللفظ دلت عليه اللغة، اما المعنى الباطني فهو دلالة معنوية مستنبطة من ذلك الظاهر.

وهذا ما يتأكد من خلال رواية عن جابر (قال سألت ابا جعفر الباقر(γ) عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ، ثم سألته فأجابني بشيء آخر، فقلت جعلت فداك اجبتني في المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال (γ): يا جابر أنّ للقرآن بطناً وللبطن بطن ، وظهراً وللظهر ظهر يا جابر إنّ الآية يكون أولها في شيء وأوسطها في شيء وأخرها في شيء ، وهو كلام متصل ينصرف على وجوه)[٤]،فقد (أخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الحكماء)[٥].

في حديث الرسول (o) : (إنّ القرآن الكريم أُنزل على سبعة أحرف ، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع) [٦]. وفي رواية أخرى يقول (o): (ولكل حرف حد ومطلع)[٧].

---

[١] الكليني : الكافي ، ٤ / ٥٤٩ ، الصدوق : معاني الاخبار ، ٣٤٠.
[٢] الطريحي : مجمع البحرين ، ١/ ٢٩٢ ، الزبيدي : تاج العروس ، ٣ / ١٧٦.
[٣] هو ذريح بن محمد المحاربي ،من اصحاب الامام الصادق (ع) ، ثقة . ظ/ الجواهري : المفيد من معجم رجال الحديث ، ٢١٩، مشايخ الثقات : غلام رضا عرفانيان، ١٠٧.
[٤] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٩٢.
[٥] الراغب الاصفهاني : مقدمة جامع التفاسير ، ٧٥.
[٦] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ .
[٧] المصدر نفسه ، ١/ ٣١ .

فالحد هو الظهر والبطن وله مطلع يشرف عليه ويرجع فيه اليه، والذي هو الظاهر[١] ، إذن فمعنى الظاهر والباطن كما يشير اليه (o) : (هو المعنى الظاهر البادي من الآية ، والباطن هو الذي تحت الظاهر سواء كان واحداً أو كثيراً قريباً منه أو بعيداً بينهما واسطة ، والحد هو نفس المعنى سواء كان ظهراً أو بطناً، والمطلع هو المعنى الذي طلع منه الحد وهو بطنه متصلاً به) [٢].

كما يبين الإمام علي (γ) المراد من هذه الأقسام الأربعة بشكل أدق فيقول (γ) : (ما من آية الا ولها أربعة معانٍ : ظاهر ، وباطن، وحد، ومطلع ؛ فالظاهر التلاوة ، والباطن الفهم ، والحد هو أحكام الحلال والحرام ، والمطلع هو مراد الله من العبد بها) [٣] ، فقوله (الظاهر التلاوة) ، أي انه (ظاهر مدلول اللفظ بدليل إنّه (γ) عده من المعاني) [٤]، وقوله (γ) :(الباطن الفهم) فهو ما يفهم من معنى خفي خلف ذلك الظاهر ، ومنه (لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً ، ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر)[٥]. ذلك بأن الأهتمام باللفظ وظاهر المعنى هو الطريق الصحيح في بيان حقائق المعاني فلا وصول الى عمق النص القرآني وغوامضه إلا من خلال الظاهر[٦].

وقد عبرت بعض الأحاديث عن علوم القرآن الكريم بـ (البطن) لأنها تخفى على الناس ، ثم تظهر بالتفكير والتدبر ، حسب اختلاف الناس –بالدرجة العقلية والعلمية – إذ تختلف درجات الخفاء حتى يعد الواقع الواحد ظهراً لفريق ، وبطناً لآخر، لذلك تعدد المعنى الظاهر والباطن للنص الكريم بحسب مراتب الناس في العقل والعلم ودرجة الفهم والتلقي[٧] .

---

[١] الطباطبائي : الميزان ، ٣/ ٧٤.
[٢] المصدر نفسه ، ٧٤/٣ .
[٣] الكاشاني : الصافي ، ١ / ٣١ .
[٤] الطباطبائي : الميزان ، ٣ / ٧٣ .
[٥] الغزالي : احياء علوم الدين، ٢٩١/١ .
[٦] ظ/ المصدر نفسه ، ٢٩٣/١.
[٧] المدرسي : من هدي القرآن ، ٤٢/١ .

يقول الإمام الصادق (γ) : (القرآن الكريم كله تقريع وباطنه تقريب)[١] ، إنَّ التأمل في كلامه (γ) يبين إنَّ مراده من التقريع هو التبعيد المقابل للتقريب ،فإنّ ظاهر القرآن يعطي حقائق من المعارف والعلوم مختلفة بعضها عن بعض وهي على كثرتها هذه وبينونتها وابتعاد بعضها من بعض فهي في المعنى الباطن تقترب بعضها من بعض وتلتئم شتى معانيها حتى تتحد لتصبح حقيقة واحدة [٢] معبرة عن الكل الجمعي للدلالات.

وفي الروايات معنى آخر لباطن القرآن فعن ابي جعفر (γ) ، قال : (ظهره الذين نزل فيهم القرآن ، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم ، يجري فيهم ما نزل في اولئك)[٣] ، في هذه الرواية فسر الإمام (γ) ظهر القرآن بسبب النزول اما باطنه ما انطبق على هذا المعنى من مصاديق متجددة سواء كانت هذه المصاديق افراداً أو حوادث مشابهة لحال سبب نزول الآية، لا بمعنى ما يفهم من ظاهر اللفظ وما خلفه من معاني ،مما يعني إنَّ ظاهر بعض الآيات التي نزلت بسبب معين يكون مفهوماً للقارئ أو المتلقي لأن السبب متحقق سابقاً، والباطن هو معنى خفي لم يظهر حتى يتحقق انطباقه على سبب النزول ، فهو قبل تحققه كان باطناً لا يعلم في سر الغيب اما بعد تحققه وتأكد انطباقه على سبب النزول صار بذلك ظاهراً لانكشافه .

فالله تعالى اخفى في كلامه اسرار العلوم والمعارف محصنة بلغة يفهمها عامة الناس ، (فتؤدي ظواهر الألفاظ في هذه الطريقة عملية الألقاء بشكل محسوس أو ما يقرب منه وتبقى الحقائق المعنوية وراء ستار الظواهر ، فتتجلى حسب الافهام ويدرك منها كل شخص بقدر عقله ومداركه) [٤].

من هنا فان ظواهر الآيات التي هي بمستوى فهم عامة الناس تحرك الأفهام العميق الذي يوظَّف لإدراك الدلالة التأويلية عن طريق الاستعانة بتلك المعاني والدلالات الظاهرة ، اما تأويلات أهل البيت (β) فهي الدلالات الأصل التي لايمكن

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٨١/٨٩.
[٢] الطباطبائي : الميران ، ٢١٧/٦.
[٣] العياشي : تفسير العياشي ، ١/ ١١.
[٤] الطباطبائي : القرآن في الاسلام ، ٢٨.

لأي مفسَّر أو متأول الاستغناء عنها البته لأنها أصل منطلقهِ وعملهِ البياني في النص القرآني.

ويمثل الإمام علي (γ) للظاهر والباطن في القرآن الكريم ، بقول الله عز وجل : ((ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ)) [1] .

فيقول (γ) : (ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله : ((صَلُّوا عَلَيْهِ)) والباطن قوله : ((وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) : اي سلموا لمن وصاه واستخلفه ، وفضله عليكم ، وما عهد به اليه تسليما)[2]، في هذا المثال نجد إنَّ امير المؤمنين قد أوضح انَّ (صلوا عليه) ظاهر للآية ، ((وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) باطن لها وهو غير ما فهمناه من الروايات السابقة بأن الآية الواحدة لها معنى كلي ظاهر ،ومعنى باطن ، فهو هنا يقسم الآية الى جزء يعتبره ظاهراً للآية مفهوماً من خلال المعنى وهو الصلاة على محمد ، والجزء الآخر منها باطن لها وهو التسليم والطاعة لمن خلفه بعده ووصاه بقيادة الأمة الى طريق الحق وهو أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (β) ، من هنا يجب الصلاة عليهم ايضاً ، فيكون المعنى للآية ككل هو الصلاة على محمد والصلاة على آهل بيته ايضاً لاستحقاقهم ذلك بوصية الله ورسوله الكريم الصلاة الكاملة غير المبتورة ، من هنا يتبين انه يمكن أن يكون جزء من الآية باطناً لجزء آخر منها تبدو عند قرأتها ظاهراً ، بمعنى آخر قد تكشف بعض الأجزاء الواضحة للآيات معاني اجزاء اخرى غامضة فتزيل عنها الغموض والابهام.

على حين نجد الإمام الكاظم (γ) يفصل معنى الظاهر والباطن ، بقوله (γ) : (إنَّ للقرآن ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك ائمة الجور ، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك ائمة الحق) [3]، وقد استشهد (γ) بقوله تعالى : ((ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ))[4]، إذ (دل الاستشهاد على إنَّ ظاهر الاثم ما ظهر تحريمه من ظاهر القرآن ، وباطنه ما ظهر تحريمه من باطنه وهو حسب تأويل الامام (γ) ولاية أئمة الجور، وقيل ظاهر الاثم

---

(1) الاحزاب / ٥٦ .
(2) الطبرسي : الاحتجاج ، ٣٧٦/١ .
(3) الكليني : الكافي ، ٣٧٤/١ .
(4) الانعام / ١٢٠.

ما يعلن أو يصدر بالجوارح وباطنه ما يسر أو ما يصدر بالقلب)[1]، فـ(انطباق المعاصي والمحرمات على أولئك والمحلالات على هؤلاء لكون كل واحد من الطائفتين سبباً للقرب من الله أو البعد عنه ، أو لكون كل سبباً لما يناسبه من الاعمال)[2].

من هنا يتبين إنَّ معنى آيات الحلال في النص القرآني لكونه واضح بمفهومه العام الذي يدل عليه اللفظ لذا فهو من الظاهر ، اما ما خلف هذا المعنى من معاني باطنة فانها تنطبق على ائمة الحق لكون افعالهم ترتبط بفعل الحلال ، وعكسه تماماً الآيات التي تشتمل ما حرم الله فإنَّ ظاهرها الحرمة وباطنها ائمة الجور كون افعالهم ترتبط دائماً بفعل المحرمات .

ومن هنا يتبين من مجموع هذه الروايات أنَّ الظاهر هو المعنى المتبادر الى الذهن ويمكن أن يفهم بسهولة سواء كان في الآية الواحدة أو النص ككل أو قد يكون في جزء من الآية ظاهر وفي جزء آخر باطناً يفهم من خلال ذلك الظاهر ،ويمثل الباطن المعنى الخفي المختبئ خلف معنى اللفظ الظاهر ويمثل المعارف والعلوم والمعاني الغامضة الخفية ذات المراتب المتعددة والتي تبدو كرموز غير واضحة لايٍ كان ، فبعضها يمكن أن يفهم بالتدبر والتأمل والتدقيق بحسب درجات الناس وامكانياتهم العقلية والروحية وبعضها الآخر لا يمكن الوصول اليه ، ولا ينكشف لغير النبي (o) والائمة المعصومين (β) مطلقاً، من هنا نفهم خصوصيتهم في الكشف عن باطن النص المطلق.

---

[1] المازندراي : شرح أصول الكافي ، ١١/ ١٩١ .
[2] الطباطبائي : الميزان ، ٩٤/٨.

الفصل الثالث : تأصيل السنة المطهرة لأصول التفسير .

المبحث الاول : مفهوم أصول التفسير واهميتها

المبحث الثاني : تأصيل السنة المطهرة للأصول اللفظية

المبحث الثالث : تأصيل السنة المطهرة للأصول النقلية

الفصل الثالث

تأصيل السنة المطهرة لأصول التفسير

بعد أن تبين لنا أهم الضوابط التي أصلت لها السنة المطهرة واكدت عليها ، نحاول أن نقف هنا على أهم الأصول التي كشفت عنها السنة المطهرة ، وما لها من أهمية كبيرة في فهم القرآن ، بوصفه كل له أجزاء ، وأصول وفروع ، وعام وخاص ، ومطلق ومقيد ، وأحكام ، وعقائد ، وأخلاق ، وقصص وأمثال ، الخ، لذا نجد تشديد أهل البيت (β) على ضرورة أن يكون الباحث عن المعنى القرآني على بصيرة بهذه الأصول ، والتي تمنحه القدرة على بيان المعنى والكشف عنه، من خلال ارجاع الخاص الى العام ، والمطلق الى المقيد ، المجمل الى المفصل وهكذا .

ومن خلال التتبع لأهم الذين عرضوا لمفهوم أصول التفسير، يتبين أنّ هذا المفهوم عند الأستعمال يدور بين أصول التفسير وقواعد التفسير ، لذا سيكون من المهم التعرف على كلا المصطلحين لبيان العلاقة بينهما ، والذي سيتبين من خلال ما يأتي:

المبحث الأول

مفهوم أصول التفسير وأهميتها

اولاً : مفهوم أصول التفسير

الأصول في اللغة :

الأصول جمع أصل ، وهو أسفل الشيء ، وأصل كل شيء قاعدته والأصل : ما يبنى عليه غيره [١].والأصل : أساس الشيء [٢].

قال تعالى : ((كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ))[٣]، وقوله تعالى : ((أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا)) [٤].

اما لفظ القاعدة ، فيدل على ثبوت الشيء ، ومنه قواعد البيت ، وهي أسسه التي يبنى عليها ، فالبناء يرفع على القواعد[٥] ، والقاعدة أصل الأس ، والقواعد الأساس [٦] ، قال تعالى : ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ))[٧]. من من هنا يتبين إنَّ المعنى اللغوي للقاعدة والاصل هي أساس الشيء ، ومنه فإنَّ الاصل هو القاعدة .

الأصل في الاصطلاح :

هو : (ما يبنى عليه التفسير بحسب قواعده ومناهجه)[٨]. أو هو (الأُسس والمقدمات العلمية التي تعين في فهم التفسير ، وما يقع فيه من الأختلاف ، وكيفية

---

[١] ظ/ الزبيدي : تاج العروس ، ٨/١٤ .
[٢] ظ/ الفيروز ابادي : معجم مقاييس اللغة ، ١/ ١٠٩.
[٣] ابراهيم / ٢٤ .
[٤] الحشر / ٥ .
[٥] ظ /ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ١٠٩/٥ .
[٦] ظ/ الزبيدي : تاج العروس ، ٥/ ٢٠١ .
[٧] البقرة / ١٢٧ .
[٨] خالد العك : أصول التفسير وقواعده، ٣٠ .

التعامل معه) [١]، من هنا يكون أصول التفسير(مجموعة من القواعد والأصول التي تبين للمفسر طرق استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم بحسب الطاقة البشرية)[٢] .

ثانيا : اهمية أصول التفسير في السُنّة المطهرة :

إنَّ المتتبع في كتب التفسير وعلوم القرآن ، يدرك التوسع الملحوظ في بحوث قواعد التفسير وأصول التفسير الى بحوث حول مناهج التفسير شيئاً فشيئاً ، ابتداءً بكتب التفسير القديمة التي توسعت الى أن وصلت الى علوم التفسير، أو العلوم القرآنية ، فاصبح علماً قائماً بنفسه[٣]، وحيث ازدادت الحاجة الى القرآن الكريم وعلومه ، ولما كان النص لا تنقضي عجائبه ، بما يفيض به من علوم لذا فان هذه العلوم كلما نضجت تجددت وتكاثرت وكأن هذه العلوم لا نهاية لها ، إذ انها تكشف عن عظمة الخالق المتمثلة باعجاز كلامه ، قال تعالى : ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا))[٤].

فعندما يصف الله كتابه الكريم بأنّه لا متناهٍ لذا فإنَّ علومه ومعارفه ايضاً غير متناهية ، لذا فانَّ البحث في أي علم يجب أن يكون على ضوء المنهج أو القواعد أو الأصول الصحيحة، والا كان سائراً على غير بصيرة.

من هنا نجد الامام الصادق (γ) يقول : (ما من شيء يختلف في اثنانٍ الا وله أصل في كتاب الله)[٥]، فكل ما تحتاجه البشرية له اصل وقاعدة في هذا النص المعجز ، وهذا ما اكدته الآيات القرآنية : ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ))[٦].

لذا نجد الروايات الشريفة بينت إنَّ عملية وضع الأصول هي مهمة المعصوم (ع) ، فعن الإمام الصادق (γ) : (إنما علينا أن نلقي اليكم الأصول ، وعليكم أن

---

[١] مساعد الطيار : فصول في اصول التفسير ، ١١ .
[٢] خالد العك : اصول التفسير وقواعده ، ١١
[٣] ظ/ المصدر نفسه ، ٣٥ .
[٤] الكهف / ١٠٩ .
[٥] الكليني :الكافي ، ٦٠/١، الطوسي :التهذيب ، ٣٥٧/٩، المجلسي:بحار الانوار، ١٠٠/٨٩.
[٦] الانعام / ٣٨ .

تفرعوا)[1]، وعن الإمام الرضا (γ): (علينا القاء الأصول وعليكم التفريع)[2]، فقوله (علينا أن نلقي) أي إنَّ مهمة وضع الأصول والقواعد الكلية هو مهمة موكولة الى أهل البيت(ع) وحدهم .

وحيث (إنّهم (β) قالوا : علينا أن نلقي اليكم الأصول ولم يقولوا عليكم أن تضعوا ، أصولاً ، بل فيه تنبيه على النهي كما يشعر به الظرف فلا يجوز لنا التفريع إلا على أصولهم (β)) [3]، قوله تعالى : ((ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ))[4] ، وهذا الباب ينفتح منه الف باب بحسب تعبير أهل البيت (β) .

المبحث الثاني
تأصيل السنة المطهرة للأصول اللفظية

أولت السنة المطهرة لبيان الأصول اللفظية أهمية كبيرة ، لما له من أثر واضح وكبير في بيان المراد من النص الكريم ، لذا نجد ذلك واضحاً في رواياتهم (β) ، وقد انقسم هذا المبحث الى مطلبين :

المطلب الأول : وضع اللفظ للمعنى

أولاً: دور السنة المطهرة في بيان العام والخاص

---
(1) المجلسي : بحار الانوار ، ٢/ ٢٤٥ .
(2) العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ٦٢
(3) الكاشاني : الحق المبين ، ٧ .
(4) النساء / ٨٣ .

ويتبين دور السنة في هذا المجال من خلال رواياتهم (β) ، التي أكدت ضرورة الإحاطة بالعام الذي (هو ما دل على شمول جميع أفراده وضعاً أو اطلاقاً)[١].والخاص الذي هو (ما دل على حكم موافق أو مناف لحكم عام أوسع منه شمولاً) [٢]، والتمييز بينهما في النص القرآني ومن هذه الروايات ، ما جاء عن الإمام علي (γ) قوله : (وفي القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وخاص وعام) [٣]. وعن ابي عبد الله (γ) : (والقرآن الكريم خاص وعام ومحكم ومتشابه) [٤] ، وعن الرضا (γ) في كتابه الى المأمون ، قال : (نؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وخاصة وعامه) [٥].، بهذا نستدل على تضمن النص القرآني للعام والخاص .

وحين نجد إنَّ الأئمة (β) يؤكدون وجود العام والخاص في النص القرآني ، فإنهم يشيرون الى ضرورة المعرفة الدقيقة لهذين القسمين والتمييز بين ما كان قد جاء على وجه العموم ، وما جاء منه على وجه الخصوص ، والا وقع التفسير في الوهم واللبس في معرفة الحكم الدلالي المؤسس عليهما، وقد أشار الإمام الصادق (γ) الى ذلك بقوله : (واحتجوا بالخاص وهم يقدرون إنّه العام ، فضلوا واضلوا)[٦]، فمن احتج بالآية أو النص القرآني ظناً منه إنَّ دلالته الخصوص وخفي عنه أن دلالته العموم فانه يسير بتفسير الآية الى المحظور والمحذور وهو التفسير بالرأي المنهي عنه ، وبالنتيجة لا يضل نفسه فحسب وانما يضل غيره بذلك ايضاً ، ومن هنا سيكون عليه وزره ووزر غيره وهو داعٍ للهلاك.

وقد علل بعضهم أنّ من اسباب الاختلاف في التفسير أو بين المفسرين (احتمال العموم والخصوص) [٧]، يقول الإمام علي (γ) : (ومنه ما لفظه خاص ، ومنه ما لفظه عام محتمل العموم)[٨].

---

[١] احمد البهادلي : مفتاح الوصول الى علم الاصول ، ٣٨٨/١ .
[٢] محمد سعيد الحكيم : المحكم في اصول الفقه ، ١٠/٢ .
[٣] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .
[٤] الكليني : الكافي ، ٢١٣/١ .
[٥] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٧/٩ .
[٦] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .
[٧] ابن جزى : التسهيل ، ٩/١.
[٨] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .

كما يقسم (γ) ، الخاص والعام الى أقسام عديدة ويضرب لكل قسم منها مثالاً تأكيداً لهذه الاقسام وتقريباً لفهم السامع ، يقول (γ):

(إنّ من كتاب الله تعالى آيات لفظها الخصوص والعموم ، ومنه آيات لفظها لفظ خاص ومعناه عام ، ومن ذلك لفظ عام يريد به الله تعالى العموم ، وكذلك الخاص ايضاً) [١]، إنَّ من آيات النص الكريم ما يدل على الخصوص ومنها ما يدل على العموم ، فدلالتها على ذلك واضحة وبينة ، وقسمٌ من آياته معناها الظاهري يدل على الخصوص بينما المراد الحقيقي لها هو العموم وهذه لا تفهم من ظاهر النص وانما يحتاج الى علوم ومعارف خاصة .

في رواية عن الإمام أمير المؤمنين (γ)في بيان هذه الاقسام يقول : (فأما ما ظاهره العموم ومعناه الخصوص ، فقوله عز وجل : ((يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ))[٢]، فهذا اللفظ – العالمين – يحتمل العموم ومعناه الخصوص،لانه تعالى انما فضلهم على عالم ازمانهم بأشياء خصهم بها ، مثل المن والسلوى ، والعيون التي فجرها لهم من الحجر ، واشباه ذلك ، ومثله قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)) [٣] ، أراد الله تعالى إنَّه فضلهم على عالمي زمانهم)[٤].

(واما ما لفظه خصوص ومعناه عموم ، فقوله عز وجل : ((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا))[٥] ،فنزل لفظ الآية خصوصاً في بني اسرائيل بدليل إضافة (بني) الى (إسرائيل) غير إنَّ هذا الحكم جارٍ على جميع الخلق عاماً لكل العباد ، من بني اسرائيل وغيرهم من الأمم ، ومثل هذا كثير في كتاب الله)[٦].

---

[١] المصدر نفسه ، ٢٣/٩٠.
[٢] البقرة / ٤٧، ١٢٢.
[٣] آل عمران / ٣٣.
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٣/٩٠.
[٥] المائدة / ٣٢.
[٦] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠/ ٢٤.

(واما ما نزل بلفظ العموم ولا يراد به غيره ، فقوله : ((يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ))[١]. وقوله : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)) [٢]. أي على مذهب واحد ، وذلك كان من قبل نوح (γ) ولما بعثه الله اختلفوا ثم بعث النبيين مبشرين ومنذرين)[٣].

ثانيا :دور السنة المطهرة في بيان المطلق والمقيد

يبين أهل البيت (β) تضمن النص للمطلق والمقيد ، فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) : (كتاب ربكم ، مبينا لكم حلاله وحرامه ، ... ومرسله ومحدوده) [٤].

ذلك بأن قوله (γ) : (مرسله ومحدوده) ، هو (عبارة عن المطلق والمقيد، وسمي المقيد محدوداً وهي لفظة فصيحة جداً ، لقوله تعالى : ((فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ))[٥]. وقال سبحانه في موضع آخر : ((فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)) [٦])[٧].

ويتبين دور الرسول وأهل بيته (β) في التأصيل لمنهج تقييد المطلق من خلال الموروث التفسيري لهم (β) ، حيث نجد إنَّ منهجهم (β) في تمييز المطلق عن طريق بيان ما يقيده في النص الكريم ، وإن كان الكثير من المطلق قد قيد بسنتهم الطاهرة ، وهو من جنس تقييد المطلق القرآني بنص منفصل عنه وهو السنة.

ففي قوله تعالى : ((كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ))[٨]، فالوصية في الآية الكريمة لفظ مطلق ، أي يجوز أن يوصي الموصي بماله كله ، لو لم تقيدها السُنّة

---

[١] الحج /١.
[٢] البقرة / ٢١٣.
[٣] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٦/٩٠.
[٤] نهج البلاغة ، ٢٦/١.
[٥] المجادلة / ٣.
[٦] النساء / ٩٢.
[٧] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ١٢١.
[٨] البقرة / ١٨١.

المطهّرة بالثلث لبقي الأمر مطلقاً، فعن ابي عبد الله (γ) ، إنّه قال : (الميت أحق بماله ، ما دام فيه الروح يبين ، فإن قال : بعدي فليس له إلا الثلث) [١].

وفي قوله تعالى : ((والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما))[٢] ،فحكم قطع اليد مطلقة في اليد من دون تحديد ، لذا قامت السنة بتقييد مطلق قطع يد السارق بموضع معين منها ، كما حددت المقدار المسروق الذي يجب فيه القطع . فعن الإمام ابي عبد الله (γ) ، قال : (يقطع من السارق اربع اصابع ويترك الإبهام)[٣] ، وعنه (γ) : (لا يقطع الا من نقب بيتاً أو كسرَ قفلاً)[٤] ، وعنه ايضاً حين سُئل في كم يقطع السارق ، قال : (في ربع دينار)[٥]، وهذا يثبت إنَّ السنة قد حددت وقيدت مقدار القطع من مطلق اليد من جهة ، كما حددت مقدار المسروق الذي يستحق معه السارق القطع ليده من جهة أُخرى ولولا السنة لبقي الأمر مبهماً لأطلاقه دون تقييد مُبيَّن .

ثالثاً: دور السنة المطهرة في تأصيل (المجمل والمفصل)

المجمل هو(اللفظ المبهم الذي خفي القصد منه فتردَّدَت فيه جملة معانٍ متباينة تتكافأ في الدلالة عليه على حدٍ سواء فلا مزية لإحداها على الاخرى ، شريطة أن لا تكون علاقة المعاني فيما بينها علاقة (بدلية) مؤسسة على توحيد الماهية ، ولا علاقة (استغراقية) مبنية على شمولية أفراد جنسها دفعة واحدة ، ويبقى اللفظ في حيز الإجمال حتى يرد ما يفصَّله ويوضحه من المتكلم بالمجمل نفسه لدى السامع)[٦] ، اما المفصل فهو : (ما زال أجماله بورود بيانه) [٧].

ولما كان للمجمل والمفصل من أهمية فقد اهتمت السنة المطهرة ببيانه وتأصيله ، إذ نجد الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) في احدى خطبه ،

---

[١] الطوسي : تهذيب الاحكام ، ٩/ ١٨٨،الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٣٦٧/٣.
[٢] المائدة / ٣٨.
[٣] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٨/ ٢٥٤ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٧٦ / ١٨٩.
[٥] الكاشاني : الصافي ، ٢ / ٣٣ .
[٦] سيروان عبد الزهرة الجنابي : الاجمال والتفصيل في التعبير القراني، ٤٤ .
[٧] المرتضى : رسائل المرتضى ، ٢/ ٢٨٢.

يقول : (وخلف فيكم – يعني رسول الله (o) – كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه ، وفرائضه ، وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصه وعامه وعبره وامثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومتشابهه ، مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه) [١]، إنَّ كلام الإمام (γ) يؤكد تضمن النص القرآني للمجمل الذي يحتاج الى بيان وتفصيل ، وهذا المجمل القرآني لا يستغنى عن البيان النبوي في تفصيله وبيان غوامضه لقوله (γ) (مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه)، هذا الاجمال والتفصيل ذكرته الآيات الكريمة، إذ قال تعالى : ((كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ))[٢].

يقول الطباطبائي : إنَّ الله عز وجل علق (الاحكام والتفصيل) على الآيات ولا يكون ذلك الا من جهة معانيها[٣] ، وإنَّ الآية الكريمة هي في مقام (بيان رجوع تفاصيل المعارف والشرائع القرآنية الى أصل واحد) [٤].

إلا إنَّه استفاد من ظاهر آيات أخرى : (إنَّ الاحكام والتفصيل متحدان من حيث المورد ، بمعنى إنَّ الآيات التي ورد عليها الاحكام بعينها ، هي التي ورد عليها التفصيل) [٥].

في رواية يصف فيها الرسول (o) القرآن الكريم يقول : (وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل) [٦]، فهذا الكتاب مشتمل على تفصيل كل شيء وبيان للأمور المجملة ، فالرسول (o) يشير بهذه الرواية الى انه يمكن بيان وتفصيل المجمل القرآني من خلال النص الكريم .

ومن ذلك يتبين إنّ أهل البيت (β) أول من أصل لهذين المصطلحين واكدوا تضمن النص لهما ، واشاروا الى اهمية المفصل في تفسير النص القرآني .

ففي قوله تعالى : ((ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ)) [٧]، عند النظر في الآية نجد إنَّ فعل التربص مجمل الحدث مبهم المعنى لذلك بينته السُنة ، إذ روي

---

[١] محمد عبدة : شرح نهج البلاغة ، ١/٢٥-٢٦.
[٢] هود / ١.
[٣] ظ/الطباطبائي : الميزان ، ١٠/١٣٩.
[٤] المصدر نفسه، ١٠/١٣٧.
[٥] المصدر نفسه ، ١٠/١٣٩.
[٦] الكليني : الكافي ، ٢/٥٩٩.
[٧] البقرة / ٢٣٤.

عن النبي (ο) إنّه قال : (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله)[1] ، وبما رواه زرارة عن ابي جعفر (γ) ، قال : (إنّ الأَمة والحرة كلتيهما ، اذا مات عنهما زوجهما سواء في العدة الا إنّ الحرة تحد والأمة لا تحد) [2].

ومن ذلك قوله تعالى : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ))[3]، فمعنى الجزاء للمحاربين في النص مجمل ، ولم يعرف القتل عقوبة لأي جريمة ، والصلب جزاء على أي فعل ، وعقوبة التقطيع من خلاف لأي عمل ، لذا قامت السنة المطهرة بتفصيل كل ذلك ، إذ ورد عن الإمام الصادق (γ) إنّه قال : (من قطع الطريق فقَتَل وأخذ المال قطعت يده ورجله وصلب ، ومن قطع الطريق وقَتَل ولم يأخذ المال قُتِل ، ومن قطع الطريق واخذ المال ولم يقتِل قُطِعت يدهُ ورجلُهُ ، ومن قطع الطريق ولم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الأرض)[4] ، فنلحظ إنَّ السنة قد فصلت الجزاء على وفق حجم الجريمة حتى لا يدخل الحكم الظلم والجور على الفاعل .

رابعاً : دور السُنّة المطهرة في بيان اهمية (الامر والنهي) :

إنَّ في دلالة الأمر والنهي أهمية كبيرة في بيان الأحكام الشرعية فـ(هذان القسمان عظيمان من اقسام الأدلة الشرعية ، لأنه يثبت بهما اكثر الأحكام وعليهما مدار تكليف الاسلام وبهما يميز الواجب من غيره والحلال من الحرام) [5]، من هنا كان من الأهمية بمكان بأن ينظر اليهما بوصفهما من أهم قواعد معرفة الدلالة التفسيرية المبتغاة بفعلهما .

وقد اهتم أهل البيت(β) ببيان هذين القسمين اهتماما بالغاً ، إذ وردت روايات كثيرة عن النبي وأهل بيته (β) في بيان إنَّ في القرآن الكريم أمر ونهي ورخصة ، وترغيب وترهيب ، ففي رواية عن الرسول (ο) : (أُنزل القرآن الكريم على سبعة

---

[1] الترمذي :سنن الترمذي، ٣٣٨/٢، النسائي:سنن النسائي، ٢٠٠/٦، (في اهلك بدل في بيتك).
[2] الكليني : الكافي ، ١٧٩/٦، الطوسي :الاستبصار ، ٣٥١/٣.
[3] المائدة / ٣٣ .
[4] الطوسي : تهذيب الاحكام ، ١٠/ ١٣٢.
[5] احمد فهمي ابو سنة : الوسيط في اصول الفقه الحنفية ، ١٤٣.

احرف ، آمر ، وزاجر ، وترغيب وترهيب ، وجدل ، وقصص ، ومثل)[1] ، وعن الإمام علي (γ) : (إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم على سبعة اقسام ، كل منها شافٍ كافٍ ، وهي : أمر وزجر ، وترغيب ، وترهيب ،وجدل ومثل وقصص)[2].

فمن الأمر ، قوله تعالى : ((ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ)) [3]. ومن الزجر ، قوله تعالى : ((ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ)) [4]. وقوله تعالى : ((ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)) [5].

وقد أكد الأئمة (γ) على ضرورة الوقوف على الأمر والنهي في القرآن الكريم ، بقول الإمام الصادق (γ) : (فبئس ما ذهبتم اليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه (o) ... وتركتم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والأمر ، والنهي ، ... الى أن قال : دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به ، ... وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه ، ومحكمه من متشابهه ، وما احل الله فيه مما حرم ، فإنّه اقرب لكم من الله ، وابعد لكم من الجهل) [6]، وقد بينا سابقاً من خلال الروايات الشريفة للرسول (o) وأهل بيته (β) ، أن الحلال والحرام هو من القسم المحكم للقرآن الكريم ، لذا فهو واضح ، إذ يمكن معرفة صيغة الوجوب والحرمة وصيغة الأمر والنهي لذا فهو أبعد من الجهل بكتاب الله .

فنجد إنَّ أهل البيت(β) يستدلون على حرمة الغناء بعدة آيات ، فعن زيد الشحام ، قال : (سألت ابا عبد الله (γ) عن قول الله عز وجل : ((اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)) ، قال (γ) : (الزور الغناء) [7] ، وفي رواية عن جعفر بن محمد (γ) ، حين سُئل عن قوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □ □))[8] ، قال (γ) :

---

[1] الكاشاني : تفسير الصافي ، ٥٩/١ .
[2] المصدر نفسه ، ٥٩/١ .
[3] البقرة / ٤٣ .
[4] الاسراء / ٣٣ .
[5] الانعام / ١٢٠ .
[6] الكليني ، الكافي ، ٧٠/٥ .
[7] الكليني : الكافي ، ٤٣٥/٦ .
[8] الحج / ٣٠ .

(الرجس من الاوثان الشطرنج ، وقول الزور الغناء وحين سئل عن قوله عز وجل : ((وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ))، قال : منه الغناء)[١].

إذن فقد استدل أهل البيت (γ) على حرمة الغناء من خلال الآيات الكريمة السابقة وتقريب الأستدلال ، إنَّ هذه الآيات وإن لم تكن ظاهرة في تحريم الغناء إلا إنَّ أهل البيت (β) قد استدلوا على أنّ الغناء هو من مصاديق(لهو الحديث ، قول الزور ، اللغو) ، والتي نصت الآيات الكريمة على تحريمها وتقبيحها والزجر عنها.

وفي رواية عن زرارة ومحمد بن مسلم : (قلنا لابي جعفر (γ) ما تقول في صلاة السفر كيف هي وكم هي ، فقال : إنّ الله عز وجل يقول : ((وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلاَةِ))[٢]، فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام. قلنا : انما قال ذلك كما اوجب التمام في الحضر ؟ فقال (γ) : اوليس قد قال الله :((ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں)) [٣]. الا ترون إنّ الطواف بهما واجب مفروض، لأن الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيه ، وكذلك التقصير في السفر شيء يصنعه النبي (ο)، وذكره الله تعالى في كتابه) [٤].

فأن قوله تعالى (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) ، جاءت في الآية بمعنى الوجوب ولم تأتي بمعناها الظاهري للفظ ، فهم فهموا انه يعني عدم الوجوب ، ولكن بينه الامام واستدل عليه بما ثبت بالسنة المطهرة من وجوب الطواف مع قوله تعالى (ک گ گ) في الاية(١٥٨) من سورة البقرة، على إنَّه ليس لايٍ كان القدرة على هذا التحليل الدقيق ، كما إنَّه ليس كل الأمور المحرمة والواجبة قد ذكرت في القرآن بل الكثير منها قد بينتها السنة المطهرة ،إذ نجد الكثير من الروايات الواردة في استنباط الأحكام الشرعية من الوجوب والحرمة والكراهة والاستحباب والاباحة تدل بما لا يقبل الشك من انهم (β) منظومة متكاملة في تأصيلهم للعلوم ووضع مناهجها التعليمية والتفسيرية فهم باب علم الله الذي منه يؤتى في استخراج العلوم والمعارف والاحكام.

---

[١] الصدوق : معاني الاخبار ، ٣٤٩ .
[٢] النساء / ١٠١ .
[٣] البقرة / ١٥٨ .
[٤] الصدوق : من لا يحضره الفقيه ، ١/ ٤٣٤ .

خامساً: تأصيل السنة المطهرة لقاعدة المشترك اللفظي

فالمشترك اللفظي هو(اللفظ الذي تعدد معناه ، وقد وضع للجميع كلا على حدة ، من دون أن يسبق وضعه لبعضها على وضعه الآخر) [١].

وقد اشارت السُنّة المطهرة الى إنَّ النص القرآني يحتمل معاني متعددة ، فله معنى مباشر ظاهر يُدرك من خلال الفهم اللغوي والادراك العقلي وخلف المعنى الظاهر معاني متعددة ، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) لابن عباس ، حين ارسله في محاججة الخوارج : (لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه) [٢]. بمعنى إنَّه : (يحتمل التصريف على التأويلات ، والحمل على الوجوه المختلفات) [٣] ، وقال الرسول (o) : (القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوا على احسن الوجوه) [٤] .

إنَّ هذه التعدد في الوجوه لمعنى اللفظ الواحد تؤكد حقيقة عدم تناهي معاني القرآن الكريم التي قال عنها سبحانه : ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)) [٥]، وقوله كذلك ((وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[٦].

كما يقول رسول الله (o) : (اعطيت جوامع الكلم) [٧]. و(جوامع الكلم) يعني (القرآن الكريم جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة ، واحدها جامعة اي كلمة جامعة ، ومنه الحديث في صفته إنّه كان يتكلم بجوامع الكلم أي إنَّه كان

---

[١] محمد رضا المظفر : المنطق ، ٤٤ .
[٢] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٨٦/٣٣ .
[٣] الشريف الرضي : المجازات النبوية ، ٢٥١ .
[٤] الكاشاني : التفسير الصافي ، ٣٦/١ .
[٥] الكهف / ١٠٩ .
[٦] لقمان / ٢٧ .
[٧] الترمذي : سنن الترمذي ، ٥٦/٣ ، مسلم : صحيح مسلم ، ٦٤/٢، الصدوق : الامالي ، ٢٨٥ .

كثير المعاني قليل الالفاظ)[١] ، كما يشير الإمام ابي عبد الله (γ) الى ذلك بقوله : (إنّا لنتكلم بكلمة بها سبعون وجها لنا من كلها المخرج) [٢].

فاللغة لها القدرة (على التعبير بأنماط متعددة والابانة بوجوه عديدة ومن اهمها الوجه اللغوي ، فالتعدد يكون بالحرف أو الكلمة المفردة ، أو بالتركيب الذي يشمل التضاد والترادف والاشتراك) [٣].

ففي قوله تعالى : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ))[٤]، يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) : (منها الأمة أي الوقت الموقت ، كقوله سبحانه في سورة يوسف : ((ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ ٹ))[٥]، أي بعد وقت ، وقوله سبحانه : ((ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ)) [٦]، أي الى وقت معلوم ، والأُمة هي الجماعة ، قال الله تعالى : ((ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)) [٧]، والأمة الواحد من المؤمنين قال تعالى : ((ٹ ٹ ٹ ٹ)) [٨]، والأمة جمع دواب وجمع طير قال الله تعالى : ((چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ)) [٩]، أي جماعات يأكلون ويشربون ويتناسلون وامثال ذلك)[١٠].

وأيضا في قوله تعالى : ((وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ))[١١]، فكلمة (العفو) فيها عدة معان فقد يكون ما فضل عن الأهل والعيال، أو الفضل عن الغنى ، أو هو الوسط من غير اسراف ولا أقتار، أو ما فضل من قوت السنة [١٢]، أو هو المعروف[١٣] ، ولبيان المعنى المراد منها نجد الإمام ابا عبد الله (γ) ، حين سأله

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٢٧٤/٧٠ .
[٢] محمد الصفار : بصائر الدرجات ، ٣٥٠ .
[٣] هدى زوين : اثر تعدد المعنى في تفسير النص ، ٢٤ .
[٤] البقرة /٢١٣ .
[٥] يوسف / ٤٥ .
[٦] هود / ٨ .
[٧] القصص / ٢٣ .
[٨] النحل /١٢٠ .
[٩] الانعام / ٣٨ .
[١٠] المجلسي : البحار ،٢٢/٩٠-٢٣ .
[١١] البقرة / ٢١٩ .
[١٢] ظ/ الطبرسي : مجمع البيان ، ٨١/٢ .
[١٣] ظ/ ابن منظور : لسان العرب ، ٧٢/١٥- ٧٥.

أحدهم عن معنى العفو فيها: قال: (((□ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □)) [1]، قال هذه بعد هذه هي الوسط)[2].

كما إنَّ لعلم التصريف اهمية كبيرة في اللغة ، وهو (علم بأبنية الكلمة وبما يكون لحروفها من اصالة وزيادة وحذف وضمة وادغام وامالة ، وبما يُعرض لأخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقت وغير ذلك)[3]،ويشير الإمام ابي جعفر (γ) الى ذلك ، بقوله : (وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)[4]. وفي حديث آخر عنه (β) :(إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً ، ...، وفصلاً ، ووصلاً ، واحرفاً وتصريفاً).

فعن الرسول (o) ، حين احتج النصارى بقول احدهم : يا محمد أولستم تقولون إنّ ابراهيم خليل الله ؟ قال : (قلنا ذلك) ، قال : فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول . إنَّ عيسى ابن الله ؟ قال رسول الله (o) : (انهما لن يشتبها ، لأن قولنا ابراهيم خليل الله فإنما هو مشتق من الخُلة والخِلة ، انما معناها الفقر والفاقة ، فقد كان خليلاً الى ربه فقيراً واليه منقطعاً وعن غيره متعففاً معرضاً مستغنياً ، ... ، واذا جعلنا معنى ذلك من الخِلة وهو إنّه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به وبأموره) [5].

وقد تدل بعض الألفاظ المفردة بصيغتها على معنى الجمع أو يحدث خلاف ذلك احياناً، ويشير الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) الى ذلك بقوله : (ومنه ما لفظه واحد ومعناه جمع ، ومنه ما لفظه جمع ومعناه واحد) [6]. ففي قوله تعالى :(((وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا))، فالملك لفظ مفرد واراد به الله تعالى جميع الملائكة)[7].

المطلب الثاني:استعمال اللفظ في المعنى

---

[1] الفرقان / ٦٧ .
[2] العياشي : تفسير العياشي ، ١٠٧/١ ،البروجردي : جامع احاديث الشيعة ، ١١١/١٧.
[3] الاستربادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٧/١ .
[4] العياشي : تفسير العياشي ، ١١/١ .
[5] الطبرسي : الاحتجاج ، ١٩/١ .
[6] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .
[7] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٢٦/٩٠ .

يستعمل اللفظ في المعنى من خلال علوم اللغة التي تمثل احدى وجوه اعجاز القرآن الكريم ، كعلوم البلاغة التي تقسم الى : علم البيان ، والمعاني ، والبديع ، وهي من أبرز العلوم التي يحتاجها المفسر ، ليصل الى مفهوم النص والكشف عن مراد الله تعالى فيه .

اهتمام السنة المطهرة بعلم البلاغة في تفسير النص القرآني

من سمات البلاغة الايجاز في القول ، وتكثيف المعاني ،حيث يقول الإمام علي (γ) : (ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة)[١] ، وعن الحسن (γ) : (البلاغة ايضاح الملتبسات ، وكشف غوار الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات) [٢].

فلابد للمفسر من أن يكون ضليعاً في علوم البلاغة اذا كانت له بغية أن يغوص في طيات القرآن ويستكشف درره وكنوزه المضمونية.

يقول الزمخشري : (لا يتصدى منهم احد لسلوك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان)[٣]، فبهما تعرف خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وخواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها[٤] ، فعلم البيان : هو أصول وقواعد يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة العقلية وخفائها على ذلك المعنى[٥].

إذ يقول الرسول (o) : (إنَّ من البيان لسحراً) [٦]، فسمي النبي (o) بعض البيان سحراً ، لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه

---

[١] ابو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، ٧٤ .
[٢] المصدر نفسه، ٥١- ٥٢.
[٣] الزمخشري : الكشاف ، ١٦/١ .
[٤] ظ/ السيوطي : الاتقان ، ٤٧٧/٢-٤٧٨ .
[٥] ظ/ الجرجاني : التعريفات ، ٥٠/١ .
[٦] السجستاني : سنن ابي داود ، ٤٧٩/٢، الهيثمي : مجمع الزوائد ، ١١٧/٨، الطوسي: التبيان ، ٣٧٢/١ .

وبليغ عباراته [١] ، فيغدو المعنى المبهم بياناً رائعاً وإيضاحاً ناصعاً ، مصوغاً بفن مقالي عالي الدقة يلج القلوب قبل العقول .

من هنا نجد إنَّ أهل البيت (β) يشيرون الى إنَّ من الكلام لينصرف على وجه التورية أو التعريض أو الكناية ، ففي رواية ابي بصير ، عن ابي جعفر (γ) ، قال : (قيل له – وأنا عنده – ان سالم بن ابي حفصة يروي عنك انك تتكلم على سبعين وجهاً لك منها المخرج ، فقال : ما يريد سالم مني ؟ أيريد ان اجيئ بالملائكة ؟ فوالله ما جاء بها النبيون ، ولقد قال ابراهيم: اني سقيم . والله ما كان سقيماً وما كذب ، ولقد قال ابراهيم : بل فعله كبيرهم ، وما فعله كبيرهم وما كذب ، ولقد قال يوسف : ايها العير إنكم لسارقون ، والله ما كانوا سرقوا وما كَذَب) [٢].

فإنَّ للكلام وجوهاً مختلفة ، منها أن يقصد المتكلم الاخبار عن الواقع ومنها أن ينوي التقية ومنها أن ينوي التورية ومنها أن ينوي التعريض أو أن ينوي اصلاح ذات البين الى غير ذلك من الوجوه التي لا يعلمها الا العالم الكامل الماهر ولا يستعملها في مواردها الا الفاضل البارع الماهر ، لذا فقد ذكر قول ابراهيم (γ) (اني سقيم) ، فقد ورى بهذا القول ليتخلف منهم ، اما قوله (بل فعله كبيرهم) ، من باب المعاريض التي جعلها الشرع مباحة للتخلص من المكروه[٣].

اما علم المعاني : فهو (علم يُعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) [٤].

أما اساليب علم المعاني الخبر والانشاء ، ويشير الإمام أمير المؤمنين (γ) الى ذلك ، بقوله : (ومنه ما لفظه على الخبر ومعناه حكاية عن قوم اخر) [٥].

كما يضرب الإمام (γ) مثالا لذلك بقوله : (واما ما جاء في القرآن الكريم على لفظ الخبر ومعناه الحكاية فمن ذلك قوله عز وجل : ((وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ

---

[١] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٢٧٨/٥٦ .
[٢] العياشي : تفسير العياشي ، ١٨٥/٢ .
[٣] المازنداني : شرح اصول الكافي ، ٢٤/١٢ .
[٤] القزويني : الايضاح ، ٢٣ .
[٥] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .

مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا))[1]، وقد كانوا ظنوا إنّهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، ثم قال تعالى : ((ۋ و و ۉ ۉ ې ې ې □ □))[2]، فخرجت الفاظ هذه الحكاية على لفظ ليس معناه معنى الخبر ، وانما هو حكاية لما قالوه ، والدليل على ذلك إنّه حكاية ، قوله : ((ڃ ڃ ڃ ڃ))[3]، الى آخر الآية ، وقوله عز وجل عند ذكر عدتهم : ((مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ))[4]، مثل حكايته عنهم في ذكر المدة : ((وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا(*)قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا))[5]، فهذا معطوف على قوله : ((َيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ))[6]، فهذه الآية من المنقطع المعطوف ، وهي على لفظ الخبر ومعناه حكاية)[7].

ومن اساليب علم المعاني الأخرى التقديم والتأخير ، وقد أشار أهل البيت (ع) الى وجوده في النص الكريم، فعن الإمام علي (γ) : (وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ... ومقدم ومؤخر)[8]

ونجد الإمام الصادق (γ) يحذر من عدم معرفة هذا القسم ، بقوله: (إنّه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل ... والتقديم والتأخير ... فليس عالم بالقرآن ولا هو من اهله) [9] ، إذ ان لهذا القسم اهمية كبيرة في بيان المعنى والمراد في النص الكريم فمن جهل به ، او تساهل به فانه بعيد تمام البعد عن التفسير ولا يسمى مفسراً ، وفيه دلالة على إنَّ هذا القسم له أثر بالغ ودور فعال في الكشف عن المعنى الذي يلتبس بتقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم .

إذ إنَّ للتقديم والتأخير جملة من الأغراض والدواعي ، فمن عادة العرب أن يبدؤون بالأهم ، أو تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو في المعنى

---

[1] الكهف / ٢٥.
[2] الكهف / ٢٦ .
[3] الكهف / ٢٢ .
[4] الكهف / ٢٢ .
[5] الكهف / ٢٥-٢٦ .
[6] الكهف / ٢٢ .
[7] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٨/٩٠ .
[8] المصدر نفسه ، ٤/٩٠ .
[9] المصدر نفسه ، ٤/٩٠ .

مُقدم[١] ، أو إنَّه متقدم بالعلة والسببية أو التقديم لإرادة التبكيت أو التعجيب أو الاختصاص لغرض التخويف أو التهديد أو لبيان شرف المقدم أو لغلبته وكثرته أو لمراعاة اشتقاق اللفظ أو للحث على المقدم خيفة التهاون ، أو الترقي أو لرعاية الفواصل[٢]، فتقديم لفظ في القرآن الكريم أو تأخيره لا يأتي عبثا بل لابد له من مبتغى دلالي وداعي جمالي تأثيري.

تأصيل السنة المطهرة لقاعدة التعريض في النص القرآني

إنَّ التعريض من القواعد البلاغية المهمة في تفسير النص القرآني ، إذ أشارت اليها السنة المطهرة وأكدت اهميتها من خلال الروايات الشريفة ، لذا فقد أفردنا له زاوية خاصة من البحث للوقوف بشكل مفصل على ذلك .

فالتعريض (ما كان من لحن القول ، الذي يفهم به السامع الفهم ما يفهم بصريحه)[٣] ، أو هو (التلميح السياقي بشيء عبر التصريح بغيره)[٤]، ويعرفه ابراهيم الخولي بأنه : (دلالة الكلام على المعنى التعريضي دون غيره ، مما قد يكون من دلالات اللفظ) [٥].

في حديث الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) في جوابه لأحدهم ، يذكر (γ) إنَّ الله تعالى قد بعث الرسول (o) بالتعريض لا بالتصريح ، إذ يقول (γ) : (وإنّ الله علم من نبينا (o) ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله ، فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح) [٦]، اذن فان اهمية التعريض تتبين من إنَّ الله تعالى قد بعث الرسول الكريم بالتعريض بخلاف باقي الأنبياء الذين بعثوا بالتصريح ، حيث إنَّ الله تعالى لما علم من قوة سيد الأنبياء وقدرته وقدرة عترته الأوصياء ، وعلم صبرهم في هداية البشر وتعليمهم

---

[١] ظ/ ابن فارس : الصاحبي ، ١٨٩ .
[٢] ظ/ الزركشي : البرهان، ٣/٢٣٣-٢٧٧ .
[٣] الطبري : جامع البيان ، ٢/٣٢٠ .
[٤] فاضل المالكي : الدلالات القرانية ، ٥٣
[٥] ابراهيم الخولي : التعريض في القرآن ، ٤١ .
[٦] الطبرسي : الاحتجاج ، ١/٣٨٠ .

، لذلك بعثه الله بالتعريض لا بالتصريح ، إذ قال تعالى : ((ک ک گ گ گ گ)) [1].

فالتعريض(طبقة عالية من الكلام ، وفنا من فنونه العصية ، لا ينقاد ولا يتسهل لكل من رامه، أو حام حول حماه ، فإنّه في كتاب الله تعالى يصاعد ، ويعلو ويدق ، حتى لا يتنبه له الا من اتاه الله بصيرة ، ينفذ بها الى حيث يرى من دلالات العبارة القرآنية ما وراء الحدود التي تنتهي اليها بلاغات البشر)[2] .

والمتتبع في النص القرآني يجد كثرة وقوع اسلوب التعريض في آياته، حيث يقول ابراهيم الخولي : (إنَّ التعريض كثير الوقوع في القرآن الكريم، على خلاف ما كنا نظن قبل استقراء مواضعه في كتاب الله)[3]

في هذا يقول الإمام الصادق (γ) : (لا يكون الرجل فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإنَّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج)[4] ، نفهم من كلام الإمام (γ) إنَّ الكثير من نصوصهم الخطابية إنما تحمل غير معنى وأكثر من دلالة فهم يعرضون في كلامهم ليفهم المتلقي المعنى البعيد الذي يريدونه دون تصريح أو إيضاح إنما الإيضاح كامن في فهم المتلقي وسرعة بداهته على التقاط المعنى من نص الإمام المبني على التعريض المضموني.

وفي موضع آخر يقول (γ) : (انتم افقه الناس اذا عرفتم معاني كلماتنا ، إنَّ الكلمة لتنصرف على وجوه ، فلو شاء انسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب)[5].

ومن خلال هذا المعنى يتبين اهمية الالتفات الى هذه القاعدة التي تكون خفية على السامع لما يتضمنه النص من وجوه متعددة للمعنى ، فنص الإمام مكتنز بالدلالة وله حاجة الى من يفصله ويبسط معانيه ليفتح ذلك الأكتناز بإيضاح التعريض الدلالي في النص.

---

[1] الانبياء / ١٠٧ .
[2] ابراهيم الخولي : التعريض في القران ، ١٥٣ .
[3] المصدر نفسه ، ١٥٣
[4] الصدوق : معاني الاخبار ، ٢ .
[5] المصدر نفسه ، ١ .

ففي رواية عن عدي إنَّ أمير المؤمنين علي (γ) عندما كان في صفين ،أنّه قال ورفع بها صوته ليسمع اصحابه : واللهِ لأقتُلنَّ معاوية واصحابه ثم يقول في آخر قوله : إن شاء الله – يخفض بها صوته – وكنت قريباً منه ،فقلت : يا أمير المؤمنين إنّك حلفت على ما فعلت ثم استثنيت فما أردت بذلك ؟ فقال لي : إنَّ الحرب خدعة وأنا عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن احرض اصحابي عليهم كي لا يفشلوا وكي يطمعوا فيهم فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله ، واعلم إنَّ الله جل ثناؤه قال لموسى (γ) حيث ارسله الى فرعون : ((ۀ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے)) [١] ، وقد علم إنَّه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب)[٢] ، فكأن هذه العبارة فيها ملمح الى التطمين لموسى من أن يخاف من فرعون ففرعون وإن كان لا يتذكر ولا يخشى إلا إنَّ هذه المقولة لابد من أن تصدر من موسى لأنها تحمل تعريضاً معنيين:

١-القاء الحجة على فرعون لكيلا يدعي عدم دعوته الى التوحيد إذ لابد من أن تجري عليه الدعوة ابتداءً بوصفه مدعي الربوبية ، من هنا كانت توعيته نحو الحق من باب الاولى لتوغله في الضلالة .

٢-انها دالة على عامل الاطمئنان لموسى من إنه ثمة أمل في ان فرعون قد يتذكر أو يخشى وبهذا يكون له دافع في القاء الحجة عليه،ولما كان موسى (γ) في موضع تحدٍ كان من الواجب أن يكون مطمئناً رابط الجأش لذا كانت هذه العبارة مورد تسكيني وتشجيعي له.

وعن ابي عبد الله (γ) انه قال : قال رسول الله (ο) :لا كذب على مصلح ، ثم تلا : ((ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ))[٣] ، ثم قال : والله ما سرقوا وماكذب ، ثم تلا : ((ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ)) [٤] ثم قال : والله ما فعلوه وما كذب)[٥]،بهذا نجد من مقولات

---

(١) طه / ٤٤ .
(٢) الكليني : الكافي ، ٧/ ٤٦٠.
(٣) يوسف / ٧٠
(٤) الانبياء / ٦٣ .
(٥) الكليني : الكافي، ٢ / ٣٤٣ .

الأئمة إنَّ الخطاب القرآني قد يرد ولا يراد منه المعنى الظاهر من النص ، بل ثمة تعريض مكتنز المضمون له حاجة الى من يفهمه ويستنبطه من طيات النص .

المطلب الثالث :اهتمام السنة المطهرة بقواعد اللغة العربية في تفسير النص القرآني

إنَّ هناك ترابط وثيق بين التفسير ومعرفة النحو والأعراب ، يقول الرسول (o) : (اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) [١]، ومَرد ذلك هو إنَّ (الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي ينتجها ، وإنَّ الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها) [٢] ، فاذا(كان ظاهر القرآن الكريم طبقاً لمعناه ، فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه) [٣].

وقد اعتنى أهل البيت (β) ، بالنحو واكدوا أهميته في تفسير القرآن الكريم بل خطره على استقامة المعنى ، فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(γ) مؤصل ومؤسس علم النحو ،وواضع قواعده حيث املاه على ابي الأسود الدؤلي ، إذ روي (إنَّ اعرابياً سمع من سوقي يقرأ : (إنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله) – مجرورا – فشج رأسه ، فخاصمه الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(γ) ، فقال له في ذلك ، فقال : – أي الرجل– انه كفر بالله في قراءته)[٤] ،فكان هذا أحد الأسباب التي قيل إنَّ الإمام علي (γ) أسس على اثرها علم النحو ، وفي رواية عن ابي الأسود الدؤلي قال : (دخلت على علي بن ابي طالب فرأيته مطرقاً متفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن اصنع كتاباً في أصول العربية ، فقلت : اذا فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ، ثم اتيته بعد ثلاث فألقى الي صحيفة فيها ، (بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام كله اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ، فالاسم : ما انبأ عن المسمى ، والفعل : ما انبأ عن حركة والمسمى ، والحرف : ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال لي : تتبعه وزد فيه ما

---

[١] الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ، ٤ / ٣٤٢ ، الشهيد الثاني : منية المريد ، ٣٦٨، .
[٢] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ٢٨ .
[٣] الطبرسي : تفسير مجمع البيان ، ٤٠/١ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ١٦٢/٤ .

وقع لك واعلم يا ابا الأسود إنَّ الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر ، قال ابو الأسود : فجمعت عنه اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها: أن وإنَّ، وليت، ولعل وكان ، ولم اذكر(لكن) فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت لم احسبها منها فقال : بلى هي منها فزاد لي فيها)[1].

كما بيّن (γ) اهمية أن يكون المتصدي لتفسير القرآن الكريم عارفاً بما فيه من قواعد اللغة العربية من (السؤال والجواب ، والقطع والوصل ، والمستثنى منه والجاري فيه ، والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد ، والمؤكد منه ، والمفصل وعزائمه ...، والموصول من الالفاظ والمحمول على ما قبله ، وعلى ما بعده) [2] ، فمن لا يكون عارفاً بهذه الاقسام (فليس بعالم بالقرآن ، ولا هو من اهله ، وحتى ما ادعى معرفة هذه الاقسام مدع بغير دليل ، فهو كاذب مرتاب) [3] ، فقد تحتمل اللفظة في الآية الكريمة لحالات من الاعراب تؤدي الى معاني مختلفة للكلمة ومن ثمَّ الى الاختلاف في التفسير.

المبحث الثالث

دور السنة المطهرة في بيان اهمية الأصول النقلية في تفسير النص القرآني

الأصول النقلية :هي الأصول التي يعتمد عليها في تفسير النص القرآني وتقسم على قسمين : القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد اهتم أهل البيت (β) ببيان

---

[1] المتقي الهندي : كنز العمال ، ٢٨٣/١٠، الحر العاملي : الفصول المهمة في اصول الائمة ، ٦٨٤/١ .

[2] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠ .

[3] المصدر نفسه ، ٤/٩٠ .

أهمية هذه الأصول وضرورة الاعتماد عليها في تفسير النص الكريم ، وقد كان لهم منهجهم الخاص والمميز في بيان كل من هذين القسمين والذي سيتضح مما يأتي:

المطلب الأول : القرآن الكريم

حين يبين أهل البيت(β)، التلازم بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة ، فهم يؤكدون أصل مهم من أصول التفسير وهو ضرورة جعل القرآن المرجع الذي يسير عليه المفسر في تفسير النص الكريم وبيان المراد الالهي منه، وذلك من خلال :

أولاً : تفسير النص القرآني بآياته الكريمة

وهو من الأصول المهمة في تفسير النص اذ إنَّ للنص القرآني قابلية غير محدودة في بيان آياته وهي من خواصه الاعجازية التي لم يبلغ مكنوناتها الا الخواص والتي تحتاج الى دربة وقدرات مميزة .

زيادة على ذلك فإنَّ روايات أهل البيت (β) قد دلت على إمكان نيل المعارف القرآنية من القرآن الكريم ، ومنها ما روي عن الإمام ابي جعفر الباقر (γ) أنّه قال : (فمن زعم إنَّ كتاب الله مبهم فقد هلك واهلك)[١]، أي إنَّ كتاب الله مفهوم المعنى يمكن الوصول الى المراد من آياته الكريمة .

وعنه كذلك قوله (γ) : (إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله)[٢]، وما روي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) ايضاً قوله (γ) : (إنَّ كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً) [٣].

وهذا ما يشير اليه الإمام علي (γ) من أنّ بعض القرآن يبين خبايا بعضه الآخر ، إذ يقول (γ) : (كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض) [٤] ،

---

[١] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٩٢

[٢] الكليني : الكافي ، ١/ ٦٠ .

[٣] الصدوق : التوحيد ، ٢٥٥ .

[٤] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ١٧/٢ .

يقول الطباطبائي ، إنَّ تفسير القرآن بالقرآن يكون من خلال استيضاح معنى الآية من نظيراتها وذلك بالتدبر الذي يحث عليه القرآن الكريم ، والتعرف على المصاديق بما تهبه الآيات من خواصها[١]، (وحاشا أن يكون القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه) [٢]، فالقرآن الكريم بما انه مبين لكل شيء وفيه كل ما تحتاج اليه البشرية الى يوم القيامة لذا فإنَّه من الواجب البحث في آياته لتفسير آيات اخرى مراد معرفة معناها وهذا الأمر يحتاج الى الكثير من التأمل والتدبر .

ثانيا : بيان السُنّة المطهرة لكيفية التعامل مع المحكم والمتشابه

إنَّ ملاحظة ما جاء عن أهل البيت (β) من روايات عديدة في المحكم والمتشابه ، يبين أهمية هذا البحث وجلالة قدره ، فقد حددت السنة المطهرة المراد من المحكم والمتشابه بدقة لا نظير لها وهذا ما دلت عليه الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة (β) ،إذ نجد الإمام الصادق (β) ، حين سُئل عن المحكم والمتشابه، يقول : (المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله) [٣]، فالمحكم ما يكون واضحاً من خلال الظاهر ومن امثلته آيات الوجوب والحرمة كما مر، وفي رواية أخرى : (والمتشابه الذي يشتبه بعضه بعضاً)[٤] ، فتختلط معانيه دون القدرة على تميّز الصحيح منها .

وعن أبي عبد الله (γ) حين سُئل عن القرآن والفرقان أهما شيء واحد ، فقال (γ) : (القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به) [٥]،إذ إنَّ (الفرقان في الأصل مصدر بمعنى الفرق ثم نقل الى الواجب العمل به على الوجه المطلوب ،لأنه فارق فاصل بين الواجب والحرام وغيرهما من الاحكام وقد يطلق على جملة

---

[١] ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ١/ ١١.
[٢] المصدر نفسه ، ١١/١ .
[٣] العياشي : تفسير العياشي ، ١٦٣/١ .
[٤] العياشي : تفسير العياشي ، ١١/١ ، المجلسي : بحار الانوار ، ٩٣/٦٦.
[٥] الكليني : الكافي ، ٦٣٠/٢، العياشي : تفسير العياشي ، ١٠/١.

الكتاب ايضاً لأنه فاصل بين الحق والباطل والمراد بالمحكم الحكم المتقن الباقي الى آخر الدهر) [١].

كما حددت الروايات الشريفة المراد بالمتشابه فعن الإمام علي (γ) ما نصه : (واما المتشابه من القرآن فهو الذي انحرف منه متفق اللفظ مختلف المعنى ، مثل قوله تعالى : ((يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ))[٢]، فنسب الضلالة الى نفسه في هذا الموضع ، وهذا ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم ، ونسبه الى الكافر في موضع آخر)[٣].

فالتشابه (من اوصاف المعنى الذي يدل عليه اللفظ ، وهو كونه بحيث يقبل الانطباق على المقصود وعلى غيره ، لا من أوصاف اللفظ من حيث دلالته على المعنى نظير الغرابة والأجمال ، ولا من اوصاف الأعم من اللفظ والمعنى)[٤].

وروي عن الإمام الباقر (γ) إنَّه قال : (إنَّ أُناساً تكلموا في القرآن بغير علم وذلك إنَّ الله تعالى يقول : ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ))[٥]،فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات)[٦]، وفي رواية عن الإمام علي (γ) في هذا المعنى ، حين سألوه عن تفسير المحكم من كتاب الله ، فقال : اما المحكم الذي لم ينسخه شيء ، فقوله عز وجل : ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ))[٧])[٨] ، إنَّ وصف المنسوخات بالتشابه ، أي انها من باب المتشابهات في التشابه إذ يشتبه ثباتها وبقائها، فيما يظهر منها من استمرار الحكم وبقائه ، اما المحكمات فهي من قبيل الناسخات في ثبات الحكم وبقائه [٩].

وهم (β) اذ يبينون معنى المحكم والمتشابه يؤكدون خطورة الجهل بهما في القرآن الكريم ، حين يشير الإمام الصادق (γ) الى ذلك بقوله (γ) : (وذلك إنّهم

---

[١] المازندراني : شرح اصول الكافي ، ٧٥/١١.
[٢] النحل/ ٩٣ .
[٣] المجلسي : بحار الانوار ، ١٢/٩٠ .
[٤] الطباطبائي : الميزان ، ٣ / ٦٨ .
[٥] آل عمران /٧ .
[٦] العياشي : تفسير العياشي ، ١١/١ .
[٧] آل عمران /٧ .
[٨] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ٢٠١.
[٩] ظ/ المجلسي : بحار الانوار ، ٩٤/٦٦.

ضربوا بعض القرآن ببعض ، واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون إنّه الناسخ ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون إنّه المحكم...اذ لم يأخذوه عن أهله ، فضلوا واضلوا)[١]، فإنَّ عدم القدرة على تمييز المحكم من المتشابه له نتائجه الخطيرة في الزيغ عن الطريق والضلالة، وعنه ايضاً في أشارته الى ضابط مهم في كيفية التعامل مع المحكم والمتشابه يقول (γ) : (إنَّ القرآن فيه محكم ومتشابه فإما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به ، واما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به) [٢]،فالمحكم ما يمكن معرفة المراد منه والعمل به اما المتشابه فلا يعمل به لعدم وضوحه ولابهامه .

كما يقول : (واعلموا رحمكم الله من لم يعرف من كتاب الله عز وجل ... والمحكم والمتشابه... فليس بعالم بالقرآن ، ولا هو من أهله) [٣].

ويبين الإمام الصادق (γ) ، قاعدة مهمة في تمييز المحكم من المتشابه ، بقوله : (والمحكم ليس بشيئين انما هو شيء واحد ، فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف ، فحكمه من حكم الله عز وجل ، ومن حكم بحكم فيه اختلاف فرأى إنه مصيب ، فقد حكم بحكم الطاغوت) [٤]، فالمحكم له معنى مفهوم وحكم واحد واضح ، وفيه اشارة الى إنَّ المتشابه ما يحتمل عدة معاني يشتبه فيه المعنى المراد منه.

وفي رواية الطبرسي في كتابه الاحتجاج عن النبي (ο) عن احتجاجه يوم الغدير ، قال (ο) : (معاشر الناس تدبروا القرآن ، وافهموا آياته ، وانظروا في محكماته، ولا متشابهه ، فوالله لن يبين لكم زواجره ، ولا يوضح لكم من تفسيره الا الذي أنا اخذ بيده) [٥]، فكل هذه الروايات تشترك بمعنى واحد هو الحث على العمل بالمحكم والنهي عن البحث في المتشابه ، اذ إنَّ هذا القسم من آيات النص الكريم له اهله من الخواص والراسخين في العلم ، ولا يطمع في معرفته من ليس اهلاً لذلك ، وليس ذلك فحسب كما إنَّ من ليس له القدرة على التمييز بين كل من هذين القسمين فأنه لن يأمن السقوط في التهلكة والضلالة.

---

[١] المجلسي : بحار الانوار ، ٤/٩٠، الكاشاني : الصافي ، ٣٩/٨ .
[٢] العياشي : تفسير العياشي ، ١٢/١ .
[٣] المصدر نفسه ، ٤/٩ .
[٤] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٥٠١/٩ .
[٥] الطبرسي : الاحتجاج ، ١/ ٧٥ .

ومن هنا فإنَّ من لم يعرف المحكم من المتشابه في القرآن الكريم فليس له أن يتصدى للعملية التفسيرية لأنه قد يختلط عليه الأمر في معرفتهما وبالنتيجة تكون العواقب وخيمة ، كما يعبر الإمام (γ) ، (فضلوا واضلوا) ، لانهم لم يأخذوا علمه من الطريق الصحيح ولم يستعينوا بالضوابط والأصول والقواعد التي وضعها أهل البيت(γ) ، ويحدد النص الوارد عنهم (β) قاعدتين مهمتين في الكشف عن المتشابه والتي تُعد من أهم القواعد في تفسير النص القرآني :

القاعدة الاولى : ارجاع المتشابه الى المحكم

يمثل المحكم المرجع الأصل في بيان المتشابه وفي معرفة المعنى والمراد من الآيات المتشابهة فلا يجوز تفسير المتشابه إلا بعد رده الى المحكم وعرضه عليه ، والذي تأكده الآية ٧ من آل عمران: ((ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ں ڻ ڻ ڼ ڽ ڽ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ □))[١] ، إذ ان هناك علاقة بين المحكم والمتشابه يمثل فيها المحكم المركز الذي يحوم حوله المتشابه ،والذي عبر عنه قوله تعالى: ((هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)) ، وقد أشار الإمام الرضا (γ) الى قاعدة رد المتشابه الى المحكم بقوله : (من رد متشابه القرآن الى محكمه ، فقد هُدِيَ الى صراط مستقيم) [٢]،إذ أوكل (γ) رد المتشابه الى المحكم ، وفي الحديث تأكيد على امكانية التعامل مع المتشابه من خلال هذه القاعدة وبالتالي كشف المعنى المراد منه لقوله (γ) (من رد).

وقال (γ) أيضاً : (إنَّ في اخبارنا محكماً كمحكم القرآن ، ومتشابهاً كمتشابه القرآن ، فردوا متشابهها الى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا) [٣] ففي الحديث دلالة على إنَّ الإمام (γ) يؤصل لخطة متكاملة في التعامل مع متشابه القرآن والحديث المأثور على حد سواء، وبالتالي صد الآراء المختلفة التي قد تفوت الفرصة في الاستفادة من القرآن الكريم في المجالات الشرعية والعلمية ، فالمتشابه

---

[١] ال عمران / ٧.

[٢] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ٢ / ٢٦١ .

[٣] الطبرسي : الاحتجاج ، ٢ / ١٩٢.

فـي الآيـات القرآنيـة يقبـل الارتفـاع اذا مـا رُدَّ الـى آيـات أخـرى وهـي المحكمـة[١]، والإرجـاع يراد بـه رجـوع بيـان ، ورفـع تشـابه ، لكـون المحكمـات مبينـة للمتشـابهات ، رافعة لتشابهها[٢].

من هنا فإن ما (نفهمه من ملخص ما اثر عن أئمة أهل البيت (β) هو نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي ، بل الآيات التي لم تستقل في مداليلها الحقيقية يمكن معرفة تلك المداليل بوساطة آيات أخرى ، وهذا معنى ارجاع المحكم الى المتشابه)[٣] ،

وقد اشتملت روايات أهل البيت (β) على التحذير والنهي من العمل بالمتشابه نظراً لغموضه وإبهامه الذي يجب معه الرجوع الى المبين والمفصل كما أن التكليف بالمبهم عمل محال عقلاً.

فقد روي عن الإمام الصادق (γ) : (إنَّ القرآن زاجر وآمر يأمر بالجنة ويزجر عن النار ، وفيه محكم ومتشابه فإما المحكم فيؤمن به ويعمل به واما المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله تعالى : ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...))[٤].

لذا إنَّ العمل بالمتشابه من دون علم سبب لهلاك الناس وضلالتهم، يقول الإمام علي (γ) : (وانما هلك الناس في المتشابه ، لأنّهم لم يقفوا على معناه ، ولم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تأويلاً من عند انفسهم بآرائهم واستغنوا عن مسألة الأوصياء)[٥]، إنَّ عدم المعرفة التامة بالمتشابه والتمييز بين الآيات المتشابه والمحكمة يؤدي الى اللجوء الى محاولة تأويل هذه الآيات بدون دليل من القرآن او السنة الشريفة ، مما يؤدي الى ابتعاد المعنى عن المراد الالهي وبالتالي يكون من التفسير بالرأي المذموم والمنهي عنه .

---

[١] ظ/الطباطبائي : الميزان ،٦٨/٣ .
[٢] ظ/المصدر نفسه ، ٤٣/٣ .
[٣] الطباطبائي : القران في الاسلام ، ٣٧ .
[٤] آل عمران /٧ .
[٥] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ٢٠١ .

من هنا يتبين إنَّ هناك امكانية لمعرفة المراد من المتشابه من خلال تأويله وفق قواعد وشروط ممنهجة اعتماداً على الدليل القرآني والسنة المطهرة .

القاعدة الثانية : ارجاع المتشابه الى الراسخون في العلم

تدل الآية الكريمة في سورة آل عمران بأنّه لا يعلم تأويل القرآن الكريم الا (الله والراسخون في العلم) ، وقد أكدت الروايات إنَّ الراسخين في العلم هم النبي وأهل بيته(β) ، فمن ذلك ما روي عن الإمام الباقر (γ) ، حين سُئل عن الآية : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)) ، فقال : (يعني تأويل القرآن كله إلا الله والراسخون في العلم ، فرسول الله افضل الراسخين قد علّمَه الله ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله منزلا عليه شيئاً لم يعلمه تأويله واوصيائه من بعده يعلمونه كله) [١] من دون استثناء، وبهذا تكون المرجعية الثانية لبيان المتشابه هم النبي (o) وأهل بيته (β) ، فتأويل المعصوم للمتشابه يجعل منه محكماً .

كما تعرض لنا السُنّة المطهرة في روايات أُخرى صفات تشمل غير أهل بيت العصمة في صفة الرسوخ ، كما في رواية عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) وهي رواية طويلة ، يقول فيها (γ) : (واعلم يا عبد أن الراسخين في العلم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب المحجوبة فلزموا الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ،فقالوا : ((آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)) ، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه منهم رسوخاً) [٢].

فنجد أنّه (γ) يفسر (الراسخين في العلم) (بمطلق من لزم ما علمه ولم يتعد الى ما جهله)[٣]. فالرواية تدل على عدم انحصار الرسوخ بأهل البيت (β) ، وإن كانوا يمثلون المصداق الأتم والأكمل لهذه الصفة، وهو لا يمنع احتمال عدم وجود

---

[١] العياشي :تفسير العياشي ، ١٦٤/١ .
[٢] المصدر نفسه ، ١٦٣/١ .
[٣] الطباطبائي : الميزان ، ٦٩/٣ .

غيرهم ممن تنطبق عليه تلك الصفات [١]، فحين سُئل الرسول (o) عن الراسخين في العلم قال : (من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخون في العلم) [٢]، وهذا يؤكد وجود من يمتاز بهذه الصفة التي هي النتيجة الطبيعية لتضافر واجتماع عدة صفات أخرى ، ليس لها طريق الا الى الخواص من الناس الذين نزهوا انفسهم فارتقت قلوبهم الى مكامن العلم والحكمة .

وعن الإمام الباقر (γ) : (الراسخون في العلم من لا يختلف في علمه) [٣]، فأن الرسوخ في العلم مبعثه عدم الاختلاف فيه، وبهذا نفهم إنَّ اصحاب الزيغ هم الذين يختلفون في العلم بدليل قوله تعالى في الآية الكريمة ، ((الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ)) والذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة ، وهذا دليل على الأختلاف في العلم وهو غير الرسوخ في العلم.

ويتأكد كون الرجوع الى الراسخين في العلم من أهل بيت النبوة ، من الأصول التفسيرية المهمة ، قول الإمام ابو عبد الله (γ) : (إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن ، وبها نوَّهت الكتب ويستبين الايمان) [٤] ، وهذا يدل على العلاقة الوثيقة بين المحكم وولاية أهل البيت (β) ، في معرفة المتشابه والوقوف على المعنى المراد من الآية القرآنية والكشف عن المقاصد الالهية لها، بل إنَّ ولايتهم (β) تمثل المركز الذي يدور في فلكه محكم القرآن .

ومن ذلك قوله تعالى : ((پ پ پ *پ ٹ ٹ)) [٥] ، فظاهر الآية يدل على امكانية رؤية الله ، وهذا يؤدي الى القول بالتجسيم تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، ولكن عند ارجاع هذه الآية المتشابهة وكل ما يماثلها الى الآيات المحكمة ، كقوله تعالى : ((ڈ ٹ ٹ)) [٦] يزول اللبس، إذ يقول الإمام الرضا (γ) في تفسير النظر في

---

[١] المصدر نفسه ، ٦٩/٣ .
[٢] ظ/ السيوطي : الدر المنثور، ٧/٢ .
[٣] الكاشاني : الصافي ، ٢٤٧/١ .
[٤] العياشي : تفسير العياشي ، ٥/١ .
[٥] القيامة / ٢٢- ٢٣ .
[٦] الانعام /١٠٣ .

الآية الاولى: (يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها)[1]، فنجد إنَّ الإمام قد فسر لفظة (ناظرة) بالانتظار من أجل نيل المغفرة والثواب العظيم بدلالة أشراقة الوجه الدالة على التفاؤل الكلي في تلك اللحظة الحاسمة والمنتَّظرة.

ويقول (γ) في نفي الرؤية حين قيل له (γ) أن الله عز وجل قسم لموسى الكلام ولمحمد (o) الرؤية محتجاً عليهم : (فكيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم الى الله بأمر الله ويقول : ((ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ))[2]،((□ □ □))[3]،((ڈ ڈ ژ ژ ڑ))[4]، ثم يقول : أنا رأيته بعيني ، وأحطت به علماً ، وهو على صورة البشر)[5] .

وفي قوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □)) [6]، وقوله تعالى : ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا)) [7]، وقوله تعالى : ((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ))[8]، وقوله تعالى : ((إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ)) [9] ، قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (γ) في رده على السائل : (يراد بذلك البعث ، فسماه الله لقاء ، وكذلك ، قوله عز وجل : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[10]. يعني من كان يؤمن إنّه مبعوث فإنَّ وعد الله لأتٍ من الثواب والعقاب ، فاللقاء هنا ليس بالرؤية ، بل اللقاء هو بالبعث ، فافهم جميع ما في الكتاب من لقائه فانه يعني بذلك البعث ، وكذلك قول((ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ)) [11] يعني أنه لا يزول الايمان عن قلوبهم يوم يبعثون) [12]، من هنا تدحض مقولة رؤية الله تعالى عن طريق بيان الائمة للمتشابه القرآني بالمحكم القرآني تارةً والتفسيري تارةً أخرى .

---

(١) الصدوق : الامالي ، ٤٩٤ .
(٢) الانعام / ١٠٣ .
(٣) طه / ١١٠ .
(٤) الشورى / ١١ .
(٥) الصدوق : التوحيد ، ١١١ .
(٦) السجدة /١٠ .
(٧) الكهف /١١٠.
(٨) البقرة / ٤٦.
(٩) التوبة /٧٧.
(١٠) العنكبوت/٥.
(١١) الاحزاب / ٤٤.
(١٢) الصدوق : التوحيد ، ٢٦٧.

المطلب الثاني : التأصيل لقواعد السنة المطهرة في فهم النص القرآني

تُعدّ السنة المطهرة من أهم أصول التفسير ومن أهم الطرق لمعرفة وفهم القرآن الكريم . قال تعالى : ((ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ)) [١]، ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[٢]،فإنّ كلام النبي (o) وبيانه وتفسيره يعتبر حجة بالنسبة لآيات القران .[٣]

وبما إنَّ أهل البيت (β) هم امتداد لبيان النبي (o) ،لذا فأن سنة المعصومين (β) ، في أي قسم كانت يمكن أن تكون مفسراً للقرآن بعد ثبوت اعتبارها وحجيتها [٤].

إذ يحث أهل البيت (β) كل من يسعى لاستكشاف دلالة النص القرآني تفسيراً على ضرورة الأخذ بحديثهم الموافق لكتاب الله وعدم رده فعن الإمام الصادق في احتجاجه على الصوفية ، يقول : (فبئس ما ذهبتم فيه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه (o) واحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل ، وردكم اياها بجهالتكم)[٥].

ففي قوله تعالى : ((كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً)) وردت بعض الروايات في بيانها ، وعلق عليها الطباطبائي، بقوله: (وبعض المفسرين شدد النكير على ما تضمنته هذه الروايات كالوحي الى عمران ، ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها ، وكون سؤال زكريا للآية ، فقال : إنَّ هذه أمور لا طريق الى اثباتها ... وليس هناك إلا روايات اسرائيلية) [٦] ، ثم قال في الرد على ذلك : (وهو منه كلام من غير حجة ، والروايات وإن كانت آحاد غير خالية عن ضعف الطريق لا يجب على الباحث الأخذ بها والاحتجاج بما فيها، لكن

---

(١) النحل / ٤٤

(٢) النحل / ٦٤

(٣) ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ١٢ / ٢٦١

(٤) ظ/ التمهيد من الرسالة ، حجية السنة المطهرة.

(٥) المجلسي : بحار الانوار ، ٤٧، ٢٣٦

(٦) الطباطبائي : الميزان ، ٣/ ١٨٤- ١٨٥.

التدبر في الآيات يقرب الذهن منها والذي نقل منها عن أئمة أهل البيت (β) لا يشتمل على أمر غير جائز عند العقل)[1].

إنَّ (البحث في الروايات المرتبطة بكل آية يكون ضروري وبدونه لا يمكن العلم بمفاد القرآن في المجالات العلمية ولا العمل في المجالات العملية ، لأنّ تقييد المطلقات وتخصيص العمومات وتفصيل كليات الآيات القرآنية هو مسؤولية المعصومين (γ) ، ولكن البحث في الرواية يجب أن يكون بعد تحليل آيات القرآن ، لا في عرضه بحيث يفهم أصل معنى الآية بواسطة الرواية)[2] ، ذلك بأن الاطلاع على الرواية التفسيرية عن الائمة تضيء المسلك الدلالي للآية وتنير لنا المضمون لأنها تعمل على إزاحة الابهام والأخذ بيد المستكشف الدلالي (المفسر) الى نطاق البيان والايضاح فقد لا يراد من العموم القرآني بقاءُه على دلالة العموم وإنما عملت السنة على تخصيصه وقد لا يبتغى من المجمل ابهامه في النص الكريم لذا يحال على تفصيله من السنة لأنه هو المراد المبتغى منه لهذا وجب الاطلاع على المرويات البيانية للنص المعجز حتى يتسنى للمفسر معرفة صحة الطريق وصولاً الى الدلالة الأصوب في نطاق عمله التفسيري.

ومما يروى عن أهمية السنة في مجال تفصيل المجمل عن عمران بن حصين أنَّه قال لرجل يرى الكفاية في القرآن دون السنة : (إنَّك امرؤ احمق اتجد الظهر في كتاب الله اربعاً لا تجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال : اتجد في كتاب الله مفسراً ؟ إنَّ كتاب الله تعالى ابهم هذا ، وإنَّ السنة تفسر ذلك)[3] ، لذا يجب الركون الى منطق السنة في الميدان التفسيري والحال هذه.

فالاستناد الى آيات القرآن والاستدلال بها في العقيدة والعمل لا يصح من دون ملاحظة الروايات ، لان المقيدات ، والمخصصات والمبينات ،وشواهد الآيات القرآنية قد وردت في الروايات ، ولكن بعد الفحص في الروايات وعدم العثور على

---

[1] المصدر نفسه ، ٣/ ١٨٤- ١٨٥.
[2] جوادي آملي : تفسير تسنيم ، ١ / ٢٠٧ .
[3] القرطبي : الجامع لاحكام القران ، ١/ ٣٩ .

أي مقيد أو مخصص أو كاشف لمدلول الآية المعينة ، فحينئذ يمكن القول بأن هذا هو مفاد الآيات ومقصودها في مجال العقيدة او العمل .[١]

كما إنّ حمل اللفظ على الأركان المخصوصة لا يكون الا بعد بيان المجمل من شارع الاحكام ، وذلك لا يتحقق إلا بعد السماع ، ومن ذلك القبيل الأقسام والحروف المذكورة في اوائل السور فلا يجوز حملها على مجرد مدلول اللفظ عليها من معانيها إلا بنص وتوقيف ، وكذلك اسباب النزول ، وصرف الألفاظ المشتركة الى احدى دلالاتها ، فلا يثبت ذلك كله ولا يجوز تفسيرها إلا بخبر أو أثر[٢].

فضلاً عن إنَّ التأويل الذي لا يتم إلا ببيان الرسول (o) من وجوه أمره ونهيه وندبه ، وارشاده ، ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ،وما أشبه ذلك من احكام الآيات التي لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله (o) له بتأويلها بنص منه أو بدلالة قد نصها على تأويلها .[٣]

ولهذه الاهمية التي تمتاز بها السنة المطهرة في تفسير القرآن (ولاطلاعهم على العلوم الالهية ، اعتبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم)من مصادر التفسير وجزءاً من التفسير الروائي)[٤] دون نقاش.

نماذج تطبيقية للسنة المطهرة في تفسير آيات النص القرآني وتبيينها :

تقوم السنة المطهرة بتخصيص بعض العموم الوارد في النص القرآني ، ومن امثلة ذلك ، قوله تعالى : ((ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ))[٥]، فلفظة (اولادكم) جمع مضاف تفيد عموم الأبناء من دون تخصيص أو استثناء لأحد غير إنَّ السنة خصصت بعضاً من هذا العام فأخرجته من أحقية الإرث إذ أخرجت الابن القاتل لآبيه ، لقوله (o) : (القاتل لا يرث)[٦] ، كما منعت الكافر من الميراث لقول ابي

---

[١] جوادي آملي : تفسير تسنيم ، ١ / ١٩٣

[٢] ظ/ المصدر نفسه، ٦٤ .

[٣] ظ/الطبري : تفسير الطبري ، ١ / ٢٥ .

[٤] محمد الاصفهاني : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، ٧٦.

[٥] النساء / ١١ .

[٦] الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ، ١٧ / ١٤٦ الريشهري : ميزان الحكمة ، ٤ / ٣٥٠٤.

عبد الله (γ) : (لا يرث الكافر المسلم ، وللمسلم أن يرث الكافر)[١] ، وهذا التخصيص مما لا يمكن الوصول اليه الا من خلال السنة الشريفة ، فلولا هذه النصوص التفسيرية لاختلط الحابل بالنابل ولأعطي الإرث حقاً لمن لا يستحقه شرعاً ، من هنا تتضح أهمية السنة الكريمة في تخصيص العام من النص المعجز.

وفي قوله تعالى : ((ٹ ٹ ٹ ٹ)) [٢] ، يقول الإمام الجواد (γ) في بيان موضع القطع حين طلب منه المعتصم بيان ذلك حيث أختلفت الآراء فيه : (إنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف ، قال : لمَّ ؟ قال : لقول رسول الله (o) : السجود على سبعة اعضاء : الوجه ، واليدين ، والركبتين ، والرجلين ، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تعالى : ((ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ))[٣])[٤]، فبعد أن كان موضع قطع يد السارق مطلق في الآية الكريمة ، قامت السنة بتقييده بموضع الاصابع دون الكف .

وفي قوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)) [٥]، فقد جاءت الوصية مطلقة في هذه الآية ولم يتعين مقدارها لهذا قامت السنة الشريفة بتقييدها بالثلث، فقد ورد عن الرسول إنَّه أقر بوصية البراء بن معرور الأنصاري الذي اوصى بثلث ماله حينما حضره الموت في المدينة ، وكان رسول الله (o) بمكة فجرت به السنة[٦] ، وعن الإمام الصادق (γ) في جوابه على سائل عن الرجل يموت فما له من ماله ؟ قال (γ) : (له ثلث ماله وللمرأة أيضاً)[٧].

كما وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة منها(ما لا يمكن تفسيره الا بنص خبر وسماع أثر ، مثل بيان المبهمات وتفصيل المجملات) [٨] ، فالآيات المتعلقة بالعبادات من صوم وصلاة ، وحج ، وزكاة ونحوها ، وردت اكثرها مجملة ولهذا

---

[١] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ١٩ / ٣٤٥ .
[٢] المائدة / ٣٨ .
[٣] الجن / ١٨ .
[٤] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٨ / ٢٥٣.
[٥] النساء / ١٢ .
[٦] الكليني : الكافي ، ٧ /١٠ .
[٧] المصدر نفسه ، ٧/ ١١
[٨] الشهرستاني : مفاتيح الاسرار ،٦٣

تحتاج الى بيان من السنة الشريفة من أجل تفصيل احكامها ايضاحاً وكشفاً ،ومن جنس تفصيل مجمل القرآن قوله تعالى : ((ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ)) [١]، فحكم الصلاة والزكاة مجمل لا (يعرف من حيث اللغة الا الدعاء من لفظ الصلاة ، والتطهير والتنمية من لفظ الزكاة) [٢]، لذا احتيج الى بيان اوقاتها وشروطها وعدد ركعاتها وكيفيتها وغير ذلك من الأمور التي تكفلت بها السنة الشريفة [٣]، لهذا أدى الرسول (o) الصلاة كاملة امام المسلمين وقال لهم (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٤] ففسر اجمال الصلاة بالسنة العملية وأكدها بالقولية، وكذلك الحال مع معظم العبادات من الحج والزكاة والصوم وغيرها فيما لا يمكن للمفسر أن يستغني فيها عن السنة المطهرة بأي حال من الاحوال .

كما قامت السنة المطهرة ببيان الموارد التي وقع فيها النسخ ،فأوضحت إنّ بعض الآيات قد تعطل فيها الحكم وإنَّ الحكم الجاري للناسخ دون المنسوخ ، ومن جنس هذا البيان قوله تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ)) [٥] ، إذ روي عن الإمام أمير المؤمنين علي (γ) إنَّ هذه الآية قد نُسخت بأية الجلد ، وهي الآية الثانية من سورة النور[٦] ، بهذا نجد إنّ السنة كشفت الناسخ فاتضح المراد والحال هذه من النص .

ومن جملة ما قامت السنة المطهرة ببيانه هو بيان اسباب النزول ، أي لبيان زمان ومكانها ، أو بيان نوع الحادثة التي نزلت الآية بسببها ، ولهذه الروايات اهمية كبيرة في كشف دلالة الآيات ولهذه الأهمية افردنا له مساحة من البحث .

---

[١] البقرة / ٤٣ .
[٢] الشهرستاني : مفاتيح الاسرار ،٦٣
[٣] ظ/ الكليني : الكافي ، ٣ / ٢٧١ ، ٣ / ٥٠٩
[٤] البخاري : صحيح البخاري ، ١١٧/١.
[٥] النساء / ١٥ .
[٦] ظ/ الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ٦٧

الفصل الرابع : بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر وشروطه

المبحث الاول : بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر

المبحث الثاني : العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر

الفصل الرابع

تأصيل السنة المطهرة لشروط المفسر ومؤهلاته

لقد أكثرت مدونات مناهج التفسير وكتب علوم القرآن من الحديث عن شروط المفسر وخصائصه ومؤهلاته ، وما يحتاج اليه من علوم ومقدمات [١] تمكنه من ممارسة العملية التفسيرية على وجهها الأصح، كما بينت السنة المطهرة ذلك واهتمت بالإشارة اليه .

المبحث الأول

بيان السنة المطهرة لمؤهلات المفسر وخصائصه

يبين أهل البيت (β) أهم الخصائص التي يجب أن يتميز بها المفسر ، حيث نجد إنَّ الإمام أمير المؤمنين (γ) يبين هذه الخصائص بدقة ، فيقول (γ) : (إنَّ علم القرآن ليس يعلم ما هو الا من ذاق طعمه ،فعلم بالعلم جهله ، و بصر به عماه ، و سمع به صممه ، و أدرك به علم ما فات ، وحيي به بعد إذ مات ، و اثبت به عند اللّه الحسنات ، و محا به السيئات ، و أدرك به رضواناً من اللّه تبارك و تعالى ، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة)[٢] ، أي إنَّ العلم الخاص بالقرآن والذي يشمل جميع العلوم لا يعرفه الا من عرف حقيقته وكيفيته وانواعه كحقيقة أحساس الانسان بحواسه الطبيعية ، فاحاط به ،وادركه قلبه وان لم يسمعه، وتدارك به ما فات مما جهله من هذا العلم، الذي هو سبباً لحياة القلب ، فهو موجب لثبوت الحسنات عند الله ، وتمحا به السيئات[٣] ، وقد أسس له الامام (γ) في مقاله هذا.

---

[١] ظ / السيوطي : الاتقان ، ٢ / ٤٦٧ ، محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٢٨٠-٢٨٤

[٢] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٨٥ .

[٣] المازندراني : شرح أصول الكافي ، ١٢/ ٥٥٩-٥٦٠

وهذا الشرط قريب مما سماه الراغب الاصفهاني بـ(علم الموهبة) إذ وصفه بأنه علم يورثه الله من عمل بما علِم [١]، يقول السيوطي : (ولعلك تستشكل علم الموهبة ، و تقول : هذا شيء ليس في قدرة الإنسان و ليس كما ظننت من الاشكال ، و الطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل و الزهد)[٢] .

ويقول الزركشي : (اعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ، ولا يظهر له اسراره ، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالأيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، او راجع الى معقوله ، وهذه كلها حجب ، وموانع بعضها أكد من البعض)[٣]، الآخر بلا جدال.

وقد اشارت بعض الروايات الى بعض الصفات التي يجب أن يتصف بها المفسر ، ومنها ما روي عن الإمام الصادق (γ) إذ يقول : (انما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقَّ تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه، فأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم)[٤]، بهذا نجد أنَّ الإيمان والنقاء الروحي والخُلقي من الصفات المهمة في المعرفة القرآنية ، حيث يقول سبحانه : ((((ﭐ ﭑ ﭒ *ﭓ ﭔ ﭕ *ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ))[٥].

ومس القرآن هنا اشارة الى ملامسة الحقائق القرآنية التي عبر عنها الإمام الصادق (γ) بقوله : (الحقائق للأنبياء)[٦]، فكل مرحلة من مراحل المعرفة بالقرآن الكريم المتمثلة بالعبارة ، ثم الاشارة ، ثم اللطائف ، ثم الحقائق* ، يمكن أن يرتقيها المفسر بحسب رقيه الروحي وطهارته النفسية ، فكلما تطهر الإنسان نفسياً

---

[١] الاصفهاني : مقدمة في التفسير ، ٩٥
[٢] السيوطي : الاتقان ، ٤ / ١٨٨
[٣] الزركشي : البرهان ، ٢/ ١٨٠ .
[٤] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٢ / ١٠٠ .
[٥] الواقعة/ ٧٧- ٧٩
[٦] الفيض الكاشاني : الصافي ، ١/ ٣١

وروحياً ، وزكى نفسه ، فأنه ستكون له القدرة على التعمق شيئاً فشيئاً وصولاً الى مراتب المعارف القرآنية والعلوم الربانية .

ففي رواية عن الإمام علي (γ) ، قال : (إنّ اللّه قسم كلامه ثلاثة أقسام ، فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل ، و قسماً لا يعرفه الا من صفا ذهنه و لطف حسه و صح تمييزه ، ممن شرح اللّه صدره للإسلام)[1]، بهذا نفهم إنّه ليس للجميع المقدرة على تفسير كل النص القرآني ، بل يتفاوت المفسرون كلٌّ بحسب قاعدته المعرفية ودرجة طهارته النفسية على النيل دلالة ومعنى من النص المقدس فمنهم من يفهم معنى النص ومنهم من يفهم أكثر من ذلك على وفق ما حباه الله من قدرة وعمق في التفكير والاستنباط ، وكلما كان للإنسان مستوى عالٍ من الطهارة النفسية والروحية كان حظه في فهم الحقائق القرآنية أدق واعلى .

المبحث الثاني

العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر

إنَّ هناك علاقة جدلية ثابتة بين مستوى المعرفة لدى المفسر ودرجة التقوى و بين فهمه للنص الكريم، حيث يقول الإمام أمير المؤمنين (γ): (إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن)[2]، فهذه المعرفة وهذا الفهم لا يتحقق إلا إذا كان للمفسر بعد توافر صفة التقوى وتزكية النفس احاطة بالمعارف والعلوم المتصلة بالقرآن أو التي تكون بمكان الأدوات التي تعينه على فهم مقاصد الآيات القرآنية ، كما حذر الرسول (o) وآل بيته (β) ، من التصدي لتفسير النص الكريم من دون أن يكون المفسر محصناً بالعلوم والمعارف التي تنير له طريق المعنى القرآني ، يقول الرسول (o) : (من افتى الناس بغير علم ، وهو لا يعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه فقد

*إن هذه المرحلة لايصل اليها الا النبي (ص) واهل بيته (ع) بحكم وراثتهم لعلم النبي (ص).

[1] المجلسي : بحار الانوار ،٩٢/ ٤٥ .

[2] الفيض الكاشاني : تفسير الصافي ، ١/ ٣٦ .

هلك واهلك)[١]، وعن ابي عبد الله (γ) : (من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فهو ابعد من السماء)[٢] ،

ومن جنس المعارف التي عدها علماء التفسير ومنهم الزركشي[٣] ، والسيوطي[٤] ، وغيرهما [٥] ، مهمة لمعرفة التفسير لمعنى الآي الكريمات هي العلوم التي تتعلق بالنص القرآني من خارج نطاق لغته النصية[٦]، وقد اشرنا الى إنَّ القواعد الخطابية لهذا الصدارة من حيث وجوب معرفة المفسر لها لأنها تعد الأدوات الرئيسة لفهم الآية الكريمة ؛ إلا إنَّه يمكن أن يقال بأن المعارف المتعلقة بالنص القرآني لاتقل أهمية عن معرفة القواعد الخطابية أو المباحث اللفظية لإدراك تفسير النص الكريم.

إذ إنَّ العلوم اللغوية (كالصرف والنحو والبلاغة) تعد من العلوم الضرورية ، وهي جميعاً أدوات تعين المفسر وتمكنه من الولوج الى النص لقراءة دلالته بدقة، وقد بينا أثر الإمام أمير المؤمنين في انبثاق علم النحو ، وكشفنا عن تأكيد أهل البيت (β) ضرورة المعرفة بالمباحث اللفظية ، والإحاطة بها بالمستوى الذي يتيح للمفسر استيعابا افضل لمختلف الزوايا اللفظية والمعنوية للآيات الشريفة [٧].

وقد اشرنا الى جملة من هذه المعارف سلفاً [٨] ،والتي بينا من خلالها تأكيد أهل البيت (β) اياها، وسنستكمل الحديث عن العلوم الأخرى التي أكدت عليها السنة المطهرة فيما يأتي:

اولاً : تأصيل السنة المطهرة لعلم اسباب النزول

---

[١] الكليني : الكافي ، ١ / ٤٤ .
[٢] العياشي : تفسير العياشي ، ١ / ١٧ .
[٣] ظ/ الزركشي : البرهان ، ٢/ ٢٨٩.
[٤] ظ/السيوطي : الاتقان ، ٢/ ١٢٠٩
[٥] ظ/ الراغب الاصفهاني : مقدمة جامع التفاسير ، ٩٣- ٩٧ ،محمد لطفي الصباغ : بحوث في اصول التفسير ، ٥٢.
[٦] محمد باقر الحكيم : علوم القران ،٢٢.
[٧] ظ/الفصل الثالث من الرسالة، المبحث الثاني .
[٨] ظ/ الفصل الثالث من الرسالة .

إنَّ (أسباب النزول هي أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها)[١] ،فعلم اسباب النزول هو : العلم الذي يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية ووقتها ومكان نزولها وغير ذلك[٢] ولا يُعدّ (الاخبار عن المستقبل ، ولا قصص الانبياء والمرسلين من اسباب النزول) [٣].

وهو من علوم القرآن ، الذي يُسهم في فهم معنى الآية وتبيين المراد منها ، فهو يعين على بيان (وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم)[٤] ، لان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ،وأنّه لا يمكن تفسير الآية من دون الوقوف على قصتها ، وبيان سبب نزولها ، فهو طريق قوي في فهم معاني القرآن[٥] ،ودلالات آياته .

كما إنَّ معرفة السبب لنزول الآية يعين على حفظ القرآن وسهولة فهمه لان ربط الاسباب بالمسببات والاحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والازمنة والامكنة كل ذلك من دواعي ثبات الاشياء في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها[٦].

ففي قوله تعالى : ((ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ)) [٧]. ان سياق الآية لا يوضح ما هو ذلك الشيء الذي لا جناح على الذين آمنوا في اطعامه ، فليس في الآية ما يشير الى ذلك الموضوع ، ولكن عند معرفة سبب النزول يتوضح ويتبين المراد من ذلك ، فسبب نزول هذه الآية كان رداً على من قالوا بعد نزول آية تحريم الخمر والميسر ، ما حكم المسلم الذي شرب الخمر وجنى من القمار أموالاً وغادر الدنيا على ذلك ؟[٨]، وفي ضوء سبب النزول هذا ، يتضح المقصود

---

[١] محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٤٤
[٢] حاجي خليفة : كشف الظنون ، ٧٦/١.
[٣] الزرقاني : مناهل العرفان ، ١/ ٩١، السيوطي :الاتقان ، ١ / ٩٤ .
[٤] الزركشي : البرهان ، ٢٢/١
[٥] ظ/ الزركشي : البرهان ، ١/ ٢٢ ، السيوطي : لباب النقول ، ١٣
[٦] ظ/محمود شحاتة: علوم القران ،٨٩
[٧] المائدة / ٩٣
[٨] ظ/ الطبرسي : مجمع البيان ، ٣/ ٤١٥ ، الواحدي : اسباب النزول ، ١١٩ .

بـ(ما طعموا) في الآية وهو شرب الخمر ، والتمتع بأرباح القمار ، قبل نزول آية التحريم.

لهذا أعتنى المفسرون بذكر أسباب النزول ، فجعلوا معرفتها من الضروريات لمن يريد فهم القرآن والوقوف على أسراره .

من خلال معرفتنا لأهمية الوقوف على سبب النزول في تفسير النص القرآني ، يتبين لنا سر عناية الإمام أمير المؤمنين علي (γ) بأمر نزول القرآن ، ومعرفة أسبابه ومواقعه ، فقد كان يعلن دائما علمه بذلك ، ويصرح باطلاعه الكامل على هذا النمط من المعرفة التفسيرية ، حيث يقول (γ) : (سلوني عن القرآن أخبركم عن آياته فيمن نزلت وأين نزلت)[١] وعنه (γ) : (ما من آية نزلت في ليل أو نهار ، أو بر أو بحر ، أو سهل أو جبل ، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت)[٢]، وفي رواية أخرى : (وفي أي يوم وفي أي ساعة نزلت)[٣]، انَّ هذه المعرفة اللامحدودة بالآيات الكريمة للنص القرآني هي موهبة لا يمتلكها الا هؤلاء العظماء ، فهو هنا لا يشير فقط الى الحدث أو الاشخاص الذين نزلت فيهم الآيات القرآنية بل مكان ، وزمان نزولها وفي أي شيء نزلت هذه الآية ، وفي أي ساعة بالتحديد.

إنَّ هذه الأهمية لسبب النزول وكل ما يحيط به من ظروف واحداث عند الإمام علي (γ) ، تمثل داعي لأهتمام المفسر والمتصدي لتفسير النص لقرآني بضرورة الاحاطة بهذا العلم .

فإن هذا التأكيد لا يراد منه بيان سعة علمهم بالأحداث فحسب، بل لبيان ارتباط ذلك بفهم القرآن وتفسيره[٤] ، إذ هي – يعني الأسباب – أولى ما يجب الوقوف عليها ، فأولى أن تصرف العناية إليها ، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها من دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها[٥].

---

[١] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١ / ٧٣

[٢] ابن شهر اشوب : المناقب ، ٤ / ١٢٨ .

[٣] المجلسي : بحار الانوار ، ١ / ١٨٧

[٤] ظ/محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٣٦٩

[٥] ظ/الواحدي : اسباب النزول ، ٤

وقد جعله الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (γ) من الأمور التي لو لم يعرفها المتصدي لمعرفة القرآن لم يكن عالماً بالقرآن ، فقال (γ) : (من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ ، والخاص والعام ،...، وأسباب التنزيل ...فليس بعالم بالقران)[1]، فقد جعل (γ) من لا معرفة له بعلم اسباب النزول ليس من التفسير بشيء ، لذا كان مهماً للمفسر أن يكون على علم ودراية بأسباب النزول ، ليكون على بصيرة من كتاب الله ، والا فربما يكون فهمه على غير ما قصد منه ، فيكون قد أخطأ من حيث اراد الصواب .

وتجدر الإشارة الى إنَّ الآية اذا نزلت بسبب خاص وكان اللفظ فيها عاماً ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ،فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها ، بل يؤخذ به على عمومه ، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص .[2]

وقد وردت نصوص عن ائمة أهل البيت (β) تعزز هذا المعنى ، وتؤصل لهذه القاعدة ، فعن الإمام الباقر (γ) :(إنَّ القرآن حي لا يموت والآية حيّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأَقوام وماتوا؛ ماتت الآية و مات القرآن. فالآية جارية في الباقين كما جرت في الماضين)[3]، وعن الصادق (γ): (إنّ القرآن حي لم يمت ، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما تجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)[4].

ومما يبين إنَّ الرسول (o) قد أكد هذه القاعدة المهمة ما روي من إنَّ رجلاً قد جاء الى النبي (o) ، فقال: (إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة ، فأصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت) ولم يرد النبي (o) شيئاً فقام الرجل : فانطلق فأتبعه النبي (o) رجلا ، فدعاه ، فلما آتاه قرأ عليه : ((ﮱ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ))[5] ، فقال رجل : (هذا له يا رسول الله

---

(1) الكاشاني : الصافي ،١ / ٤٠

(2) محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٤٩

(3) العياشي : تفسير العياشي ، ٢ / ٢٠٣

(4) الكليني : الكافي ، ٢ / ١٥٦ .

(5) هود / ١١٤ .

خاصة ؟ قال : بل للناس كافة)[1]، وبذلك يبين (o) إنَّ هذا الحكم عام وإن نزل بحق شخص معين .

كما ورد عن ابن عباس انه قال : بات علي (γ) ليلة خرج رسول الله (o) الى المشركين على فراشه ليعمي على قريش ، وفيه نزلت هذه الاية :((ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ))[2])[3]، وعن علي بن الحسين (γ) ، قال: (نزلت في علي (γ) حين بات على فراش رسول الله (o)) [4] ، فنجد هذه الآية الكريمة قد نزلت في علي (γ) ، ولكنها قد تنطبق على مصاديق اخرى ولا تتوقف عند سببها، فقد روي عن امير المؤمنين علي (γ) ، انه قال في تفسيرها : (إن المراد بالآية الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[5].

وفي قوله تعالى : ((ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ))[6]، فقد ذهب بعضهم إنَّ نزول هذه الآية كان في قربى المسلمين ، ولكن السنة المطهرة بينت سبب النزول الحقيقي لهذه الآية وهم أهل البيت علي (ع) وفاطمة والحسن والحسين (ع)[7].

ثانيا : تأصيل السنة المطهرة لعلم الناسخ والمنسوخ

النسخ هو : (رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمره وزمنه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أو الوضعية ، وسواء أكان من المناصب الإلهية أو من غيرها من الأمور التي رجع الى الله تعالى بما إنَّه شارع)[8].

وقد بينت السنة المطهرة وجود الناسخ والمنسوخ في النص الكريم، إذ روي عن ابي جعفر (γ) ، قال : (نزل القرآن ناسخاً ومنسوخاً)[9]، ومن ثم قاموا (β)

---

[1] الطبري : تفسير الطبري ، ١٢ / ١٧٥ ، الواحدي : اسباب النزول ، ١٨٠ .
[2] البقرة / ٢٠٧.
[3] الطوسي : الامالي ، ٢٥٣ .
[4] المصدر نفسه ، ٤٤٦.
[5] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ١٤٣/١٥.
[6] الشورى / ٢٣.
[7] ظ/المجلسي: بحار لانوار ، ٢٣٢/٢٣،
[8] الخوئي : البيان ، ٢٧٦
[9] الكاشاني : الصافي ، ١٤/١، المجلسي : بحار الانوار ،٢٥/١٩

ببيان معنى الناسخ والمنسوخ ، فعن أبي عبد الله (γ) حين سُئل عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ، قال: (الناسخ الثابت المعمول به ، والمنسوخ ما قد كان يعمل به ثم جاء ما نسخه ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله)[١]، فالناسخ ثابت لأنه من المحكم الذي يعمل به ، اما المنسوخ فبعد أن كان سابقاً حكماً ثابتاً تغير بنسخه وتحول الى حالة التشابه التي لا يعمل بها .

وفي رواية أخرى، (الناسخ الثابت والمنسوخ ما مضى)[٢] ،(ولا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ ، فأنَّ كثيراً من احكام الشرائع السابقة قد نسخت بأحكام الشريعة الاسلامية ، وإنَّ جملة من أحكام هذه الشريعة قد نُسِخَت بأحكام اخرى، من هذه الشريعة نفسها ، فقد صرّح القرآن الكريم بنسخ حكم التوجه في الصلاة الى القبلة الاولى ، وهذا مما لا ريب فيه ،وإنما الكلام في إنّ يكون شيء من أحكام القرآن منسوخاً بالقرآن ، أو بالسنة القطعية ، أو بالأجماع ، أو بالعقل)[٣] .

وقد حذَّر الرسول (o) وأهل بيته (β) من خطر تفسير القرآن من دون معرفة الناسخ من المنسوخ فيه ، ففي رواية عن رسول الله(o) قال فيها : (من افتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك واهلك)[٤]، وفي رواية إنَّ الإمام علياً (γ) مرَّ على قاضٍ ، فقال له : (تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا ، فقال: (هلكت واهلكت)[٥]، إذ إنَّ من الاحكام ما نسختها أحكام اخرى فكيف يمكن للمفتي أو القاضي الحكم بكتاب الله بين المتخاصمين بدون أن يحيط بالآيات الناسخة من المنسوخة .

وعن الإمام الصادق في المضمون ذاته ، ينقل في رواية عنه (γ) وهو يوبخ ابا حنيفة ،إذ يقول له : (يا أبا حنيفة : تعرف كتاب الله حق معرفته ؟؟ وتعرف الناسخ

---

[١] العياشي : تفسير العياشي ، ١/ ١١
[٢] المصدر نفسه ، ١ /١٠
[٣] الخوئي : البيان ، ٣٠٣
[٤] الكليني: الكافي ، ٤٤/١
[٥]العياشي : تفسير العياشي ،١٢/١

والمنسوخ ؟، قال: نعم ،قال يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً ويلك ما جعل الله ذلك الا عند اهل الكتاب الذي أنزل عليهم)[1]، ويريد بهم الإمام أهل بيت النبوة كما سبق.

لذا نجد الإمام الصادق (γ) يحث على معرفة الناسخ من المنسوخ بقوله : (وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه)[2].

في قوله تعالى : ((ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ)) [3] ، يُنقل عن الإمام أمير المؤمنين (γ) إنَّه قال : (فكانت العدة حول ، فلما قوي الإسلام انزل الله ، ((ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ)) [4])[5].

ويبين الإمام امير المؤمنين (γ) إنَّ من الآيات ما يكون نصفها منسوخة ونصفها متروك على حاله ، إذ يقول (γ): (وأما الآية التي نصفها منسوخة ونصفها متروكه على حالها ، قوله : ((ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮪ ﮫ ﮫ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ))[6]، ثم نسخت الآية بقوله : ((ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ))[7] ، فنسخت قوله : ((النفس بالنفس _ الى قوله _ : والسن بالسن)) ،ولم ينسخ قوله : ((ﯗ ﯘ ﯘ)) ،فنصف الآية منسوخة ونصفها متروكة)[8]، بهذا نفهم إنّه قد يحدث أن لا ينسخ النص بكامله ؛ بل يعطل جزءاً منه في الحكم ويبقى الجزء الآخر مراد بالقصد وهذا يدعو إلى معرفة عميقة بالناسخ والمنسوخ فقد يهلك من لا يعرف ذلك ويحيل المقاصد على غير مرادها أحياناً .

ثالثاً: تأصيل السُنّة المطهرة لعلم المكي والمدني

---

(1) الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ٤٨/٢٧

(2) ابن شعبة الحراني : تحف العقول ، ٣٥٣

(3) البقرة/ ٢٤٠ .

(4) البقرة / ٢٣٤ .

(5) المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠/ ٦ .

(6) المائدة / ٤٥.

(7) البقرة / ١٧٨.

(8) القمي : تفسير القمي ، ١ /٢٥ .

إنَّ مصطلحي المكي والمدني هما (اصطلاح تواضع عليه علماء التفسير)[١]، للتمييز بين الآيات المكية والآيات المدنية

ولمعرفة هذا العلم فوائد منها تمييز الناسخ من المنسوخ فإن المتأخر ناسخ للمتقدم[٢] ، ومنها (الثقة بهذا القرآن وبوصوله الينا سالماً من التغيير والتحريف)[٣] ،زيادةً على أنّ العلم بمكية السور ومدنيتها ، ثم ترتيب نزولها له أثر مهم في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي في زمن النبي (ο) ، وتحليل سوره الشريفة [٤].

من هنا يبين أهل البيت (β) اهمية علم المكي والمدني وضرورة معرفة الآيات المكية من المدنية ، فعن الإمام أمير المؤمنين وهو يقول مراراً وتكراراً: (سلوني قبل أن تفقدوني): (فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لو سألتموني عن آية آية ، في ليل أنزلت ، او في نهار أنزلت ، مكيها ومدنيها ، سفريها وحضريها ،..الا أخبرتُكُم)[٥].

وقد أكد الإمام الصادق (γ) خطورة أن يكون المفسر جاهلاً بهذا العلم حيث قال : (واعلموا رحمكم الله إنّه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ والمنسوخ ... والمكي والمدني ، واسباب التنزيل .. فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله ، ومتى ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل ، فهو كاذب مرتاب ، مفتر على الله الكذب ورسوله ، ومأواه جهنم وبئس المصير)[٦].

ففي قوله تعالى : ((ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ))[٧] ، حيث ادّعى بعضهم إنَّ هذه الآية قد نزلت في ابي طالب – عم الرسول (ο)– وأنها نزلت حال احتضاره على فراش الموت واستغفار الرسول نفسه له [٨]،

---

(١) محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٧٤

(٢) ظ/ صبحي الصالح : مباحث في علوم القران ، ٢٣٣.

(٣) الزرقاني : مناهل العرفان ، ١ / ١٣٧ .

(٤) ظ/ الطباطبائي : الميزان ، ١٣ / ٢٣٥ .

(٥) الصدوق : الامالي ، ٤٢٣ .

(٦) المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠ / ٤ .

(٧) التوبة / ١١٣.

(٨) البخاري : صحيح البخاري ، ٥/ ٢٠٨ ، مسلم : صحيح مسلم ، ١/ ٤٠، ابن حبان : صحيح ابن حبان ، ٣ / ٢٦٢ .

فإذا علمنا إنّ هذه الآية من سورة التوبة والتي هي سورة مدنية نزلت في السنة الثامنة من الهجرة وتعد من أواخر ما نزل من القرآن، سندرك قطعاً مدى بعد هذا الادعاء الباطل اذا ما علمنا بأنَّ وفاة ابي طالب كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات أو أكثر وأن المدة الفاصلة بين رحيله وبين نزول هذه الآية على الرسول تزيد على احدى عشرة سنة [١] ، وبهذا يتضح البهتان وتظهر مسافة التلفيق واضحة جداً للعيان ، فالفارق بين الموضعين احدى عشرة سنة ، ولولا معرفة المكي من المدني ما تمكنا من بيان الحق واستظهار المدعى في هذا الموضع .

رابعاً: بيان السنة المطهرة لأهمية القصص في القران الكريم

القصص القرآنية هي (اخباره – تعالى – عن احوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة)[٢] ، إنَّ وجود القصة في القرآن الكريم تُسهم بأساليبها البلاغية الرائعة وقدرتها على التصوير الهائل في ذهنية المتلقي في تحقيق أهداف القرآن واغراضه الدينية التي جاء من اجلها لإحداث عملية التغيير الاجتماعي والإنساني بجوانبه المختلفة[٣]. فضلاً عن إنَّ كل هذا التاريخ والقصص يُعدّ مختبراً لنشاطات البشرية المختلفة ، وما رسمه الانسان في ذهنه من الافكار والتصورات يجده بصورة عينية على صفحات التاريخ ، فالتاريخ يتحدث بلغة من دون لسان عن النتائج القطعية وغير القابلة للإنكار للتطبيقات العملية للمذاهب والخطط والافكار عند كل قوم[٤]، وبهذا فهي مسيرة حياة كاملة يلتقط منها الحاذق العبرة والعِظة لينأى بنفسه عن مداخل الهلكة ويرأب عن الوقوع في حثيثة هوى أو دعوة شيطان لاقتراف السوء.

لذا أعتنى أهل البيت (β) ببيان تضمن النص للقصص والعبر وأهميتها أيما اعتناء فعن امير المؤمنين (γ) قوله : (إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة

---

[١] ظ/ محمد الاشيقر : لمحات من تاريخ القران ، ٢٠٠

[٢] مناع القطان : مباحث علوم القران ،٣٠١ ، فهد الرومي : دراسات في علوم القران الكريم ، ٦٠٧ .

[٣] ظ/الحكيم : علوم القران ، ٤٠٥ .

[٤] ظ/ الشيرازي : قصص القران ، ٨.

أقسام كل منها شافٍ كافٍ ، وهي أمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وجدل ، ومثل وقصص)[1]، فجعل القصة من أهم الأقسام الرئيسة في نزول النص وهي شافية بأسلوبها كافية بوعظها للنفس.

وعن الرضا (γ) في كتابه الى المأمون ، قال : (والتصديق بكتابه الصادق ، الى أن قال : وإنّه حق كله من فاتحته الى خاتمته ، نؤمن بمحكمه ومتشابهه .... وقصصه واخباره)[2]، فكأنه جعل (γ) الايمان بالقصص القرآني جزءاً اساسياً من الايمان بالنص القرآني والدين الإسلامي وفي هذا إشارة إلى اهمية القصص بأنها ليست مجرد اخبار تلقى على مسامع المتلقي لإفادته علماً بأحداث التأريخ وانما هي منهج حياة ومسيرة أمم على المتلقي أن ينظر فيها ليفهم ما عليه عمله في حياته الحالية ، فيبتعد عمّا وقع فيه السابقون ويسلك مسلك من وصل الى الغاية والأمان من هنا نفهم إنَّ القصص هي تجربة حياة كاملة على أن نؤمن بجدواها وقيمتها في قوة ايمان الانسان ونجاحه في الحياة وصولاً الى الفوز بالآخرة لهذا أوجب الإمام ضرورة الايمان بها لأنها الأنموذج الأسمى للمنهج الانساني قراءةً وعِبرةً.

كما إنَّهم (β) يبينون الفائدة من القصة القرآنية والوقوف على تفاصيلها ، لذا نجد الإمام علي (γ) يقول : (أي بني إني وأن لم اكن عمرت عُمر من كان قبلي ، فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم ، وسرت في اثارهم ، حتى عُدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت من أولهم الى آخرهم)[3].

لذا إنَّ القصة وتاريخ الأمم يشكلان القسم الأكبر من آداب العالم وأثار الكتاب ، حيث إنّها تترك أثراً في السامع والمشاهد دونها أثرٍ للاستدلالات العقلية والعظة الحياتية [4] .

فـ(إنّ القرآن ظاهره قصة وباطنه عظة فإنَّه في الظاهر بين قصص السابقين وقضاياهم كقصة بني إسرائيل وما شاكلها ، ولكنه في الباطن عِظة للناس وعِبر ودروس لهم)[1].

---

[1] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠ / ٤ .
[2] الحر العاملي :وسائل الشيعة ، ٢٧/ ١٩٠ .
[3] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ٣ / ٤١ .
[4] ظ/الشيرازي : قصص القران ، ٩- ١٠ .

ففي قصص الأنبياء والرسل (β) واخبارهم وآثارهم الطافاً تدعو الى محاسن الأخلاق ، وعبراً تردع عن الشك والنفاق ، ويقرب من الطاعة والعبادة [٢]، يقول الرضا (γ) : (واما ما في كتاب الله من القصص عن الأُمم فإنّه ينقسم على ثلاثة أقسام فمنه ما مضى ، ومنه ما كان في عصره ، ومنه ما اخبر الله تعالى به إنّه يكون بعده ، فأما ما مضى فما حكاه الله تعالى فقال: ((((ئے ئۆ ئۈ ئۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ))[٣]، ومنه قول موسى لشعيب : ((ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئّ ئّ ئّ بّ بّ بّ تّ تّ تّ ثّ ثّ ثّ جّ جّ حّ حّ خّ خّ سّ سّ شّ شّ صّ صّ ضّ ضّ طّ طّ ظّ ظّ عّ عّ غّ غّ فّ فّ قّ قّ كّ كّ لّ لّ مّ مّ نّ نّ هّ هّ يّ يّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ نج نح نخ نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ))[٤] ، ومنه ما أنزل الله من ذكر شرائع الأنبياء وقصصهم وقصص أُممهم ، حكاية عن آدم الى نبينا (o) ، وأما الذي كان في عصر النبي (o) فمنه ما أنزل الله تعالى في مغازيه واصحابه وتوبيخهم ومدح من مدح منهم ، وذم من ذم منهم ، وما كان من خير وشر ، وقصة كل فريق منهم ، مثل ما قص من قصة غزاة بدر ، واحد ، وخيبر ، وحنين ، وغيرها .. واما قصص ما يكون بعده فهو كل ما حدث بعده مما اخبر النبي (o) وما لم يخبر ، والقيامة واشراطها ، وما يكون من الثواب والعقاب ، واشباه ذلك)[٥]، ولهذا فإن معرفة القصص القرآني تعد من أصول التفسير لداعيين ، الأول : أنها تشكل جزءاً مهماً من النص القرآني يجب الايمان به ، والثاني : انتزاع العبرة من القصة من نتاجها التفسيري.

خامساً: بيان السنة المطهرة لأهمية الأمثال في القرآن

الامثال هو (قسم من حكم يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها ، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون ادنى تغيير لما فيه من وجاز وغرابة ودقة في التصوير)[٦].

---

[١] اسحاق الفياض : محاضرات في اصول الفقه ، تقرير بث الخوئي ، ٢٤١.
[٢] الراوندي : قصص الانبياء ، ٣٥.
[٣] يوسف / ٣ .
[٤] القصص / ٢٥ .
[٥] المجلس : بحار الانوار ، ٩٠ / ٦٧ .
[٦] جعفر السبحاني : الامثال في القران ، ١٠

فالمثل يعني تشبيه الحقائق العقلية بالأمور الحسية الملموسة فهناك أمور عقلية كثيرة لا يفهمها الناس لأنّهم اعتادوا على المحسوسات والعينات الملموسة ، ولهذا كان المثل عقول الناس في عيونهم ، أي إنّ إدراك الناس للأمور الملموسة والمرئية اسهل لهم [١]. فالأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبه وثمرته [٢] ، وعلى هذا فإنَّ (فلسفة أمثال القرآن هو تنزيل القضايا العميقة والرفيعة الى مستوى يتناسب مع أفق تفكير الناس)[٣] ، فمن (أعظم علم القرآن علم أمثاله)[٤]

من هنا أكدت السنة المطهرة اهمية هذا القسم من آيات النص القرآني ،إذ يُنقل عن ابي جعفر (γ) ،أنه قال : (إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومعايناً ، وناسخاً ومنسوخاً ،ومحكماً ومتشابهاً ، وسنناً ، وامثالاً)[٥].

وعن امير المؤمنين (γ) انه جعل المثل ضمن أقسام النص القرآني السبعة إذ يقول : (إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل منها شاف كاف ... ، وجدل ، ومثل)[٦] ، وفي موضع آخر يقول (γ) ما نصُّهُ: (كتاب ربكم فيكم ، مبيناً حلاله وحرامه ، وفرائضه ، .... وعبره وأمثاله)[٧].

وعنه (γ) : (نزل القرآن ارباعاً : ربع فينا وربع في عدونا ، وربع سنن وامثال ، وربع فرائض واحكام)[٨]، وهذه الرواية تبين اهمية الامثال لانها تشغل ربع آيات النص الكريم .

وروي عن الصادق (γ) : عن جده أمير المؤمنين (γ) ، إنَّه قال لقاض (هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : فهل اشرقت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن ؟ قال : لا ، قال : اذا هلكت واهلكت)[٩] .

---

[١] ظ/ الشيرازي : امثال القران ، ١٣.
[٢] جعفر السبحاني : الامثال في القران ، ١٢
[٣] الشيرازي : امثال القران ، ١٣ .
[٤] السيوطي : الاتقان في علوم القرآن، ٢ / ١٠٤١
[٥] العاملي : وسائل الشيعة ، ٢٧ / ١٩٢ .
[٦] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠ / ٤ .
[٧] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ١/ ٢٥ ، الكاشاني : الاصول الاصيلة ، ٤٦.
[٨] الكليني : الكافي ، ٢/ ٦٢٨.
[٩] المجلسي : بحار الانوار ، ٢/ ١٢١.

فالمفسر يحتاج الى معرفة حقائق السنن وبواطن الإشارات ، والاجماع والاختلاف والاطلاع على أصول ما اجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثم حسن الاختيار الذي يؤدي الى العمل الصالح ومنه الى الحكمة ، ثم التقوى ، حتى يكون قادراً على تفريق الحق من الباطل[١] .

وعن الإمام الباقر (γ) في دعائه عند ختم القرآن : (اللهم إن أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً وجعلته مهيمناً على كل كتاب انزلته – الى أن قال – : حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله)[٢]، إذ ان في الأمثال من العبر والحكمة ما تدعو الى الابتعاد عن كل ظلالة .

يقول الإمام أمير المؤمنين (γ) : (واما ما في كتاب الله من ضرب الأمثال فمثل قوله تعالى : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)) [٣]، الى آخر الآية ، وقوله تعالى : ((ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ج ج چ چ)) [٤]...، وانما ضرب الله سبحانه هذه الأمثال للناس في كتابه ليعتبروا بها ، ويستبدلوا بها ما اراده منهم من الطاعة وهو كثير في كتابه تعالى)[٥] ، فالترغيب على الايمان لم يتأكد وقوعه في القلب مجرداً عن ضرب مثل له كما يتأكد وقوعه إذا مُثِّلَ بالنور، وكذلك الكفر فإنّه يتأكد قبحه حين يمثل له بالظلمة ، والأمر الضعيف اذا مُثِّل له بنسيج العنكبوت كان أبلغ واكد في تقرير صورته[٦] ، واثباتها في عقل المتلقي ونفسه في وقت واحد معاً.

وفي رواية عنه(γ) أيضاً: (سموهم بأحسن أمثال القرآن ، – يعني عترة النبي (ο) – هذا عذب فرات فاشربوه ، وهذا ملح اجاج فاجتنبوه)[٧]، ففي هذه الرواية اشارة الى اصل مهم من اصول التفسير الا وهو اعتبار كل ما ورد في القرآن من الامثال الحسنة متعلق بأهل البيت (β) ودليل عليهم ، وما ورد فيه من أمثال سيئة

---

[١] المصدر نفسه ، ٢/ ١٢١.
[٢] ابن طاوس : اقبال الاعمال ، ٤٥٢ ، الكفعمي : المصباح ، ٤٦٣.
[٣] ابراهيم / ٢٤ .
[٤] ال عمران / ١١٧ .
[٥] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠/ ٦٧.
[٦] ظ/ الرازي : مفاتيح الغيب ، ٢ / ٧٢- ٧٣.
[٧] المفيد : الارشاد ، ١/ ٢٣٣ ، الطبرسي : الاحتجاج ، ١/ ٣٩١.

فهي لاعدائهم لقوله (γ) (وهذا ملح اجاج فاجتنبوه) ،ففي قوله تعالى : ((أو كصيب من السماء .. لذهبَ بسمعهم وابصارهم إنَّ الله على كل شيء قدير))[١] ، عن الحسن (γ) : (مثل اسلام المنافق كصيب هذا وصفه)[٢].

وعن ابي عبد الله (γ) حين سألته امرأة عن قول الله عز وجل : ((و ۆ ۆ ې ې))[٣]،ما عنى بهذا ؟ ، فقال (γ) : (ايتها المرأة إنّ الله لم يضرب الأمثال للشجر إنما ضرب الأمثال لبني آدم)[٤]، ومما يؤكد هذا قول الإمام الباقر (γ) في تفسير آية النور إذ قال في قوله تعالى : ((ئے ئۆ))[٥] ، (المشكاة نور العلم في صدر النبي (o) الى صدر علي (γ) ، ((ۋ ۇ ۇ))، قال : ((ۆ ۆ ې ې))، قال : لا يهودية ولا نصرانية ، ((پ پ □ □ □ □ □ □ □ □)) ، يكاد العالم من آل محمد (o) أن يتكلم بالعلم قبل أن يسئل ، ((□ □ □))، يعني إماماً مؤيدا بنور العلم والحكمة في أثر إمام من آل محمد (o) ، وذلك من لدن آدم حتى تقوم الساعة)[٦]،وفي هذه الرواية أصل آخر للتفسير وهو إنَّ الامثال في القرآن انما اختص نزولها في الانسان دون غيره .

وفي قوله تعالى : ((ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ)) [٧]، يقول الإمام الصادق (γ) : (إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين اخرين ، فاراد الله سبحانه أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته)[٨] ، بهذا ننتهي إلى إن المثل من جنس (الاتعاظ والعِبرة) في النص القرآني فهو تكثيف دلالي واختزال مضموني مُعبأ في نص موجز يعبر عن مسرد طويل من المعاني، تستحصل من التأمل والتأني في قراءته، غايته ايصال المتلقي الى الاتعاظ وأخذ الثمرة السلوكية بعد فهمه للمثل .

---

[١] البقرة / ١٩- ٢٠
[٢] الطبرسي : مجمع البيان ، ١/ ١١٨.
[٣] النور / ٣٥.
[٤] الكليني : الكافي ، ٥/ ٥٥٢.
[٥] النور/٣٥ .
[٦] الصدوق : التوحيد ،١٥٨ .
[٧] البقرة / ٢٦.
[٨] الطبرسي : مجمع البيان ، ١ / ٦٧ .

من هنا كان المثل احد أكبر الوسائل المعبرة في النص التي تدعو البشرية الى الوصول الى الأنموذج الأرقى من السلوك الحسن والتدبر العقلي الأصوب ، ولهذا عدها اهل البيت(β) جزءاً أساساً من القرآن بحكم غايتها وروعة بنائها الأسلوبي وهي بهذا تقترب من القصص القرآني من حيث الغاية المرجوة منها تحقيقاً للبشرية ، وبناءً على هذا كله عدّ الائمة معرفتها أصلاً من أصول التفسير القرآني وباب من أبواب معرفة الدلالة الكامنة في التعبير المقدس ، لهذا وجب على المفسر معرفتها لأنها احدى سبله المهمة لمعرفة مكنون النص القرآني تفسيراً.

الفصل الخامس : تأصيل السنة المطهرة لمناهج التفسير

الفصل الخامس

تأصيل السنة المطهرة لمناهج التفسير

إنَّ من بين ما أصلت له السنة المطهرة هو التأصيل لمناهج التفسير؛ فكان لأهل البيت (β) دور الريادة في ذلك ، من خلال ما نلاحظه من تطبيقهم لضوابط التفسير والاصول والقواعد تأكيداً على مراعاتها في عملية تفسير النص وبيان معانيه ، وعلى هذا الاساس نجد أنّ ائمة أهل البيت (β) قد بينوا أهم الطرائق والمناهج التي يمكن للمفسر أن يتبعها وصولاً الى المعنى والمقصد من الآية الكريمة ، فمن خلال

تتبع واستقراء أنواع تفسير النص الوارد عن الرسول (ﷺ) وأهل البيت (β) في رواياتهم الكثيرة نجد انهم قد فسروا النص وفق أساليب مختلفة كل منها يعتبر منهجاً منتظماً ومنضبطاً بما أصلوه من ضوابط وأصول وقواعد لا يخرج عن دائرتها ، وتأسيساً على هذا سنقف على اكثر المناهج وروداً ووضوحاً في تلك الروايات.

المبحث الاول
منهج التفسير القرآني

ويضم هذا العنوان كل من تفسير القرآن بالقرآن ، والتفسير الموضوعي ، فكلا المنهجين اعتمدا في تفسير النص القرآني بالقرآن نفسه ، وقد وردا في روايات أهل البيت (β) كثيراً ، إذ نجدهم يستندون الى آيات قرآنية في تفسير آيات الاخرى .

المطلب الأول : دور السنة المطهرة في تأصيل منهج تفسير القرآن بالقرآن

ويراد به (أن تكون النصوص القرآنيّة بعضها مفسّراً لبعض، وإذا ما عرفنا أنّ التفسير هو الكشف عن معاني ومرادات النصّ القرآني، فإنّه في ضوء هذا المنهج يكون النصّ القرآني المراد كشف معانيه منكشَفاً ومفسَّراً . بصيغة اسم المفعول بنصّ قرآنيّ آخر)[١].

وتتبين أهمية هذا المنهج من خلال قوله تعالى : ((ونّزلنا عَليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ))[٢] ، وقوله تعالى : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ))[٣] ،هذا اولاً ، إما ثانياً: إن كثرة ما ورد عن أهل البيت (β) في تفسير آية بآية أخرى ، يدعو ذلك الى الاهتمام بهذا المنهج وضرورة الركون إليه فلولا جدواه في بيان المنطق التفسيري ما استندوا اليه الائمة استعمالاً .

---

(١) كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٢٩

(٢) النحل / ٨٩ .

(٣) الانعام / ٣٨ .

فهناك الكثير من الروايات التفسيرية الواردة عنهم (β) مشتملة على الاستدلال بآية على آية ، والاستشهاد بمعنى على معنى ، ولا يستقيم ذلك الا بكون المعنى مما يمكن أن يناله المخاطب ويستقل به ذهنه لوروده من طريقه المتعين [١].

وهذا ما يشير اليه الإمام علي (γ) من إنَّ بعض القرآن يبين ما خفي من بعضه الآخر ، إذ يقول (γ) : (كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض) [٢] .

بهذا فإن (نقص كل آية يكتمل بآية اخرى ، وعن طريق الجمع النهائي لجميع الآيات المتناسبة مع بعضها في اللفظ والمعنى ينبثق المعنى الواضح لتلك الآيات)[٣]، جميعاً ، وهذا (ليس بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل انسان وانما هو أمر يعرفه اهل العلم والنظر خاصة) [٤]. الذين لهم القدرة على بيان ما خفي من آياته بآيات اخرى تمثل المنحى الدلالي الاتم والاكمل للمعنى المقصود.

وعليه فإنَّ تفسير القرآن بالقرآن قد كان هو السيرة العملية لأهل البيت (β) ، كما إنَّ ارجاع المفسرين الى هذه الطريقة كان مشهوراً جداً في سيرتهم العملية[٥].

لذلك فما يفاد من قيامهم (β) بتفسير القرآن بالقرآن وتأصيلهم هذا الضابط المهم إنَّ (المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية ، وذلك بالتدريب بالأثار المنقولة عن النبي (o) وأهل بيته (β) وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود) [٦].

ومن هنا يمكن أن يعدّ هذا المنهج هو المنهج الأكمل في تفسير القرآن الكريم ، حيث اعتمده جملة من اعلام المفسرين ، كالطبري والرازي والطوسي والطباطبائي [٧].

---

[١] ظ/كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٣٥.
[٢] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ١٧/٢ .
[٣] جوادي آملي : تفسير تنسيم ، ٩٨/١ .
[٤] الذهبي : التفسير والمفسرون ، ٣٣/١ .
[٥] ظ/ جواد آملي : تنسيم ، ١٠١/١-١٠٣ .
[٦] الطباطبائي : الميزان ، ٨٧/٣ .
[٧] كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٣٠.

فأهل البيت (β) هم أول من تصدى لاستجلاء معاني النص القرآني على وفق هذا المنهج ، لان القرآن (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)[١].

وصور تفسير آيات القرآن بآيات أُخر هي اما أن تكون الآية المفسَّرة متصلة بالآية المفسِرة أو منفصلة عنها سواء أكانت في السورة نفسها أم في سورة أُخرى[٢] .

أمثلة تطبيقية :

١-من ذلك ما روي عن أمير المؤمنين (γ) في بيان معنى كلمة (يعصرون) في قوله تعالى : ((ﮓ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ)) [٣] ، من خلال القراءة الصحيحة لها ، فإنّ الخطأ في قراءة كلمة أو اللحن فيها يؤدي الى تغيّر فاحش في المعنى ؛ بل قد يؤدي الى الأنحراف الشامل عن المعنى الأصل للآية الكريمة ، حيث إنَّ رجلاً قرأ الآية على الإمام (γ) ،بفتح ياء (يعصرون)، فقال الإمام (γ): (ويحك أي شيء يعصرون ، يعصرون الخمر ؟ قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، كيف اقرؤها ؟فقال : انما نزلت ((ڈ ڈ ۀ ۀ ہ))*، أي يمطرون بعد سنى المجاعة ، والدليل على ذلك قوله : ((ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ))[٤])[٥].

من هنا استدل الامام على معنى (يعصرون) في الآية بضمها في (المُعصرات) ، ولو قرئت على فتح الياء لأُسند الفعل الى الناس أي هم الذين يعصرون وهذا المعنى غير مراد ؛ بل المعنى المبتغى هو بناء الفعل على الرباعي (اعصر) فمضارعه مضموم الياء (يُعصر) ، والرباعي يدل على إن العصر لم يقم به الشخص ، بل هناك من قام به ثم بني الفعل للمجهول فقيل (يُعصرون) ، أي تُنزل الغيوم عليهم مطراً وليس هم من يُنزِّلوا منها المطر ، وهذا فضل من الله كبير ،

---

[١] الشريف الرضي : نهج البلاغة ، ٢/ ١٧ .
[٢] كاصد الزيدي : تفسير القران بالقران ،٢٨٨.وما بعدها
[٣] يوسف / ٤٩ .
*(يُعصرون) على قراءة عيسى البصري ،وجعفر بن محمد،ظ/الطبرسي: مجمع البيان ، ٤٠٦/٥، احمد مختار وعبد العال : معجم القراءات القرآنية ، ٣/ ١٧٥.
[٤] النبأ / ١٤ .
[٥] الكاشاني : الصافي ، ٣/ ٢٥ .

والدليل إنَّ الغيوم هي التي تُنزل المطر هو استدلال الإمام بـ (المُعصِرات) وهي الغيوم تحديداً فاستبان الفارق الدلالي منه .

٢–وفي رواية اخرى عن الرضا (γ) حين سُئل عن معنى الختم في قوله تعالى : ((ٍڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ)) [١] ، قال : (الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم ، كما قال عز وجل : ((ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ))[٢])[٣].

٣–ومما روي عن الإمام الرضا (γ) ، إنّه قال : (واما قوله : ((ک ک ک ک گ گ گ گ گ))[٤]، انما ظن أن لن نضيق عليه رزقه الا تسمع الى قوله الله عز وجل : ((ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ)) [٥]، أي : ضيق عليه رزقه)[٦]، وفي هذا التوجيه من الإمام الرضا (γ) تنزيه لمقام النبوة وإثباتٌ لعصمة النبي يونس (γ) لأنه لو ظن عدم القدرة عليه لا عدم التضييق عليه ؛ لخرج من نطاق العصمة ، لأنه في هذا الظن سيكون متحدياً لله تعالى من أنه لا يقدر عليه وحاشا له من أن يظن هذا (γ) ، بل ظن إن الله سيعامله بالرزق واللطف كما كان يعامله من قبل حينما كان يدعو قومه ،لأنه قد خرج منهم غضباً لله وحده ، بهذا نجد إنَّ الإمام قد حلّ الاشكال الذي يمكن أن يَرِدَ على النبي يونس (γ) بهذا التوجيه الاستدلالي الدلالي الرائع ، بتوظيفه منهج تفسير القرآن بالقرآن لإيضاح الاشكال الدلالي في لفظة (نقدّر).

٤– ما ورد عن زرارة بن اعين ، في حديثه مع الإمام الباقر (γ) ، قال : قلت له (γ) : ((ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ))[٧]، فقال (γ) :

---

[١] البقرة ، ٧ .
[٢] النساء / ١٥٥ .
[٣] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١ / ٢٠١ .
[٤] الانبياء / ٨٧ .
[٥] الفجر / ١٦ .
[٦] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١ / ٢٠١ .
[٧] الاعراف / ١٧٢ .

أخرج الله من ظهر آدم ذريته الى يوم القيامة فخرجوا وهم كالذر فعرفهم نفسه ...، ولولا ذلك ما عرف أحدٌ ربّه وذلك ، قوله تعالى : ((ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ۇ))[1][2]،

٥- وعن الإمام الرضا (γ) ، حينما سُئل عن قوله تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ))[3] ، قال الإمام (γ) : (هي محبوكة الى الارض ، وشبك بين اصابعه ، فسأله السائل : قال : كيف تكون محبوكة الى الأرض ، والله يقول : ((ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ے))[4] ، فقال الإمام (γ) : أليس الله تعالى يقول : ((ﻫ ﻫ ے)) ، فقال السائل : بلى ، فقال الإمام : فثم عمد ولكن لا ترونها)[5].

قد فسر الإمام (γ) الآية الاولى بآية اخرى مشابهة لها في المعنى ليخلص الى حقيقة مفادها إنَّ الحبك هو التشابك في السماء والذي يمثل أعمدة غير مرئية ، من هنا يتبين لنا إنَّ الآية ((ﭐ ﭑ ﭒ))[6] تكشف عن حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول الآيات الكريمة ، وهي إنَّ استقرار الاجرام السماوية وثباتها في مكانها هو نتيجة تعادل قوة التجاذب والتنافر ، فالأولى تربط الأجرام فيما بينها ، والأخرى لها علاقة بحركتها هذا التعادل للقوتين الذي يشكل أعمدة غير مرئية يحفظ الاجرام السماوية ويجعلها مستقرة في مكانها [7] ، ولهذا نجد الإمام قد أستدل بالآية الكريمة : ((ﻫ ﻫ ﻫ ے))[8] ليبين هذه الحقيقة العلمية التي تمثل عظمة الله وقدرته .

٦-وفي رواية عن الإمام الحسن (γ) حين سئل عن قوله تعالى : ((ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې))[9]، فقال (γ) : (اليد في كلام العرب القوة والنعمة ، قال تعالى : ((ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ))[10]،وقال : ((□ □ □ □ □ □))[11] ، أي بقوة ،وقال : ((ﯣ ﯤ

---

[1] لقمان / ٢٥ .
[2] العياشي : تفسير العياشي ، ٢ / ٤٠ .
[3] الذاريات / ٧ .
[4] لقمان / ١٠ .
[5] العياشي : تفسير العياشي ، ٢ / ٢٠٣.
[6] الذاريات / ٧ .
[7] ظ/الشيرازي : الامثل ، ٧/ ٣٣١ .
[8] لقمان / ١٠ .
[9] ص / ٧٥ .
[10] ص / ١٧ .
[11] الذاريات / ٤٧ .

ﭬ ﭭ)) [1] أي قواهم)[2]، بهذا نجد إنَّ من معطيات التفسير القرآني هو دفع شبهة التجسيم عن الله تعالى ، إذ أثبت الإمام من خلال رد المتشابه نسبة اليد الى الله الى المحكم وهو التأييد في لفظة (وأيدهم) أي قواهم لان اليد تعني القوة حينما تنسب الى الله تعالى ، وهي مشتقة من التأييد أي التقوية والتعزيز، فعرف بذلك إنَّ المتشابه (اليد) هو (القوة) المعنى المحكم له .

٧- كما ورد عن الصادق (γ) في تفسير قوله تعالى ((ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ))[3]، فقد سُئل الإمام (γ) كيف يعرف أهل الكتاب النبي (ο) كما يعرفون ابناءهم ؟ فيثبت لهم (γ) ذلك من خلال استدلاله بالاية الكريمة : (((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ))[4]، فهذه صفة رسول الله (ο) في التوراة والانجيل وصفة أصحابه ، فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله : ((ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ))[5])[6]، ففصل الإمام ابهام المعرفة التي استشكلت من إنَّه كيف يعرف أهل الكتاب الرسول (ο) بآية أخرى تتضمن صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في التوراة والانجيل .

٨-وفي قوله تعالى : ((ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ))[7]، فقد روي عن أبي الحسن حين سأله المهدي عن تحريم الخمر وفي أي موضع هو من كتاب الله ، ما نصه : (هي محرمة في كتاب الله ... قول الله عز وجل : ((ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ))[8] ، ... وأما الاثم فإنها الخمر بعينها وقد قال عز وجل في موضع آخر : ((ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □))[9]، فاما الأثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر واثمهما كبير كما قال عز وجل)[10]، إذ فسر الإمام (γ) لفظة (أثم) في

---

[1] المجادلة / ٢٢ .
[2] الصدوق : التوحيد ، ١٥٣ .
[3] الانعام / ٢٠ .
[4] الفتح / ٢٩
[5] البقرة / ٨٩ .
[6] ظ/ الحويزي : نور الثقلين ، ٢/ ٨٥ .
[7] الاعراف / ٣٣.
[8] الاعراف / ٣٣.
[9] البقرة / ٢١٩ .
[10] الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ١٧/ ٢٤١ .

الآية الأولى بالخمر في الآية الثانية ، لأن الأثم كان مجمل الدلالة في الآية الأولى فأبانه تفصيلاً في الثانية .

كما استعان اهل البيت(β) بسياق النص في بيان المراد من الايآت الكريمة وقد بينا سابقاً ما اشار اليه أهل البيت من اهمية السياق القرآني من خلال ملاحظة العلاقات التي تربطه كقاعدة الالتفات والتقديم والتأخير وغيرها ،ومن ثمَّ فان إغفال السياق قد يؤدي الى الخطأ في التفسير والوهم في الوصول الى الدلالة وقد تحيد بالنص عن مقاصده المرادة ، وهناك جملة من الروايات في السنة المطهرة تعتمد مبدأ التفسير بالسياق ، منها :

١-ما روي عن الإمام الحسين (γ) انه سُئل عن (الصمد) ، فكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم ، فقد سمعت جدي رسول الله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وأنّ الله سبحانه فسر (الصمد) فقال : ((ﭑ ﭒ)) ، ثم فسره، فقال : ((ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ *ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ)) [١])[٢].

٢- وعن الإمام الرضا (γ) إنَّ ابا مرة المحدث سأله عن الرؤية في قوله تعالى : ((ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ))[٣]، فقال (γ): (إنَّ بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال : ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ))[٤]، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم اخبر بما رأى ، فقال : ((ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ))[٥]، فآيات الله عز وجل غير الله وقد قال : ((ﭑ ﭒ □ □))[٦]، فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة))[٧] ، وبهذا تندفع شبهة رؤية الله تعالى لتفسير الإمام للنص بآيات أخرى من السياق نفسه إذ اثبت عدم رؤية الله من قبل الرسول (ο) مطلقاً .

---

[١] الاخلاص / ٢-٤ .
[٢] الصدوق : التوحيد ، ٩١ .
[٣] النجم / ١٣ .
[٤] النجم / ١١ .
[٥] النجم / ١٨ .
[٦] طه / ١١٠ .
[٧] الصدوق : التوحيد ، ١١١.

٣- وفي رواية عن الإمام علي بن الحسين (γ) ، قال : (ولقد اسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال عز وجل : ((ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ))[١]، وانما عنى بالقرية أهلها حيث يقول : ((پ پ پ ڀ))[٢].

وفي رواية اخرى ، إنَّ عباد البصري التقى الإمام علي بن الحسين (γ) في طريق مكة ، فقال للإمام : تركت الجهاد والمشقة وصرفت وجهك الى الحج والراحة؟ صدق الله حيث يقول: ((ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ٻ ٻ □ ى ى ي ي □))[٣]، فطلب منه الإمام أن يقرأ ما بعد ذلك ، ثم تلا الإمام قوله تعالى : ((ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ))[٤]، ثم قال (γ) : إن رأينا هؤلاء فالجهاد معهم افضل من الحج)[٥] .

فنجد إنَّ الإمام (γ) قد استند الى تكملة الآية في جوابه على عباد البصري ، الذي كان يفهم من بداية الآية، ((ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ)) ، هو مطلق الجهاد بالقتل والأقتتال لايٍ كان، غير إنَّ الإمام أثبت له بأن الجهاد له شروط إذ إنَّ الله تعالى لم يأمر بالجهاد الا أصحاب هذه الشروط وهي التوبة والعبادة والحمد والسوح والصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى هذا يندرج ضمن جهاد النفس ومغالبتها قبل جهاد الظالمين ، وإنَّ الجهاد مع هؤلاء المؤمنين أفضل من الحج ،فكان (γ) يريد أن يبين للسائل أنَّه ليس فيكم من يجاهد نفسه فكيف سيجاهد الباطل واهله ، فمن لا يتصف بهذه الصفات لن يكون صادقاً في طلب الجهاد والذود عن الحق المتمثل بأهل بيت النبوة (γ) ، لذا آثرنا الحج وتركناكم لأنكم لستم أهلاً لجهاد النفس .

المطلب الثاني : تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير الموضوعي

---

(١) الانبياء / ١١ .
(٢) الانبياء / ١١ .
(٣) التوبة / ١١١ .
(٤) التوبة / ١١٢ .
(٥) الكليني : الكافي ، ٥/ ٢٤ .

إنَّ منهج التفسير الموضوعي هو المنهج الذي يقوم على اساس دراسة موضوعات معينة عرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة ، أو في موضع واحد ، وذلك من اجل تحديد النظرية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين[١].

فـ (يقوم المفسر بجمع كل ما يتعلق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن ، بأن يجعل كل آية قرينة على فهم الآيات الأخرى ، ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني)[٢] .

عند ملاحظة روايات الرسول (o) وأهل البيت (β) نجد انها لا تخلو من هذا المنهج ، حيث وردت روايات عنهم (β) يستدلون بها في تفسير موضوع ما او آية معينة بآيات قرآنية عديدة ، وهذا انما يعتبر دليلاً على إنَّ هذا المنهج انما ولد في احضان أهل بيت النبوة وهذا بخلاف ما ذُهِب اليه من إنَّ هذا المنهج من المناهج التفسيرية الجديدة .

إذ إنَّ تجلي أثر المنهج وتطبيقاته ، الصادرين عن أهل البيت (β) ، بما يقطع الشك في أنّهما ليسا وليدي فكرة معاصرة ، بل هما موجودان في أعماق تاريخ التفسير[٣].

حيث إنَّ جملة من معطيات منهج تفسير القرآن بالقرآن تكمن في ايجاد الداعي في نفس المفسر الى الصيرورة الى التفسير الموضوعي ، حيث يكون أقرب الى روح القرآن ومراداته العامة ومواقفه النهائية ونتاجاته المفصلية ، فيكون المعطى القرآني داعياً الى ابراز المواقف النهائية للقرآن [٤]، وهو ما يميز منهج التفسير الموضوعي عن غيره من المناهج التفسيرية .

فعن الإمام علي (γ) ، إنَّه قال : (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم ولكن أخبركم عنه)[٥]، إنَّ هذا (التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام ابن القرآن (γ)

---

[١] ظ/ محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ، ٩.
[٢] محمد الاصفهاني : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، ٣١٢.
[٣] المصدر نفسه .
[٤] ظ / الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٥٠.
[٥] محمد عبده : شرح نهج البلاغة ،٢/ ٢١٧ .

اروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعي)[1] ؛ وذلك (بوصفها حواراً مع القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل الموضوعية عليه ،بقصد الحصول على الاجابة القرآنية عليها)[2].

فأهل البيت(β) حين يؤصلون لهذا المنهج بوضع اللبنات الأساسية من خلال عملية الاستنطاق فهم يؤكدون (β) ضرورة التدبر والتأمل والبحث في آيات القرآن الكريم عن الآيات التي لها علاقة بالموضوع المراد الكشف عنه سواء باللفظ او المعنى.

أمثلة تطبيقية:

١- نجد الإمام علي (γ) يشرح معنى (اللقاء والرؤية) بآيات عديدة تحمل المعنى نفسه وبفطنة وحنكة قل نظيرها إذ يقول (γ) : (أما قوله: ((□ □ □ □ □ □))[3] يعني البعث فسماه عز وجل لقاءه ، وكذلك ذكره المؤمنين : ((ۈ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ))[4] يعني يوقنون أنهم يبعثون ويحشرون، ويحاسبون ، ويجزون بالثواب والعقاب ، والظن ههنا اليقين، وكذلك قوله : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[5] وقوله: ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[6] ، يعني فمن كان يؤمن بأنه مبعوث فانه وعد الله لات من الثواب والعقاب فاللقاء ههنا ليس بالرؤية ،واللقاء هو البعث فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فانه يعني

---

[1] محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ، ٢١ .
[2] المصدر نفسه ،٢١ .
[3] السجدة / ١٠
[4] البقرة / ٤٦ .
[5] الكهف / ١١٠
[6] العنكبوت / ٥

بـذلك البعـث وكـذلك قولـه : ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ)) [١] يعنـي انـه لا يـزول الايمـان عن قلوبهم يوم يبعثون)[٢].

٢- وفي رواية عن الامام موسى الكاظم (γ) وهو يتحدث عن موضوع (العقل) فيجمع له الآيات التي تتحدث عنه أو تشير اليه ليستدل بها كل في مكانه وكأنه يقوم بعرض بحث متكامل ومفصل عن هذا الموضوع ، إذ يقول في حديثه مع هشام :(يا هشام إنَّ الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ((ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ))[٣].. إنَّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: (((ﯼ ﯽ ﯾ ... ﭼ ﭽ ﭾ))[٤] ...قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً، ...وقال: ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ...ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ))[٥] .. وقال: ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[٦]) ، ثم يذكر (γ)الآيات التي وعظ الله بها أهل العقل بقوله(γ): (ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال: ((ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ))[٧] ،ثم ينتقل الى ذكر الآيات التي خوف الله بها الذين لا يعقلون بقوله: (ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ((ﭼ ﭽ ﭾ *ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ * ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ))[٨]وقال:((ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ *ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ))[٩]) ،ثم يذكر (γ) الآيات التي تربط العقل بالعلم، بما نصه: (إنَّ العقل مع العلم فقال:((ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ))[١٠]).. ثم ذكر الآيات التي ذم فيها الله تعالى الذين لا يعقلون ، بقوله : (ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ((ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ

[١] الاحزاب / ٤٤
[٢] المجلسي : بحار الانوار ، ٩٠ / ١٩٣-١٤٠
[٣] الزمر / ١٧-١٨ .
[٤] البقرة / ١٦٣-١٦٤ .
[٥] غافر / ٦٧ .
[٦] الحديد / ١٧ .
[٧] الانعام / ٣٢ .
[٨] الصافات / ١٣٦-١٣٨ .
[٩] العنكبوت / ٣٥ .
[١٠] العنكبوت / ٤٣ .

ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ))[1] ، ...وقال((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)) [2])، ثم انتقل الى ذكر الآيات التي لها علاقة بالعقل بقوله : (ثم مدح القلة فقال:((□ □ □ □ □))[3] ...وقال: ((ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ))[4] ، وقال((□ □ ى ى))[5])، ثم يذكر بعد ذلك ما حبا الله به أولوا الألباب من نعمة العقل بقوله : (ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية فقال: ((ۍ ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □))[6] ...وقال:((ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ پ ٹ ٹ ڈ ڈ))[7]) ، إنَّ الله تعالى يقول في كتابه:((ڈ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڎ))[8] يعني: عقل، وقال: ((ٱ ٻ ٻ ٻ))[9]، قال: الفهم والعقل)[10].

٣-تستدل الزهراء (η) بآيات عديدة على من غصبها حقها في ارثها من ابيها رسول الله (o) ، ومنها قوله تعالى : ((ڦ ڦ ڦ ڃ))[11]، وقوله تعالى : ڃ ڃ ڃ ڃ *چ چ چ چ چ چ))[12] ، وبقوله تعالى : ((□ □ □ ى ى))[13] ، وقوله تعالى : ((ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ))[14]وقوله تعالى : ((ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ)) [15] وقوله تعالى : ((ۋ ۋ ۋ و و ۋ ۋ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □)) [16] ، وبما ان هذه

---

[1] البقرة / ١٧٠ .
[2] يونس / ٤٢ .
[3] سبأ / ١٣ .
[4] هود / ٤٠ .
[5] الطور / ٤٧ .
[6] البقرة / ٢٦٩ .
[7] الرعد / ١٣ .
[8] ق / ٣٧ .
[9] لقمان / ١٢ .
[10] الكليني : الكافي ، ١ / ١٣ .
[11] النمل / ١٦.
[12] مريم / ٥-٦ .
[13] الانفال /٧٥ .
[14] النساء / ٧ .
[15] النساء / ١١ .
[16] البقرة / ١٨٠ .

الآيات تشمل رسول الله (o) وغيره من سائر البشر[١] ، لذا نجد انها (η) استنكرت عليهم ، بقولها : (اخصكم الله بآية اخرج بها أبي)[٢].

٤-وقد عمدَّ الامام الرضا (γ)الى جمع الآيات التي تناولت مفردة السلام لبيان فضل آهل بيت الرسول على أهل بيت باقي الانبياء والرسل، وهي قوله تعالى : ((پ پ پ ٹ ٹ)) [٣]، وقوله تعالى : ((چ چ چ)) [٤]، وقوله تعالى : ((ے ے ۓ ۓ ڭ)) [٥] ثم قال (γ) : (ولم يقل سلام على آل نوح ولم يقل سلام على آل ابراهيم ولم يقل سلام على آل موسى وهارون ، وقال : ((ٹ ٹ ٹ ٹ)) [٦]، يعني آل محمد صلوات الله عليهم)[٧] أجمعين .

بهذا نجد إنَّ منهج التفسير الموضوعي هو ليس وليد العصر الحديث – كما تقدم – بل هو مستعمل من الأئمة (β) ، ونلحظ إن أكثر الآيات التي وظفوها لهذا المنهج انما جاءت لإثبات دلالة تفسيرية (عقائدية) ولعلهم بهذا الفعل التفسيري وباستعمالهم لهذا المنهج يؤكدون أمرين :

الأول : إنَّ هذا المنهج من أدق المناهج وصولاً الى الدلالة التفسيرية الأصدق على وجه الاطلاق ، لأن الله تعالى يفسر كلامه بنفسه.

الثاني : إنَّه لما كانت الدلالة العقائدية تعد من أهم الدلالات التفسيرية على وجه الإطلاق لأنها تتعلق بما يؤمن به الفرد وبما يعمله على وفق ما آمن به اعتقاداً ،ركن الائمة الى استعمال هذا المنهج لأثبات هذا النمط الخاص من الدلالة التفسيرية وهذا يومئ بأن بعض أنماط الدلالات تستعمل لها بعض أنماط الممارسات التفسيرية (المنهجية) لتلائم نوع الدلالة مع طبيعة المنهج فلما كان هذا المنهج يوصل الى الدلالة الأصدق كان من الواجب استعماله لأثبات الدلالة الاعتقادية لأنها تعد أهم

---

[١] ظ/عبد الحسين شرف الدين الموسوي : النص والاجتهاد ، ١١٠
[٢] الطبرسي : الاحتجاج ، ١ / ١٣٨.
[٣] الصافات / ٧٩.
[٤] الصافات / ١٠٩.
[٥] الصافات / ١٢٠ .
[٦] الصافات / ١٣٠ .
[٧] الكاشاني : الصافي ، ٤ / ٢٠٢ .

الدلالات التفسيرية وأكثرها طلباً للأثبات من خلال منهج حاكم على صدق الدلالة المستخرجة به .

المبحث الثاني
منهج التفسير بالجري والانطباق

إنَّ هذا المنهج مما انفرد به ائمة أهل البيت (β) فوضعوا أسسه الخاصة بهم في فهم النص ، ولهذا التفسير خصوصية علمية ذات بعد مرتبط بالقدرة على استنطاق باطن النص وكشف معانيه كشفاً يزيل عنها كل حجب لينطلق الى باطن الآية متحرراً من قيود الزمان والمكان والقدرة على الانطباق على معان متجددة تمثل مصاديق يشملها النص [١] ، ويبدو إنَّ السبب في عدم تبني المفسرون لهذا النمط من التفسير هو ارتباطه بعلم التأويل وعلم الظاهر والباطن كما سيتبين لاحقاً ،واللذين يحتاجان الى قدرات وامكانات خاصة لا تتوافر في أيٍ كان ،لذا يُعد هذا المنهج من اصعب وادق مناهج التفسير الاخرى.

فالآية لا تختص بمورد نزولها ، بل تجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكاً ، كالأمثال فإنها لا تختص بمواردها الاوّل ، بل تتعداها الى ما يناسبها.[٢]

فالجري اصطلاحاً (يريد به ائمة أهل البيت (β) تطبيق الآية على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجاً عن مورد النزول)[٣] ، فالقرآن الكريم (

---

[١] ستار جبر الاعرجي : مناهج المتكلمين في فهم النص ، ٩٠.
[٢] ظ/كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٧١ .
[٣] المصدر نفسه ، ٧١.

كتاب عالمي وخالد بحيث إنَّ نطاق وأفاق رسالته لا تحدها الحدود الجغرافية ولا تؤطرها الحدود الاقليمية ولا تؤثر على نطاق سعته واحاطته فواصل امتداد الزمان ، ومثل هذا الكتاب جار في ماضيه كما هو في حاضره ، وينطبق على السابق واللاحق كما ينطبق على الحال ... والاحكام والصفات التي يذكرها القرآن لنفسه اوسع من حدود الزمان والمكان)[١].

المطلب الأول : تأصيل أهل البيت لمنهج الجري والانطباق

وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (β) في تأسيس هذا المنهج وتأصيله ووضع لبناته الأولى ، فقد ورد مصطلح الجري في رواياتهم (β) ، إما مصطلح التطبيق أو الانطباق فقد زادهُ المتأخرون من المفسرين .

عن الإمام الصادق (γ) : (إنَّ القرآن حي لم يمت وإنّه يجري ما يجري الليل والنهار ، وكما يجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)[٢] يقول الطباطبائي : (واعلم إنّ الجري وكثير ما نستعمله في هذا الكتاب اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت (β))[٣].

ويقول الإمام الباقر (γ) : (ولو إنّ الآية اذا نزلت في قوم ، ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على اخره ما دامت السماوات والارض ، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير او شر)[٤].

فإنَّ (ما ورد من شأن النزول وهو الأمر أو الحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها لأنَّ البيان عام والتعليل مطلق ، فإنّ المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين ، أو الذم النازل في حق اخرين معللاً بوجود صفات منهم لا يمكن قصرهما على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم غيرهم وهكذا)[٥].

---

[١] املي : تفسير تسنيم ، ١/ ٢١٠ .
[٢] المجلسي : بحار الانوار، ٣٥/ ٤٠٤ .
[٣] ظ / الطباطبائي : الميزان ، ١ / ٤١ .
[٤] العياشي : تفسير العياشي ، ١/ ١٠ .
[٥] الطباطبائي : الميزان ، ١ / ٤٢ .

ويبين أهل البيت (β) في رواياتهم علاقة هذا المنهج التفسيري بالتأويل والظاهر والباطن ، فعن الفضيل بن يسار ، قال : سألت أبا جعفر (γ) عن هذه الرواية : (ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن) ، فقال (γ) : (ظهره تنزيله وبطنه تأويله ، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد ، يجري كما يجري الشمس والقمر ، وكلما جاء منه شيء وقع)[1] ففي هذا الحديث الشريف نلمس قابلية انطباق آيات القران الكريم على الموارد الدلالية المصداقية وهذا يعد من قبيل الجري للنص الكريم تفسيراً على مجموعة من المصاديق التي يسعه الانطباق عليها دلالة.

كما إنَّ الإمام (γ) يشير الى إنَّ للقرآن تنزيلاً وله تأويلاً في تعدد دائم، فالقرآن لا ينحصر في مورد النزول ، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة : ((ذ ذ ث ث))[2] مما يدل على إنَّ للقرآن تأويلات عديدة كلما تقدم الزمان وتحقق مصداق كان احد تلك التأويلات المخفية وهي ممتدة الى يوم القيامة ، فهو منبع لا ينتهي ، ويشير الإمام أمير المؤمنين (γ) الى ذلك بقوله : (ما تأويله بعد تنزيله)[3].

إذن إنَّ لهذا المنهج علاقة بعلم التأويل وبما إنّ المصاديق التي يمكن أن تنطبق على الآية الواحدة متعددة بحسب انطباقها على كل زمان ومكان ، وكما علمنا سابقاً إنَّ من التأويل ما لا يمكن الوصول اليه وهو خاص بأهل البيت (β) ، فبهذا نفهم إنَّ من الدلالات ما هو منحصر الفهم بهم (β) من هنا كان هذا النمط من التفسير مهم جداً ، إذ كان لرواياتهم التفسيرية المتضمنة لبيان هذا النوع من المصاديق والمعاني تأصيلاً لهذا المنهج وتوضيحاً لملامح الاستدلال والتطبيق على الروايات التي تكون مناسبة لاستخراج بواطن الآيات ومعانيها .

كما إنَّ الآيات في حركة دائمة يستجلى منها العبر والمواعظ للبشرية في كل العصور والى يوم القيامة ، فـ(القرآن الكريم ضرب الأمثال وتحدث عن الاحداث والوقائع بروح التربية والتزكية والهداية ، فكما إنَّ هذا المثل له مصاديقه في عصر النزول ، فهو له مصاديق (يؤول) اليها في العصور الأخرى)[4] ، فإنّ ما ذكره

---

[1] العياشي : تفسير العياشي ، ١ / ٨٦ .
[2] الاعراف / ٥٣ .
[3] المجلسي ، البحار ، ٩٠ / ٥ .
[4] محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٣٧٣.

القرآن من قصص الانبياء كقصة نوح وابراهيم وموسى وعيسى (β) وغيرهم ، من الأنبياء (β) ، لم يكن لمجرد التسلية أو تسجيل حوادث التاريخ وتوثيقها ؛ بل لأنها تمثل حقائق وقعت في عصر نزول القرآن ، وهي في نظر أهل البيت (β) ، تمثل حقائق متشابهة ومطابقة لها في العصور والازمنة الاخرى .[١]

من هنا فان قول الرسول (o): (فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم)[٢]، وقول الإمام الصادق (γ) : (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه)[٣]، فعلى وفق هذا المنهج يكون الإنسان في كل حين ومكان مقصود في الخطابات القرآنية الواصلة اليه ، وما دام كذلك فإنَّه لابد من أن يكون مصداقاً داخلاً في نطاق جملة من النصوص القرآنية : ((□ □ □ □ □ □ □ □))[٤]، وبذلك يتعين قراءة القرآن بصورة جادة على نحو التنزيل الفعلي على كل واحد منا ليرى موضعه ومرتبته[٥] منه وفيه.

وهذا ما يؤكده الإمام ابو جعفر الباقر (γ) في قوله : (اذا سمعت الله ذكر احداً من هذه الأمة بخير فنحن هم ، واذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممن مضى فهو عدونا)[٦]، من هنا يتبين إنَّ أهل البيت (γ) قد وضعوا الأسس الأولى لهذا المنهج التفسيري من خلال الإشارة الى انطباق معنى آيات النص القرآني على مصاديق متجددة في كل زمان ومكان .

---

[١] ظ/ محمد باقر الحكيم : علوم القران ، ٣٧٣ .
[٢] الطبرسي : مستدرك الوسائل ، ٤ / ٢٣٩.
[٣] الكليني : الكافي ، ١ / ٦ .
[٤] الانسان / ٣ .
[٥] كمال الحيدري : اللباب في تفسير الكتاب ، ٧٤ .
[٦] العياشي : تفسير العياشي ، ١ / ٨٩ .

المطلب الثاني : تطبيقات السنة المطهرة لمنهج التفسير بالجري والانطباق

وردت عن أهل البيت (β) الكثير من الروايات في تفسير القرآن على وفق منهج التفسير بالجري والانطباق :

ففي تفسير قوله تعالى : ((ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ)) [١]، فقد روي عن رسول الله (o) أنه سَألَ قوم عن معناها وفيهم أمير المؤمنين علي (γ) ، فخاض القوم في معناها وذكروا ما انعم الله عليهم من النعم الظاهرة حتى أمسكوا عن الكلام ، فسأل الرسول (o) علياً(γ) عنها ، فقال : (أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً ،.. وأن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حياً لا مواتاً..) [٢] الى أن ذكر عشرة نعم ظاهرة وباطنة ، وفي رواية عن أبي جعفر : (أما النعمة الظاهرة فهو النبي (o) ، وما جاء به من معرفة الله عز وجل وتوحيده ، وأما النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا) [٣]، وفي رواية عن الامام موسى بن جعفر(γ) : (النعمة الظاهرة الامام الظاهر ، والباطنة الامام الغائب)[٤] .

وفي الكافي عن ابي عبد الله (γ) ،قال : ((ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ))[٥]، قال : الذكر محمد ونحن أهله المسؤولون)[٦]، وعن ابي عبد الله (γ) ، قال جل ذكره : ((ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ))، قال :(الذكر: القرآن ، وأهله آل محمد ، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال ، وسمى الله القرآن ذكراً ، فقال: ((ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ)) [٧])[٨].

---

[١] لقمان / ٢٠.
[٢] المجلسي : بحار الانوار ، ٦٧/ ١٩.
[٣] المصدر نفسه ، ٢٤/ ٥٢.
[٤] المصدر نفسه ، ٥١/ ٦٤.
[٥] النحل / ٤٣ .
[٦] الكليني : الكافي ، ١/ ٢١٠ .
[٧] النحل / ٤٤ .
[٨] الكاشاني : الاصفى ، ١ /٦٤٩ .

وفي تفسير قوله تعالى : ((ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ڀ ڀ ٺ ٺ)) [1]، فعن ابي جعفر ان قوله تعالى: ((فاما يأتينكم مني هدى)) ، فـ(هو علي بن أبي طالب(ع))[2].

وفي رواية عن الإمام الصادق (γ) ، حيث يقول في تفسير الآية الكريمة : ((پ ڀ ڀ *ٺ ٺ ڀ ڀ ٺ)) [3]، انهما علي وفاطمة وهما بحران لا يبغي احدهما على الاخر ، وعن الآية الكريمة : ((ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک))[4]، قال : هما الحسن والحسين (χ))[5]،فهذا التفسير من قبيل استخراج المصاديق الباطنية للآيات الكريمة الانفة الذكر .

وهكذا في قوله تعالى : ((ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ)) [6]، ودلالة الآية في ظاهر تعبيرها واضحة ، إنّ نعمة الوجود ووسائل العيش والتداوم في الحياة ، كلها مرهونة بإرادته تعالى على وفق تدبيره الشامل لكافة انحاء الوجود ، والله تعالى هو الذي مهّد هذه البسيطة لإمكان الحياة عليها ، ولولا فضل الله ورحمته لعباده لضاقت عليهم الارض بما رحبت .[7]

على حين نجد الإمام الباقر (γ) ، يطبق الآية على الامام المهدي (γ)، بقوله : (اذا فقدتم امامكم فلم تروه فماذا تصنعون)[8]، وعنه ايضاً في رواية أُخرى ، أنّه قال : (نزلت في الإمام ، فقال (ان) أصبح امامكم غائباً عنكم فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماء والأرض وبحلال الله تعالى وحرامه . ثم قال : اما والله ما جاء تأويل هذه الآية ولابد أن يجيء تأويلها)[9]، فهو بحسب هذه الرواية يبين قدرتهم على تأويل الآيات الكريمة قبل أن يأتي تأويلها وهذا المنحى من التأويل لا يبلغه الا هم (β) كما أوضحنا سابقاً في اقسام التأويل ، لذا فان منهج الجري

---

[1] البقرة / ٣٨.
[2] المجلسي : بحار الانوار ، ٣٦/ ١٣٠.
[3] الرحمن / ١٩ – ٢٠ .
[4] الرحمن / ٢٢ .
[5] الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ٥ / ١٩١ .
[6] الملك / ٣٠ .
[7] ظ/محمد هادي معرفة : التفسير والمفسرون ، ٢٦/٢
[8] الطوسي : الغيبة ، ١٦٠
[9] المصدر نفسه ، ١٥٨

والانطباق من المناهج التي لها قسمين قسم يمكن للبعض ولوج مكنوناته بمتابعة أهل بيت العصمة (β) ، وقسمٌ منحصر بالمعصوم الذي مكنه الله تعالى من هذا العلم وخصه به دون غيره .

ومن ذلك ما ورد عن الإمام علي (γ) إنَّه قام اليه رجل فقال : (يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك ؟ فقال (γ) أما سمعت الله يقول : ((ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ)) [1] ، فرسول الله (o) على بينة وانا الشاهد له ومنه)[2].

بهذا نجد إنَّ الائمة (γ) هم أول من اتبع هذا المنهج بل هم أول من أسسه ومد حدوده للناس ليفهموا بأن هذا القرآن يسير مع كل زمن بل يُسايرُ كل لحظة فيه ، فهو خارج عن قبضة الزمن في الوقت الذي يسير فيه مع كل زمن بل مع كل الزمن دون انقطاع وما أهتمام الائمة بهذا المنطق التفسيري (الجري والانطباق) إلا مصداقاً على إنَّ النص يجري على جملة مصاديق دون انقطاع من جهة وكدليل على أثبات معجزة النص الخالدة من جهة أخرى .

المبحث الثالث

تأصيل السنة المطهرة لمنهجي التفسير الروائي واللغوي

من المناهج التي نجدها واضحة المعالم في روايات أهل البيت (β) هما منهج التفسير الروائي ، ومنهج التفسير اللغوي ، لذا سنحاول دراسة هذين المنهجين بتتبع ما ورد عنهم (β) ، لنقف على طريقتهم في بيان المعنى والمقصود من الآيات القرآنية وفق هذين المنهجين .

المطلب الاول : تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير الروائي

قد صرح القرآن الكريم بلزوم اعتماد كلام النبي في بيان معاني القرآن الكريم حيث قال تعالى : ((ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ)) [1]، فكان الرسول (o) هو المبين عن

---

[1] هود / ١٧.

[2] الكليني : الكافي ، ٢/ ١٥٦ .

أمر الله وعن كتابه معاني آياته المنزلة ، وما اراد الله عز وجل وعنى فيه ، وقد أكد الرسول هذا المعنى بقوله : (الا إنَّي أوتيت القرآن ومثله معه)[٢].

بهذا تكون من أهم الطرائق لمعرفة القرآن وتفسير دلالاته، هو تفسيره بالسنة الشريفة ، وكما عرفنا سابقاً إنَّ سنة المعصوم هي من أهم الأصول التفسيرية للحصول على المعارف القرآنية ، وبما إنّ أهل البيت (β) ، هم عدل القرآن والملازم له ، بهذا تكون عملية التمسك بأحدهما دون الآخر هي بمنزلة ترك كلا الثقلين ، وهنا لا نريد أن نذكر رواياتهم (β) في تفسير القرآن بل نحن بصدد استيضاح واثبات استدلال الأئمة بروايات الرسول (o) ومن قَبلهم من ألائمة(β).

وهذا نجده في كثير من رواياتهم (β) التفسيرية ، وإن كان حديثهم كله واحد ، كما يقول الامام ابو عبد الله (γ) : (حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (β) وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (o) وحديث رسول الله قول الله عز وجل)[٣]

ولكن نجد في الكثير من رواياتهم (β) إنّهم يستدلون بروايات الرسول (o) ، ومن قبلهم من أهل البيت (β) تأكيداً منهم لأهمية هذا المنهج في تفسير القرآن وإن كان في مقابل تفسير القرآن بالقرآن بمكان الثقل الأصغر أمام الثقل الاكبر ، كما ان فيه دعوة الى تتبع رواياتهم التفسيرية في استقصاء المعنى بدقة.

فأهل البيت (β) لهم منهج استدلالي منظم في تفسير القرآن الكريم بمقتضى ما ورثوه من هذا العلم وما تناقلوه فيما بينهم من روايات عن الرسول الكريم (o) ، فقد كان الإمام علي (γ) تلميذ الرسول (o) في التفسير ومنه انتقل الى اولاده (γ)، وكانوا يفسرون القرآن عنه وعن رسول الله .

---

[١] النحل / ٤٤

[٢] ابو داود : سنن ابي داود ، ٤ / ٢١٠.ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ١/ ٦.

[٣] الكليني : الكافي ، ١ / ٥٣ .

وقد اتضح سلفاً اهمية السنة المطهرة من حيث تقييد المطلق القرآني وتخصيص العام فيه ، وتبيين المجمل ، وبيان اسباب النزول ، والناسخ من المنسوخ وغيرها .

أمثلة تطبيقية :

١-ينقل بسند متصل الى أمير المؤمنين (γ) : (عن الحسن بن علي عن أبيه على بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه الرضا على بن موسى عن ابيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين ابن على (γ)قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزوجل : ((□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي))[١] قال : هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا لتعتبروا به ولتتوصلوا به إلى رضوانه ، ولتتوقوا به من عذاب نيرانه ،((□ □ □ □)) أخذ في خلقها واتقانها ((□ □ □ □ ى ى ي ي)) ولعلمه بكل شئ علم المصالح فخلق لكم ما في الارض لمصالحكم يا بنى آدم)[٢].

٢-ما ورد عن الإمام الرضا (γ) عن ابيه عن ابائه عن الحسين بن علي (γ) أنه قال : (قال رسول الله (o) لعلي (γ) : يا علي انت حجة الله ، وانت باب الله ، وأنت الطريق الى الله ، وانت النبأ العظيم ، وانت الصراط المستقيم)[٣] ، قد فسر (o) (النبأ العظيم)[٤] في سورة النبأ ، بعلي (γ) ، نقلا عن ابائه الى جده رسول الله (o) .

٣-وعن علي (γ) أنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان الله تبارك وتعالى قال لي : يا محمد ((ۇ ۆ ۆ و و ۇ ۇ))[٥] فأفرد الامتنان على بفاتحة الكتاب ، وجعلها بإزاء القرآن العظيم ، وان فاتحة الكتاب أشرف ما في

---

[١] البقرة / ٢٩ .
[٢] الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ١/ ٤٦.
[٣] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١ / ١٠ .
[٤] النبأ / ٢ .
[٥] الحجر / ٨٧ .

كنوز العرش ، وإنّ الله عز وجل خصَّ محمداً وشرفه بها ، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه)[١].

٤-وفي رواية عن الرضا عليه السلام ، عن ابائه عليهم السلام عن امير المؤمنين (γ) في قوله تعالى : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)) [٢]، قال : السفن)[٣].

٥-وفي رواية ينقل فيها ابي جعفر (γ) عن النبي (ο) تفسير قوله تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ))[٤]، يعني حسن مرجع ، فأما طوبى فإنها شجرة في الجنة ساقها في دار محمد (ο) ولو أنَّ طائراً طار من ساقها لم يبلغ فرعها حتى يقتله الهرم)[٥]، بهذا نجد أن الائمة (β) يمارسون المنهج الأثري أو الروائي في بيانهم لدلالات النص الكريم وذلك ايماناً منهم بصدق الدلالة التي يصلون به اليها ، ولإثبات هذا المنهج تسليماً في نفوس الناس ليقتفوا أثره ويتبعوه بوصفه من أجود المسالك التفسيرية عموماً بعد منهج تفسير النص بالقرآن.

المطلب الثاني : تأصيل السنة المطهرة لمنهج التفسير اللغوي

لقد أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين ، إذ يقول : ((((ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)) [٦]، لذا كان المنحى اللغوي في فهم القرآن مورد اهتمام المفسرين ، لأن ذلك لا يكون الا من خلال الاستمداد بقواعد اللغة العربية وأصولها ، ودراسة الفاظها وتراكيبها وفهم سياقاتها ، فالتفسير اللغوي : (هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب)[٧].

وقد كان للرسول وأهل البيت (β) اهتمامهم الواضح في بيان هذا المنهج، فقد وردت الكثير من الروايات عنهم (β) في الأصول والقواعد التي يجب أن يتخذها

---

[١] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ٢ / ٢٧٠ .
[٢] الرحمن / ٢٤ .
[٣] الصدوق : عيون اخبار الرضا ، ١/ ٧٢ .
[٤] الرعد / ٢٩ .
[٥] المفيد : الاختصاص ، ٣٥٨
[٦] يوسف / ٢ .
[٧] مساعد الطيار : التفسير اللغوي للقران الكريم ،٣٨.

المفسر في عملية تصديه لتفسير كتاب الله تعالى ، وقد اوردناه فيما سبق من البحث في الأصول اللفظية [١]، وإنَّ لهذا المنهج في روايات أهل البيت (β) انواع كثيرة .

أمثلة تطبيقية :

١–في رواية عن الإمام الباقر (γ) عن آبائه إنّه قال : (الصمد) الذي لا جوف له ، و(الصمد) الذي لا ينام ، و(الصمد) الذي لم يزل ولا يزال)[٢]

٢– وعن ابي عبد الله (γ) ، في حديث ، قال : (أولستم عرباً ؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه ، انسخ ذلك الكتاب ، أوليس إنما ينسخ من كتاب آخر من الأصل ، وهو قوله : ((□ □ □ □ □ □ □)) [٣])[٤].

٣–وعن الصادق (γ) في تفسير(الرحمان) حيث يقول : (الرحمن) اسم خاص بصفة عامة ، و(الرحيم) اسم عام بصفة خاصة)[٥] .

٤–ويبين الامام الباقر(γ) كيفية التيمم في قوله تعالى : ((ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ))[٦] ،(ثم وصل بها (ﮄ) فلما وضع الوضوء عمن لم يجد الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنه قال (ﮄ) ثم قال : (ﮂ) أي من ذلك التيمم لأنه علم إنَّ ذلك أجمع لا يجرى على الوجه ، لأنه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها)[٧].

٥–وفي رواية عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : (قلت كيف يمسح الرأس ؟ قال : ان الله يقول : ((فامسحوا برؤوسكم)) فما مسحت من رأسك فهو كذا ولو قال : امسحوا رؤوسكم فكان عليك المسح كله)[٨]، لعدم وجود الباء.

---

[١] ظ/ الفصل الثالث ، المبحث الثاني .
[٢] الصدوق : التوحيد ، ٩ .
[٣] الجاثية / ٢٩ .
[٤] الحويزي : نور الثقلين ، ٥/ ٦
[٥] الطبرسي : جوامع الجامع ، ١/ ٥٣ .
[٦] المائدة / ٦ .
[٧] الكليني : الكافي ، ٣/ ٣٠ .
[٨] النوري : مستدرك الوسائل ، ١ / ٣١٥ .

إنَّ هذه المناهج هي الأبرز في روايات أهل البيت (β) ، وهناك الكثير من الروايات عنهم (β) في تفسير الآيات القرآنية تشير الى استخدامهم مناهج أُخرى في سبيل بيان معنى الآيات وتقريبها الى أذهان المسلمين ، ومنها :

منهج التفسير العقلي او الاجتهادي ، (والذي يعتمد على بذل الجهد الفكري واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده)[١].

ان هذا التفسير يكون في مقابل التفسير النقلي ، الذي يتم فيه تأكيد النقل اكثر من غيره ، أما في التفسير الاجتهادي فيتم تأكيد العقل والنظر والتدبر[٢].

وقد ورد في روايات أهل البيت (β) حين سئُلوا عن قول الله عز وجل : (هو الأول والآخر) ، ما نصه: (أما الأول فقد عرفناه ، واما الاخر فبين لنا تفسيره ، فقال (γ): انه ليس شيء الا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير والزوال وينتقل من لون إلى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة ، ومن زيادة إلى نقصان ، ومن نقصان إلى زيادة الا رب العالمين فإنّه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة ، هو الأول قبل كل شيء وهو الاخر على ما لم يزل ولا تختلف عليه الصفات والاسماء كما تختلف على غيره)[٣].

وعن أبي جعفر (γ) في تفسير قوله تعالى : ((ﭐ ﭑ ﭒ))[٤] ، قوله : (يا أبا هشام أوهام القلوب ارق من أبصار العيون ، انت تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك ، وأوهام القلوب لا تدركه ، فكيف بأبصار العيون)[٥]. وغيرها الكثير من الروايات .

---

[١] محمد الاصفهاني : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، ١١٣ .
[٢] ظ/ محمد هادي معرفة : التفسير والمفسرون ، ٢ / ٣٤٩ ، خالد العك : اصول التفسير وقواعده ، ١٧٦.
[٣] الكليني : الكافي ، ١/ ٩٠ .
[٤] الانعام / ١٠٣ .
[٥] الطبرسي : الاحتجاج ، ٢ / ٢٣٨ .

وفـي تفسـير قولـه تعـالى : ((ڑ ک ک ک ک گ گ)) [1] ، عـن الإمـام الباقر (γ)،قال :(هو العقاب ، يا عمرو إنّه من زعم إنَّ الله قد زال من شيء الى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وان الله تعالى لا يستفزه شيء فيغيره)[2] .

ومثله في تفسير قوله تعالى ((گ گ گ ڳ ڳ ڳ)) [3] ، فقد فسر الإمام الصادق (γ) (وجهه) ، بأنه وجه الله الذي يؤتى منه ، حيث قال عليه السلام : (سبحان الله لقد قالوا قولاً عظيما إنما عنى وجه الله الذي يؤتى منه)[4].

فنجد انهم (β) في تفسيرهم الكثير من النصوص القرآنية يبتعدون عن المعنى المادي الذي يشير اليه ظاهر اللفظ وهذا ما نلاحظه من خلال تفسير أهل البيت (β) للآيات التي تدعو الى تجسيم الله تعالى إذ يوظفون المنهج العقلي لدرأ هذه الشبهة عنه سبحانه ، لأن العقل يقضي بعدم التجسيم لأنه سبحانه ((ليس كمثله شيء)) وتأسيساً على هذا يَستثمر العقل لدفع النص باتجاه دلالة تعد هي الأصوب انسجاماً والمقام القدسي لربوبيته سبحانه.

الخاتمة ونتائج البحث

كان هذا الجهد العلمي محاولة جادة للوقوف على الدور الريادي للسنة المطهرة في التأصيل والتأسيس لعلم التفسير لاستظهار المعنى السماوي وكشف المراد الالهي في النص القرآني، وقد توصلت الباحثة الى جملة من النتائج يمكن إيجازها على النحو الآتي :

١-إنّ مرجعية أهل البيت (β)في التأصيل للعلوم كافة وعلم التفسير خاصة نابع من مصدرين الأول موروث من رسول الله (o) ، والثاني من ملازمتهم (β) للقرآن الكريم.

---

[1] طه / ٨١ .
[2] الكليني : الكافي ، ١/ ١١٠
[3] القصص / ٨٨ .
[4] الكليني : الكافي ، ١/ ١٤٣ .

٢-إنَّ أي علم صحيح في استدلاله ونتائجه تم الوصول اليه والاستفادة منه هو بالأصل نابعٌ منهم ولهم الفضل في بيانه والتأسيس له لا لغيرهم .

٣-إنَّ علمهم(β) ليس له حدود إذ ان الله تعالى قد وهبهم علم جميع الكتب السماوية ومن ذلك لهم امكانية اثبات الحجة على اهل الديانات الأخرى بالدليل القاطع ومن كتبهم انفسها.

٤-ان علمهم (β) متوارث بينهم فلا يتوفى نبي أو وصي حتى يترك بعده من يرث علمه ويخلفه فيه وهذا العلم إما أن يكون مثل علم السابق أو زيادة عليه بحسب تطور الزمان وتطور العلوم وهذا ما نراه من تطور العلوم المكتسبة من السابقين .

٥-إنَّ الأول في تفسير القرآن والتأصيل له هو الأمام أمير المؤمنين علي (γ)،وإنَّ ما وصل من تفسير صحيح انما هو راجع اليه.

٦-إنَّ العلم التام والاحاطة الكاملة بالقرآن ظاهره وباطنه وغوامضه وكل ما خفي فيه من معارف وعلوم هو من مختصات أهل البيت (γ) ، ولا يستطيع أيٍ كان أن يصل الى كل مضامين هذا العلم الا هم ومهما طال الزمن ستبقى زاوية محصنة لهم وحدهم (γ) .

٧-اكدت السنة المطهرة على امكان فهم القرآن وتفسيره وانه مشروع متى ما ارتكز على المنطق الاستدلالي السليم المقتدي بأهل البيت(γ) ، وبحسب تعدد درجات الادراك والفهم والقابليات العقلية والروحية في فهم النص القرآني واختلافها ، واعلى هذه الدرجات هي (الراسخون في العلم) ، والتي تتمثل بأهل البيت (β) وهم القادرون على الوصول الى اعلى مراتب القرآن الكريم في اللوح المحفوظ.

٨-أشارت السنة المطهرة الى أهم الضوابط التي يجب على المفسر ان يقف عليها ويلتزم بها متمثلة بالحدود التي يجب أن يكون ضمن محيطها وعلى دراية تامة بها ، بالاضافة الى اعتماد منهج التأويل ضمن ضوابطه التي سنها أهل البيت(β) ، كما ان معرفته بتضمن النص للظاهر والباطن من اهم هذه الضوابط .

٩-يتميز النص الكريم بشموليته وطاقاته اللامحدودة المحيطة بكل ما تحتاجه البشرية الى يوم القيامة ، سواء كان ظاهراً يمكن الوصول اليه أو غامضاً خفياً وراء اللفظ .

١٠- من الخصائص المرتبطة بشمولية القرآن ،(الجري) الذي اتصفت به الآيات القرآنية ، واكدته السنة المطهرة وينص على إنّ للآيات معانٍ كلية ، وقوالب تجري ضمن سلسلة تطبيقات لا تنحصر بمصاديق معينة ، وهذا يعد من باب أثبات أعجاز النص المقدس في حركية معناه مع ثبات النص ؛ لأن الجري يمنحه سمة الديمومة فكل جيل يستقي من النص على وفق أرضيته المعرفية دلالة ما ، ليتبقى هنالك دلالة أخرى ومعنى بعيد ومصداق قاصٍ لم يصل إليه ، وهكذا يستمر الحال دواليك، فثمة جدلية تواصلية بين العقل المستقي والنص ميدان القراءة والاستقاء، فكلما نمى العقل وتوسع نطاقه فهم من النص شيئاً آخر ، غير إنّ الغاية النهائية لمراد النص تبقى بعيدة المنال عن العقل مهما تطور لأنه مقيد والنص مغلق .

١١- تبين السنة المطهرة ترتب معاني الآية الكريمة على اربع مستويات وهي الظاهر والباطن والحد والمطلع ، وعلى المفسر الاحاطة بهذه الاقسام ، فالنص لا يقف عند المعنى الظاهري وإنَّ طاقة النص على توليد المعاني تصل الى حد لا تصل اليه العقول ولا يدركها الا الخواص.

١٢- يتحدى النص قيود الزمان فلا تحده حدوده ولا يقف على سبب النزول وتمثل آياته قوالب تنطبق عليها الكثير من المصاديق الى يوم القيامة.

١٣- بينت السنة المطهرة ضرورة الوقوف على أساليب القرآن الكريم في الخطاب والحوار القرآني من استطراد والتفات وغيرها .

١٤- إنّ منهج السنة المطهرة في التأصيل لعلم التفسير يتمثل باتجاهين :الاتجاه التنظيري ، والذي يستند الى روايات أهل البيت (β) في بيان أهم الضوابط التفسيرية المتمثلة بأصول التفسير وقواعده العامة ، والاتجاه العملي أو التطبيقي ، المتمثل بروياتهم (β) التفسيرية للكثير من

النصوص القرآنية ، والتي يبين أهل البيت (β) من خلالها كيفية التعامل مع النص القرآني ، وادارة العملية التفسيرية، وبيان الغاية من هذه الممارسة.

١٥- إنَّ التفسير بالرأي الذي نهت عنه السنة المطهرة وأُخذ معناه منهم ، هو التفسير وفق الهوى الشخصي سواء بعلم أم بدونه ، وينحدر بصاحبه الى الاستدلال بآيات غير مناسبة في تفسير آيات اخرى مع العلم بذلك أو بدونه.

١٦- قسمت السنة المطهرة التأويل الى خمسة أقسام ، الأول يراد به الفهم ويختص بظاهر النص ، والقسم الثاني يراد به سبب النزول الذي يمكن ان ينطبق على مصاديق جديدة وتمثل حال انطباقها عليه تأويل جديد لها، اما القسم الثالث فيختص بيانه بالرسول الكريم (o) وآل بيته(β) كالاحكام المجملة في القرآن التي تحتاج الى بيان منهم (β) لا يمكن لأحد بيانها أو معرفة تفاصيلها الا بعد الرجوع الى السنة المطهرة فيها ، والقسم الرابع يختص ببيان باطن الآيات وما كَمِنَّ من المعاني خلف اللفظ ، ويعتبر من الامور المستقبلية التي تعلم بعد تحققها لا قبله ولكن للمعصوم معرفتها والقدرة على بيانها قبل أن تحدث ، ويختص به النبي (o) وأهل بيته الكرام(β) ، اما القسم الخامس فيمكن لأهل العلم والنظر الوصول اليه معتمدين في بيانه على الضوابط والشروط والعلوم اللغوية والقرآنية وباتباع وأسترشاد من أهل البيت(β) ، وعليه فإن التأويل بمعناه الاصطلاحي ينقسم الى قسمين قسمٌ يمكن الوصول اليه وقسمٌ لا يمكن أن يصل الى مكنوناته الا أهل بيت العصمة(β).

١٧- أن الظاهر هو المعنى الذي يفهم بسهولة من خلال المعرفة باللغة ، والباطن ما كَمِنَّ من معاني خلف ذلك اللفظ ، البعض منها يمكن الكشف عنه من خلال مستوى عالٍ من المعرفة والاحاطة بالعلوم اللغوية والقرآنية ، والبعض الاخر منها لا يمكن الوصول اليه وانما ينكشف للخواص من الراسخين في العلم ، والباطن الذي تبين معناه صار ظاهراً وهو بدوره له

عدة معاني باطنية أيضاً وهكذا ، ويعتبر المعنى الظاهر مركز الانطلاق الى المعنى الباطن .

١٨- يمكن أن يكون جزء من آية ما ظاهر والجزء الآخر باطن لهذا الظاهر.

١٩- وضعت السنة المطهرة أول اللبنات لعلم أصول التفسير ، من خلال تأكيدها على الأصول اللفظية ، التي تعتبر قواعد كلية ينطلق المفسر في التفريع منها لقواعد جزئية ومتمثلة بالخاص والعام ،والمطلق والمقيد ، والمجمل والمفصل ، والامر والنهي ،والمشترك اللفظي بالاضافة الى ما تمثله علوم اللغة والبلاغة من ادوات تعين المفسر في بيان المعنى بأكمل صورة .

٢٠- تعد قاعدة التعريض من أهم القواعد التي يجب الالتفات اليها عند تفسير النص الكريم إذ ان هذا الاسلوب تمتاز به الكثير من آياته الكريمة ، فهو يحتاج الى حنكة ودقة في الوقوف على جهة التعريض في الآية الكريمة ومن ثم الانتقال الى فهم المعنى والمراد الالهي .

٢١- يعتبر القرآن الكريم من الأصول النقلية المهمة والاساس في الكشف عن المراد الالهي بما يتضمنه من خاصية بيان النص من خلال الاستدلال بآيات أخرى .

٢٢- وضعت السنة المطهرة قاعدتين مهمتين في بيان القسم المتشابه من النص الكريم تتمثل القاعدة الأولى برد المتشابه الى المحكم لأن المحكم ثابت وهو واضح غير ملتبس المعنى، اما القاعدة الثانية هي الرجوع في تفسير الآيات الكريمة الى الراسخين في العلم لانهم العالمون بالمقصود والمعنى المراد منه ، إذ ان سنتهم (β) تمثل مركز وقطب القرآن الذي يدور عليه المحكم ، أي إنَّ لهم مركز القيمومة عليه فعند عدم القدرة على رد المتشابه الى المحكم يلجأ الى السنة المطهرة في بيانها .

٢٣- إنَّ من أهم الخصائص والمؤهلات التي يجب أن يتصف بها المفسر، هو التقوى وتزكية النفس والارتقاء بها روحياً فكلما جدَّ الانسان في ذلك

وسعى اليه وهبه الله من العلوم ما يسموا به صعوداً الى اعلى واسمى الدرجات وصولاً الى حقائق كلماته تعالى .

٢٤- من شروط المفسر ضرورة إحاطته بجملة من العلوم والمعارف ومنها ، علم اسباب النزول ، وعلم المكي والمدني ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، والامثال في القرآن ، والقصص القرآنية وغيرها ، والتي تعتبر ادوات للمفسر والمتصدي في تفسير آيات النص الكريم.

٢٥- إنَّ معرفة القصص القرآني تُعَّد من أصول التفسير القرآني لداعيين ، الأول : انها تشكل جزءاً مهماً من النص القرآني يجب الايمان به ، والثاني : انتزاع العِبرة في القصة من نتاجها التفسيري .

٢٦- كل ما ورد في القرآن من الامثال الحسنة يختص بهم (β)، دون الأمثال السيئة فأنها تختص بأعدائهم من الطغات والظالمين ، ويعتبر ضرب الأمثال في القرآن للانسان دون غيره .

٢٧- يعتبر منهج تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي من أهم المناهج التي أصلت لها السنة المطهرة .

٢٨- يعتبر منهج الجري والانطباق من المناهج التي لم يتصدى لها أغلب المفسرين رغم وجود الكثير من الروايات في تأصيله وبيانه ، ولعل السبب في ذلك يعود الى اعتماد أهل البيت منهج التأويل في استخراج وبيان المعاني المستبطنة من الآيات القرآنية ، لذا يعتبر من أصعب المناهج التفسيرية وادقها تعمقاً في النص القرآني .

٢٩- يعتبر التفسير الروائي من أجود المناهج التفسيرية عموماً بعد منهج تفسير النص بالقرآن وقد سعى أهل البيت (β) لإثبات هذا المنهج تسليماً في نفوس الناس ليقتفوا أثرهم في ذلك .

٣٠- أصل أهل البيت (β) لمنهج التفسير اللغوي من خلال اعتمادهم تفسير النص الكريم بقواعد اللغة العربية تأكيداً منهم على الاستفادة القصوى من كل ما له شأن في بيان المعاني والدلالات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

القران الكريم

ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ه)

١- شرح نهج البلاغة ، تح / محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٨ه- ١٩٥٩م .

ابن الاثير : ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ه)

٢-المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ،قدمه وعلق عليه/ احمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة للطبع والنشر ، مصر، ط٢ ، د.ت.

ابن تيمية : تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨ه)

٣-مقدمة في اصول التفسير ،تح/ عدنان زرزور، ط٢، ١٣٩٢ه- ١٩٧٢م.

ابن جزى : الغرناطي الكلبي (ت ٧٤١ه)

٤- التسهيل لعلوم التنزيل ،مطبعة ونشر دار الكتاب العربي ، لبنان ،ط٤ ، ١٤٠٣ه.

ابن حبان :علاء الدين علي (ت ٧٣٩ه)

٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح / شعيب الارنؤوط ، ط٢ ، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م .

ابن حنبل (ت ٢٤١ه)

٦-، مسند احمد ، دار صادر ، بيروت ،د.ت.

ابن سعد: محمد (ت ٢٣٠ه)

٧-الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .

ابن شهر اشوب: مشير الدين ابي عبد الله محمد بن علي (٥٨٨ه)
٨- مناقب آل ابي طالب ، تح/ لجنة من اساتذة النجف الاشرف ، المكتبة والمطبعة الحيدرية ، ١٣٧٦ه- ١٩٥٦م.

ابن طاووس : رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ه)
٩- أقبال الاعمال ، تح / جواد القيومي الاصفهاني ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٤١٤ه .
ابن عربي : محيي الدين ،ابي عبد الله محمد بن علي(ت ٦٣٨ه) ،
١٠- الفتوحات المكية ، دار صادر ، بيروت .
ابن فارس : ابي الحسين احمد (ت٣٩٥ ه)
١١- معجم مقاييس اللغة ، تح / عبد السلام محمد هارون ، مركز النشر- مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ١٤٠٤ه.
١٢- الصاحبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ه .
ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي (٧٥١ه)
١٣- اعلام الموقعين عن رب العالمين ،مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٧٤ه .
ابن كثير : الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤ه)
١٤- تفسير ابن كثير (تفسير القران العظيم) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م .
ابن ماجة :ابي عبد الله محمد (ت ٢٧٣ه)
١٥- سنن ابن ماجة ،تح / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، د.ت.
ابن منظور :ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١ه)
١٦- لسان العرب ، ادب الحوزة ، قم – ايران ، ١٤٠٥ه .
ابو سنة :احمد فهمي (ت ١٤٢٤ه)
١٧- الوسيط في اصول فقه الحنفية ، القاهرة ،د.ت .
ابو طبرة : هدى جاسم
١٨- المنهج الاثري في تفسير القران الكريم (حقيقته ومصادره وتطبيقاته)، مؤسسة بوستان كتاب ، قم ، ط٢ ، ١٤٣٠ه .
ابو العينين : بدران
١٩- ، اصول الفقه الاسلامي ، مطبعة م.ك ، الاسكندرية ، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م .
ابو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ه)
٢٠- الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح / علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي وشركاه، ط١ ، ١٣٧١ه- ١٩٥٢ .
الاسترابادي : محمد امين (ت ١٠٣٣ه)

٢١- الفوائد المدنية ، تح ونشر/مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط١، ١٤٢٤ه .
الاسترابادي : رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦ه)
٢٢- شرح شافية ابن الحاجب ،تح/ محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م.
الاشيقر : محمد
٢٣- لمحات من تاريخ القران، مؤسسة الاعلمي ، ط٢ ، ١٤٠٨ه.
الاصفهاني : محمد علي الرضائي
٢٤- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ،تعريب / قاسم البيضاني ،المركز العالمي للدراسات الاسلامية، قم ، ط١ ، ١٤٢٦ه .
الاعرجي : ستار جبر
٢٥- مناهج المتكلمين في فهم النص القراني ،بيت الحكمة ، بغداد – العراق ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
اغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ه)
٢٦- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الاضواء، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣-١٩٨٣م.
الالوسي : ابي الفضل شهاب الدين (ت ١٢٧٠ه)
٢٧- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د.ت).
الاملي: الجوادي ،عبد الله
٢٨- تسنيم في تفسير القران، تعريب / السيد عبد المطلب رضا ، تح / محمد الخاقاني ، دار الاسراء ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٣٢ه- ٢٠١١م.
الاملي : حيدر
٢٩- تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم في تاويل كتاب الله العزيز المحكم ،تح / محسن الموسوي التبريزي ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤ه.
البحراني : هاشم (ت ١١٠٩)
٣٠- البرهان في تفسير القران ،تح / قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة في قم ،مؤسسة البعثة ، طهران ، ط١ ، ١٤١٦ه.
البحراني : يوسف بن احمد (ت ١١٨٦ه)
٣١- الحدائق الناظرة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم – ايران ، تح /محمد تقي الايرواني .
٣٢- الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، تح ونشر / دار المصطفى لاحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م.
البخاري:ابي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ه)
٣٣- صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١ه – ١٩٨١م.

البروجردي :السيد حسين الطباطبائي
٣٤- جامع احاديث الشيعة ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩ه ، د.ط .
البغوي :محيي السنة ، ابو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ه)
٣٥- معالم التنزيل (٥١٠ه)،تح / محمد عبد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤ ، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م ،د.ط.
البهادلي :احمد كاظم
٣٦- مفتاح الوصول الى علم الاصول ، دار المؤرخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م.
الترمذي :ابي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ه)
٣٧- سنن الترمذي ،تح / عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د.ت.
الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت ٨٧٥ه)
٣٨- تفسير الثعالبي، تح / علي معوض و عادل احمد عبد الموجود ، دار احياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ه – ١٩٩٧.
الثوري : ابي عبد الله سفيان (ت ١٦١ه)
٣٩- تفسير الثوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، تح / امتياز علي عرشي ، ط١ ، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م .
جديدي : محمد رضا
٤٠- معجم مصطلحات الرجال والدراية ،مؤسسة دار الحديث الثقافية ، قم ، ١٣٤٨.
الجرجاني : ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١)
٤١- كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٥م.
٤٢- دلائل الاعجاز ،تعليق : محمود شاكر محمد ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٣ ، ١٤١٣ه .
آل جعفر: مساعد مسلم ،ومحيي هلال السرحان
٤٣- مناهج المفسرين ،دار المعرفة ، ط١، ١٩٨٠مز

الجنابذي : سلطان محمد (ت ١٣٢٧ه)
٤٤- بيان السعادة في مقامات العبادة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨ه .
٤٥- الجنابي : سيروان عبد الزهرة
الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني (دراسة في الدلالة القرآنية)، المركز الوطني لعلوم القرآن ، بغداد، ط١ ،١٤٣١ه-٢٠١٠.
الجواهري : محمد
٤٦- المفيد من معجم الرجال الحديث ، منشورات مكتبة المحلاتي ، قم ، ط٢ ، ١٤٢٤ه.

حاجي خليفة :شهاب الدين المرعشي (ت١٠٦٧ه)
٤٧- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د. ت.ط) .
الحر العاملي :الشيخ محمد بن الحسن (١١٠٤ ه)
٤٨- الفصول المهمة في اصول الائمة ، تح / محمد بن محمد الحسين القائيني ، مؤسسة المعارف الاسلامية للامام الرضا (ع) ،قم ، ط١ ، ١٤١٨ه .
٤٩- الفوائد الطوسية ، مكتبة المحلاتي ، قم ، ط٢ ، ١٤٢٣ه .
٥٠- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ،تح ونشر / مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ، ١٤١٤ه ،قم .
الحراني : ابو محمد الحسن بن شعبة
٥١- تحف العقول عن ال الرسول (ص)، تصحيح / علي اكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم – ايران ، ط٢ ، ١٤٠٤ه.
الحسكاني :عبيد الله بن احمد الحاكم
٥٢- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تح / محمد باقر المحمودي ، مؤسسة مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، ط١ ، ١٤١١ه – ١٩٩٠م.
الحكيم : حسن
٥٣- مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث ، شركة خزانة الكتب للموارد التعليمية ،بغداد ، ط١ ، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٦م .
الحكيم : رياض
٥٤- علوم القرآن دروس منهجية ، دار الهلال ،ط٣ ، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م .
الحكيم : محمد باقر
٥٥- تفسير سورة الحمد ، مجمع الفكر الاسلامي ، قم ،ط١ ، ١٤٢٠ه.
٥٦- علوم القرآن ، مؤسسة شهيد المحراب ، ط١ ، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م + مجمع الفكر الاسلامي ، قم ، ط٣ ، ١٤١٧ه .
الحكيم : محمد تقي
٥٧- الاصول العامة للفقه المقارن ، مؤسسة ال البيت (ع) ، ط٢ ، ١٩٧٩.
٥٨- السنة في الشريعة الاسلامية .
الحكيم : محمد سعيد
٥٩- المحكم في اصول الفقه ، مؤسسة المنار ، قم ، ط١ ، ١٤١٤ه – ١٩٩٤م.
حمادي صمود
٦٠- التفكير البلاغي عند العرب (اسسه وتطوره الى القرن السادس)، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م ،د.ط.
الحويزي :عبد علي بن جمعة العروسي (ت١١١٢ه)
٦١- نور الثقلين ، تح / هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم –ايران ،د.ت.

الحيدري : كمال
٦٢- اصول التفسير والتاويل (مقارنة منهجية بين اراء الطبطبائي وابرز المفسرين) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.
٦٣- علم الامام ، دار فراقد ، ط٥ ، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م .
٦٤- اللباب في تفسير الكتاب ،دار فراقد ، قم ، ١٤٣١ه – ٢٠١٠م .
الخطيب البغدادي : الحافظ ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ه)
٦٥- تاريخ بغداد ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م .
الخطيب القزويني : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ه)
٦٦- الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م .
خلاف :عبد الوهاب (ت١٩٥٩م)
٦٧- علم اصول الفقه ، الكويت ، دار القلم ، ط١٠ ، ١٣٩٢ه – ١٩٧٢م .
الخميني : الامام روح الله (ت ١٤١٠ه)
٦٨- شرح دعاء السحر ،مؤسسة العروج – مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني ، ط٢ ، ١٤٢٣ه .
الخميني : مصطفى (ت ١٣٩٨ه)
٦٩- تفسير القران الكريم ، تح ونشر/مؤسسة تنظيم ونشر اثار الامام الخميني ، ط١ ، ١٤١٨ه.

الخولي :ابراهيم محمد عبد الله
٧٠- التعريض في القران ،دار البصائر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥ه - ٢٠٠٤ .
الخوئي : ابو القاسم الموسوي (ت ١٤١١ه)
٧١- البيان في تفسير القران ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٣٩٥ه- ١٩٧٥م.
٧٢- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ،ط٥، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م .
الدارمي :ابو محمد عبد الله بن الرحمن (ت ٢٥٥ه)
٧٣- سنن الدارمي ، بعناية محمد احمد دهمان ، دمشق ، ١٣٤٩ه.
الذهبي :محمد حسين
٧٤- التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، ط٧ ، مصر،٢٠٠٠م .
الرازي : فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٦ه)
٧٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤٠١ه – ١٩٨١م .
الراغب الاصفهاني : ابي القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ه)

٧٦- مفردات الفاظ القران ، تح / صفوان عدنان وداي ، اميران ، ط٣ ، ١٤٢٤ه .
٧٧- مفردات غريب القرآن ، تح / محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
٧٨- مقدمة جامع التفاسير،تح/احمد حسن فرحات ،دار الدعوة ، الكويت، ط١، ١٤٠٥ه-١٩٨٤م.

الراوندي : قطب الدين ، سعيد بن هبة الله(ت ٥٧٣ه)
٧٩- قصص الأنبياء ، تح / الميرزا غلام رضا عرفانيان الخراساني ،دار الهادي ، قم ، ط١ ، ١٤١٨ه.
الرومي : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان
٨٠- دراسات في علوم القران الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،ط١٤ ، ١٤٢٦ه.
الريشهري : محمد
٨١- ميزان الحكمة ، تح ونشر/ دار الحديث ، قم ،ط١ ، ١٤١٦ه .
الزبيدي :ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ه)
٨٢- تاج العروس ، تح / علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،١٤١٤ه- ١٩٩٤، د.ط .
الزرقاني :محمد عبد العظيم
٨٣- مناهل العرفان في علوم القران،تح / مكتب البحوث والدراسات ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤١٦ه+ تح/ فواز احمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.
الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله
٨٤- البرهان في علوم القران ، تح/ محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ،ط١ ، ١٣٧٦ه – ١٩٥٧م.
الزمخشري :ابي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ه)
٨٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ط الاخيرة ، ١٣٨٥ه- ١٩٦٦م.
زيدان : عبد الكريم (الدكتور)
٨٦- الوجيز في اصول الفقه ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٧٠م .
السبحاني : جعفر
٨٧- الأمثال في القرآن، مؤسسة الامام الصادق (ع) ،قم ، ط١ ، ١٤٢٠.
٨٨- المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، مؤسسة الامام الصادق (ع) ، ط٤ ، ١٤٣٢ه.
السجستاني : ابي داود سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥ه)
٨٩- سنن ابي داود، تح / سعيد محمد اللحام ، دار الفكر للطباعة والنشر ،د.ط .

السرخسي :ابي بكر محمد بن احمد (ت ٤٩٠ه)
٩٠- أصول السرخسي ، تح/ ابو الوفاء الافغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م .
السمعاني : منصور بن محمد (ت ٤٨٩ه)
٩١- تفسير السمعاني ،تح/ ياسر بن ابراهيم ، طبع ونشر دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨ه.
السند : محمد ،
٩٢- الامامة الالهية ،بقلم صادق الساعدي ، منشورات الاجتهاد ، قم ، ط٢ ، ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م .
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ه)
٩٣- الاتقان في علوم القران، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢، ١٤١٢ه .
٩٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٠٣ه.
٩٥- لباب النقول في اسباب النزول ، تصحيح / احمد عبد الشافي ،دار الكتب العلمية ، ، بيروت ،د.ط.
شحاتة : عبد الله
٩٦- علوم القران ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
الشريف الرضي :ابي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي(ت ٤٠٦)
٩٧- خصائص الائمة ، تح/ محمد هادي الاميني ، مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد ، ١٤٠٦ه.
٩٨- المجازات النبوية ، تح/ طه محمد الزيني ، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم ، د.ط.
٩٩- نهج البلاغة ، ، شرح محمد عبدة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان .
الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ه)
١٠٠- رسائل المرتضى ، اعداد / السيد مهدي رجائي ، دار القرآن الكريم ، قم ، ١٤٠٥ه.
الشنقيطي : احمد بن محمود عبد الوهاب
١٠١- خبر الواحد وحجيته ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م .
الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ه)
١٠٢- مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار، تح / محمد علي اذرشب ، طهران ، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط ،ط١ ، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.
الشهيد الثاني :زين الدين بن علي العاملي (٩٦٥ه)
١٠٣- الرعاية في علم الدراية ، تح/ عبد الحسين محمد علي بقال ،مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، ط٢ ، ١٤٠٨ه.

١٠٤- مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الاسلام، تح ونشر/ مؤسسة المعارف الاسلامية ،ايران – قم ، ط١ ، ١٤١٣ه .
١٠٥- منية المريد في اداب المفيد والمستفيد ، تح / رضا المختاري ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩ه .
الشيرازي : صدر الدين محمد (١٠٥٠ه)
١٠٦- الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، مكتبة المصطفى ، قم.
١٠٧- تفسير القران الكريم ، تح / محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٨م.
الشيرازي : ناصر مكارم
١٠٨- امثال القران، دار النشر لامام علي بن ابي طالب ،ط٣، ١٤٢٩ه.
١٠٩- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ت .
١١٠- قصص القران (مقتبس من تفسير الامثل)، مؤسسة انصاريان – قم ، ط٤ ، ١٤٢٦ه.
الصالح : صبحي
١١١- مباحث في علوم القران ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢٦، ٢٠٠٥م .
الصباغ : محمد لطفي
١١٢- بحوث في اصول التفسير ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،١٤٠٨ه.
الصدر : محمد باقر(ت ١٤٠١ه)
١١٣- المدرسة القرانية ، تح/ لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر ، دار الصدر ، ط٤ ، قم ، ١٤٢٨ه.
الصدوق : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت ٣٨١ه)
١١٤- الامالي ، تح/ قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة ،قم ، ط١، ١٤١٧ه.
١١٥- التوحيد ،تح / هاشم الحسيني الطهراني ،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ،د.ط .
١١٦- الخصال ، تح / علي اكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٣.
١١٧- كمال الدين وتمام النعمة ،تح/ علي اكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم – ايران ، ١٤٠٥ه.
١١٨- معاني الاخبار ، تح/ علي اكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ،١٤٠٣ه.
١١٩- من لا يحضره الفقيه ، تح/ علي اكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط٢ .
الصفار : ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (٢٩٠ه)

١٢٠- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل ال محمد(ع)، تقديم وتعليق وتصحيح ميرزا محسن ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، طهران ، ١٤٠٤ ، د.ط.
الطباطبائي : السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢ه) ،
١٢١- القرآن في الاسلام، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، ط١، ١٤٣٣ه -٢٠١٢م .
١٢٢- الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة + مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٣ه .
الطبراني : ابي القاسم سليمان بن احمد
١٢٣- المعجم الاوسط ،تح ونشر/ دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م
الطبرسي : ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ه)
١٢٤- جوامع الجامع ، تح/ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ط١ ، ١٤١٨ه.
١٢٥- مجمع البيان في تفسير القران، تح/ لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م.
الطبرسي : ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب
١٢٦- الاحتجاج ، تعليقات وملاحظات / محمد باقر الخرسان ، منشورات مطابع النعمان ، النجف الاشرف .
الطبرسي : ميرزا حسين النوري (١٣٢٠ه)
١٢٧- مستدرك الوسائل ، تح ونشر/ مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ، ط١ ، ١٤٠٨ه- ١٩٨٧م.
الطبري :ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ ه)
١٢٨- جامع البيان عن تاويل اي القران ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر ،١٤١٥ه – ١٩٩٥م .
الطبري :عماد الدين ابي جعفر محمد بن ابي القاسم (ت ن٥٢٥ه)
١٢٩- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تح / جواد قيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٤٢٠ه .
الطريحي :فخر الدين (ت١٠٨٥ه)
١٣٠- مجمع البحرين ،تح / السيد احمد الحسيني ، مكتب النشر الثقافة الاسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٨ه.
الطوسي : ابي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ه).
١٣١- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، تح/ السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ١٣٩٠ه .
١٣٢- التبيان في تفسير القرآن ،تح/ احمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط١ .

١٣٣- تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للمفيد، تح/ حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الاسلامية ،طهران ، ١٣٩٠ه.
١٣٤- الغيبة ، تح/ عباد الله الطهراني وعلي احمد ناصح، مؤسسة المعارف الاسلامية ، قم ، ط١ ، ١٤١١ه.
الطيار : مساعد بن سليمان
١٣٥- التفسير اللغوي للقران الكريم ،دار ابن الجوزي ،الرياض،ط١، ١٤٢٢ه.
١٣٦- فصول في أصول التفسير ، دار ابن الجوزي ، ط٣، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م.
العاملي :جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني (ت١٠١١ه)
١٣٧- معالم الدين وملاذ المجتهدين، تح / لجنة التحقيق ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم – ايران ، د.ت .
العاملي : محسن الامين
١٣٨- اعيان الشيعة ، تح / حسن الامين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، د.ط.
١٣٩- العاملي : محمد حسين
حقوق آل البيت (ع) في الكتاب والسنة بأتفاق الامة ، الناشر المؤلف ، ط١ ، ١٤١٥.
عرفانيان : الميرزا غلام رضا
١٤٠- مشايخ الثقات (الحلقة الثانية)، مؤسسة النشر الاسلامي ، ط١ ، ١٤١٧ه.
العك : خالد عبد الرحمن
١٤١- اصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ،بيروت ، ط٢، ١٩٨٦م.
العلواني : طه جابر
١٤٢- نحو منهجية معرفية قرانية ، دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م .
العياشي : ابي النظر محمد بن مسعود السمرقندي (ت٣٢٠ه)،
١٤٣- تفسير العياشي ، تح/ السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، نشر الحاج محمود الكتابجي واولاده صاحب المكتبة العلمية الاسلامية ، طهران .
الغزالي :ابي حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ه)
١٤٤- احياء علوم الدين ، دار الشعب ، مصر – القاهرة.
الفراهيدي: ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ه)
١٤٥- العين ، تح/ مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة – ايران ، ط٢ ، ١٤٠٩ه.
الفضلي : عبد الهادي
١٤٦- أصول الحديث ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، ط٢، ١٤١٦ه.
الفياض : محمد اسحاق

١٤٧- محاضرات في اصول الفقه ، تقرير ابحاث ابو القاسم الخوئي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ط١ ، ١٤١٩ه.
الفيروز آبادي: مجد الدين ، محمد بن يعقوب (ت٨١٧ه)
١٤٨- القاموس المحيط ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
الفيض الكاشاني :محمد محسن (ت١٠٩١ه)
١٤٩- الاصول الاصيلة ، طبعه ونشره وصححه وعلق عليه جلال الدين الحيني الارموي . د.ط.ت .
١٥٠- الاصفى في تفسير القران ، تح / محمد حسين درايتي – محمد رضا نعمتي ،مكتب النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٤١٨ه .
١٥١- تفسير الصافي ،صححه وقدم له وعلق عليه/ الشيخ حسين الاعلمي ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ط٢ ، د.ت.
١٥٢- الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين ، تصحيح جلال الدين الحسيني، ١٣٩٠ه.
القرطبي :ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري(ت ٦٧١ه)
١٥٣- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القران)، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،ط٢ ، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م .
القطان : مناع
١٥٤- مباحث في علوم القرآن ، مطابع المختار الاسلامي ، القاهرة ، ط٦ ، ١٤٠٨ه .
القمي : ابي الحسن علي بن ابراهيم (ت ن ٣٢٩ه)
١٥٥- تفسير القمي ، تصحيح/ طيب الموسوي الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم – ايران ،ط٣، ١٤٠٤ه.
القمي : عباس (ت ١٣٥٩ه)
١٥٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار ،دار الاسوة للطباعة والنشر، ايران ، ط٢، ١٤١٦ه.
القيومي :جواد
١٥٧- صحيفة الحسن ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ،(د. ت).
الكركي : حسين بن شهاب الدين (١٠٧٦ه)
١٥٨- هداية الابرار الى طريق الائمة الاطهار ،ط١ ، ١٣٩٦.
الكفعمي : تقي الدين ابراهيم بن علي الحسن بن محمد العاملي (ت ٩٠٥ه)
١٥٩- المصباح (جنة الامان الواقية وجنة الايمان الباقية) ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٣ه.
الكليني :ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩ ه)
١٦٠- الاصول من الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط٣ ، ١٣٨٨ه .
المازنداني : محمد صالح (ت ١٠٨١ ه)

١٦١- شرح اصول الكافي ،دار احياء التراث ، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور ،بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .
المتقي الهندي :علاء الدين علي (ت ٩٧٥ه)
١٦٢- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح / الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السفا ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٤٠٩ه – ١٩٨٩م ، د.ط.
المجلسي : محمد باقر(ت ١١١١ه)
١٦٣- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، مؤسسة الوفاء ،بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م .
المدرسي : محمد تقي
١٦٤- من هدي القرآن ،دار القارئ ، ط٢ ، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.
مسلم : ابي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ه)
١٦٥- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،د.ط.
مطلوب : احمد
١٦٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
المظفر : الشيخ محمد رضا (ت ١٣٨٨ه)
١٦٧- اصول الفقه ،تح / صادق المراغي ، منشورات العزيزي ، قم ،ط٣ ، ٢٠١١م + ط١١، مطبعة اسماعيليان ، قم ، ١٤٢٤ه.
١٦٨- المنطق ، ط ٣ ، النجف الاشرف ، ١٩٦٨م.
معرفة : محمد هادي
١٦٩- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ، مشهد ، ط١ ، ١٤١٨ه .
المفيد :ابي عبد الله محمد بن النعمان (ت ٤١٣ه)
١٧٠- الاختصاص ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ،قم ، (د.ت).
١٧١- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تح/ مؤسسة ال البيت ، لتحقيق التراث ، دار المفيد ، ط٢،١٤١٤ه – ١٩٩٣م .
١٧٢- الامالي ، تح / الحسين استاد ولي – علي اكبر الغفاري ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ،١٤٠٣.
المنتظري : حسين علي
١٧٣- نهاية الاصول ،تقرير محاضرات حسين البروجردي الطباطبائي .
الموسوي :عبد الحسين شرف الدين(ت ١٣٧٧ه)
١٧٤- النص والاجتهاد ، تح ونشر/ ابو مجتبى ، قم ، ط١ ، ١٤٠٤ه.
النسائي : الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن بحر(ت ٣٠٣ه)
١٧٥- سنن النسائي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط١ ، ١٣٤٨ه – ١٩٣٠ م .
١٧٦- فضائل الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
النيسابوري : الحافظ ابي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ه)

١٧٧- المستدرك ،دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
النيسابوري : محمد بن الفتال (ت ٥٠٨ه)
١٧٨- روضة الواعظين ، منشورات الرضي ، قم – ايران ، د.ط.
الهمداني : اقا رضا (١٣٢٢ه)
١٧٩- مصباح الفقيه ، منشورات مكتبة الصدر، طهران ،طبعة حجرية .
الهيثمي: نور الدين علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧ه)
١٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م .
الواحدي :ابي الحسن علي بن احمد النيسابوري (ت ٤٦٨ه)
١٨١- اسباب النزول ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ،١٣٨٨ه .

الرسائل والبحوث

زوين : هدى عبد الحسين
١٨٢- أثر تعدد المعنى في تفسير النص القرآني –دراسة تفسيرية - ، اطروحة دكتوراه،اشراف د. صباح عنوز، ٢٠١١م.
الزيدي : كاصد ياسر
١٨٣- تفسير القران بالقران (بحث)، مجلة آداب الرافدين ، تصدر من جامعة الموصل، العدد /١٢ ، ١٩٨٠م.

Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Kufa
College of Jurisprudence

The Pure Traditions Rule in Rooting Interpretation

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Jurisprudence \ University of Kufa

by:
Ghufran Yaseen Mohammed Al- Hashimi

as a Partial Fulfillment of the Requirements of the M.A Degree in Shari 'a and Islamic Science

Supervised by:-

Assist. Prof. Dr. Ali Khudayir Hajji

Assist. Prof. Dr. Sirwan Abdul-Zahrah Al-Janabi

2012A.D
1433A.H

Abstract

Praise be to God alone, the Lord of worlds, Prayer and Peace be upon His prophet and on His pure Ahlulbait.

Interpretation is the most honorable science because it reveals the purpose of His Almighty God in His Holy book and the real significance of its verses , so the research tried to study this science in the school of Ahlulbait to reveal their leading role in rooting it by putting the most important rules and conditions of interpretation.

This science is in a real need for these conditions because some try to interpret without rules or knowledge, so these conditions should be followed to conduct an accurate interpretation and we should be grateful for Ahlulbait (P.U.TH) role in establishing these conditions.

Hence the importance of this study appears, it is to show their role in establishing the science of interpretation and to follow up the rules and conditions that were put by Ahlulbait ((P.U.TH) .

The method of this research depends on the pure sunnah or traditions , the narrations relating what the Prophet and Ahlulbait (P.U.TH) had referred as conditions and rules to deduce by it.

The study is divided into a preface five chapters and a conclusion. The preface clarifies the title`s terms meanings and significances.

The first chapter is entitled (Ahlulbait intellectual authority in rooting Interpretation) it includes three topics :- Ahlulbait science authority in rooting Interpretation, the specialists of the Interpretation of Holy Qura`n and the ability of the pure tradition in interpreting the Holy Qura`n, respectively.

(The pure traditions establishment of the Qura`nic text interpretation conditions) is the title of the second chapter which also includes three topics:- restricting to the Qura`nic text interpretation limits, adopting the interpretation method within the considered conditions and

realizing the surface and deep significances of the Qura`nic text, respectively.

The third chapter deals with (The pure traditions establishment of interpretation principles) within three topics :- The concepts of interpretation principles and their importance The pure traditions establishment of terms` principles and The pure traditions establishment of verbal principles, respectively.

The interpreter`s qualifications according to the pure traditions are clarified in the fourth chapter which comes in two topics:- The interpreter`s qualifications and the knowledge and sciences that the interpreter needs.

The fifth and the last chapter deals with the Pure Traditions Rule in Rooting Interpretation within three topics :- the Qura`nic method of interpretation, interpretation by ascription and the pure traditions establishment of narrative and linguistic methods of interpretation.

The conclusions includes the most important results that could be summarized in :- Ahlulbait (P.U.TH) are the first who rooted interpretation put its methods, principles and conditions due to their intellectual and scientific merits and efficiency that they had inherited from the Prophet (P.U.H). These conditions would support the interpreter to avoid any mistake.